الطبعة الثانية

إنسان الملكوت

خليقة جديدة ينتظرها العالم

أوسم وصفي

إنسان الملكوت

خليقة جديدة ينتظرها العالم

أوسم وصفي

إنسان الملكوت

يحتاج العالم أن يرى أشخاصاً يتحكمون في غضبهم فلا يؤذون، وفي خوفهم فلا يُسيَطرون. لعل أكثر أنواع الغضب والاستياء قبولاً ثقافياً هو الاستياء تجاه الناس الذين لا نعرفهم شخصياً؛ الاستياء تجاه النادل الذي لم يأت لك بما طلبته بالسرعة التي كنت تنتظرها، وتجاه سائق السيارة التي أمامك والذي يسير ببطء شديد. إنه الاستياء تجاه سائق الميكروباس الذي يقود بسرعة فيخيفك، والسياسي الذي لا يحترمك أو يحترم الجماعة التي تنتمي إليها. الأمثلة لا حصر لها. في هذه المواقف تقبل الثقافة السائدة منّا أن نغضب وأن نصيح وربما حتى أن نكرَه. إنها الأمور التي نعثر فيها كلنا، ومن لا يعثر فيها فهو إنسان كامل يلفت الانتباه بشكل حقيقي في هذا العالم. إنه إنسان الملكوت.

يُمثِّلُ إنسان الملكوت بقعةً متحركةً في العالم، تحمل حضور الله وسلطانه حتى يأتي الوقت الذي فيه يغطي هذا الحضور كلّ الكون. إنسان الملكوت في وضعه الصحيح هو أيضاً حيٌّ وفعّال، يُغيِّر الواقع الذي يحَلُّ فيه. كيف يصل المسيحي لهذا؟ في هذا الكتاب خارطة طريق.

د. ماهر صموئيل
خادم الكلمة والطبيب النفسي

إنسان الملكوت الحقيقي هو يسوع المسيح، والإنسان يستقبل النعمة، ويجاهد مع الجسد متطلعاً نحو ذلك المقياس. تُلخِّصُ هذه الكلمات رسالةَ هذا الكتاب، الذي يجمع بين الواقعية اللاهوتية، ومركزية النعمة، ومحورية التدريبات الروحية العملية.

د. ق. هاني يوسف
أستاذ اللاهوت المنظومي بكلية اللاهوت الإنجيلية، بالقاهرة

علاجاً لمشكلة مزمنة فينا وهي: «مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ» يعطي لنا كتاب:إنسان الملكوت منظوراً جديداً للحياة المسيحية العملية. لَكَم أدركت ثغرات روحية و نفسيّة فىّ أنا شخصياً وأنا أغوص فى هذه السطور التى خاطبتنى بقوة نافذة دون إدانة و بحب دافئ دون مساومة.

ق. خالد بشرى غبريال
راعي الكنيسة المعمدانية الإنجيلية العربية ببوسطن. ماساتشوستس

أوسم وصفي

طبيب نفسي ومُحاضر بكلية اللاهوت الإنجيلية بمصر. له أكثر من عشرين مؤلف في مجال الصحة النفسية مثل «صحة العلاقات» و«مهارات الحياة» و«القلب الواعي» و«شفاء الحب»، متزوج ولديه بنت وولد ويعيش في القاهرة.

Awsam Wasfy

@awsamwasfy

إنسان الملكوت

أوسم وصفي

إنسان الملكوت

د. أوسم وصفي

الطبعة الثانية ٢٠١٤

رقم الإيداع:١٦٨١٤/٢٠١٣

التنفيذ الفني والطباعة

شركة سباركل لحلول الطباعة

ت: ٢٤٥١١٧٦١

www.sparkleegypt.net

فهرس

مقدمة: ملكوت الله وإنسان الملكوت

الفصل الأول: ملكوت الله ١١

الفصل الثاني: إنسان الملكوت ٤١

الجزء الأول: إنسان الملكوت صاحب فكر جديد ورؤية خاصّة

الفصل الثالث: تغيروا. بتجديد أذهانكم ٨٧

الفصل الرابع: في هذا افتكروا ١٠١

الفصل الخامس: احسبوه ١١٥

الفصل السادس: عالمين ١٢٩

الجزء الثاني: إنسان الملكوت يؤمن بأن الحياة الحقيقية تمر من بوابة الموت

الفصل السابع: قدِّموا أجسادكم ١٤٧

الفصل الثامن: تميتون أعمال الجسد ١٦٨

الفصل التاسع: لا تصنعوا تدبيراً للجسد ١٨٣

الجزء الثالث: إنسان الملكوت منضبط ومثابر بقصد المحبة

الفصل العاشر: من يجاهد يضبط نفسه ٢٠١

الفصل الحادي عشر: اثبتوا ٢١٥

الفصل الثاني عشر: لا تهاوُن ٢٢٩

خاتمة: لا توجد وصفة واحدة للجميع ٢٤٥

لماذا أكتب؟

هذا السؤال هو سؤال ضروري أسأله لنفسي من وقتٍ لآخر، بل تعودت أن أسأل نفسي من وقتٍ لآخر لماذا أفعل أي شيء أفعله؟ والإجابة هنا لها شِقّان. الشق الأول هو أنني أكتب لأنني أؤمن بالقراءة، ومدين للكثير جداً من بنائي وتشكيلي الروحي للقراءة. عندما زار فيليب يانسي القاهرة منذ عدة سنوات قابلته وقلت له: « أنت كتبت أنه لولا ك. س. لويس وبونهوفر وبوشنر، وغيرهم لربما لم تكن لتبقى مسيحياً حتى الآن. وأنا أقول لك أنه لولاك وبعض ممن ذكرت، ربما لم أكن لأبقى أنا أيضاً مسيحياً حتى الآن ».

أستطيع أن أقول أن مراحل نموّي الروحي كانت دائماً مرتبطة بكُتّاب تحدّوا قلبي وعقلي معاً حتى أنني يمكن أن أقسم مراحل نموي الروحي إلى ثلاث مراحل: مرحلة ك. س. لويس، ثم مرحلة فيليب يانسي وأخيراً مرحلة دالاس ويللارد. كنت أقرأ كتبهم وأنا في سيارات الأجرة المتهالكة بين محافظات الدلتا ذاهباً لوحدتي في الجيش سواء كانت في محلة مرحوم القريبة من طنطا أو دمنهور أو مرسى مطروح. وأيضاً في القهاوي الفاخرة والمطارات والقطارات في البلدان العربية والأوربية والأمريكية التي زرتها.

الشق الثاني في سبب الكتابة هو أن الربّ قال لي أن أكتب. بالطبع أنا أتحفظ كثيراً في ترديد عبارة: «الرب قال لي» ولا أعتبر أنني قد شعرت أن الرب قد كَلَّمَني في حياتي إلا مرات قليلة جداً تُعَدّ على أصابع اليد الواحدة (أو ربما أكثر قليلاً)، هذه كانت واحدة منها. عندما فَكّرت في كتابة كتابي الأول «صحّة العلاقات»جاءتني الفكرة فجأة ثم صرفتها بسرعة قائلاً لنفسي: «من تظن نفسك لكي تكتب كتاباً؟ ما هي خبرتك في الحياة لتفعل هذا؟». لم تمض ساعات قليلة إلا وقد اتصل بي أحد أصدقائي الأكبر والذي أحترم حياته وخبرته الروحية وقال لي أنه لا

يدري كيف سيكون وقع ما سيقوله الآن عليّ، لكنه يظن أن الربّ يريدني أن أكتب كتاباً. بالطبع لم أجادل كثيراً فالأمر واضح، وبدأت منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا.

تتميز ثقافتنا العربية بأنها ثقافة شفهية. لكن للأسف قليلٌ ما يمكن أن تتضمنه عظة تستمر لمدة خمسة وأربعين دقيقة أو ربما ساعة أو أكثر، تتخللها قصص شخصية أو بعض الفكاهة. صَحيح أن كلمة واحدة من الربّ يُمكن أن تُغيّر تَوَجّه الإنسان تماماً، لكنه يظل محتاجاً إلى بنيان تعليمي ثابت وراسخ ومتكامل.

الحقيقة أن من يبنون تعليمهم وبنيانهم الفكري المسيحي فقط على العظات، يُعَرِضون أنفسهم لما يمكن أن نسميه سوء التغذية الروحيّ بالرغم من أنه قد لا يبدو ذلك عليهم في أغلب الأحيان بسبب الإيمان والإخلاص والحماس.

عندما درسنا في كلية الطب عن سوء التغذية في الأطفال، تَعَلَّمنا أن هناك نوعان من سوء التغذية. النوع الأول يكون الطفل فيه نحيفاً هزيلاً فمن السهل تشخيص إصابته بسوء التغذية، أما النوع الثاني فيبدو فيه الطفل بديناً، فتظنه لا يعاني من سوء التغذية لكن الحقيقة هي أن هذا الامتلاء ليس سوى «وَرَماً» و كما كان يقول لنا الأساتذة وقتها أن هذا الطفل «مَنفوخ ع الفاضي» ويظهر هذا عندما تصيبه عدوى فتكتشف أن مقاومته هزيلة جداً. نفس الشيء بالنسبة للنمو الروحي. كثيرون في الكنائس اليوم يواظبون على حضور الاجتماعات والمؤتمرات، يُرنِّمون بحماس ويصلون بحرارة، لكن حقيقة نموهم الروحي تظهر عندما تصيبهم تجربة أو يقعون في اختبار من اختبارات الإيمان.

عَلَّمونا أيضاً في طب الأطفال أن السبب الرئيسي في إصابة هؤلاء الأطفال بسوء التغذية، هي أن الأم لا تفطُم أطفالها في الوقت المناسب، فتستمر تعطيهم من لبنها بعد أن يكون هذا اللبن قد صار خفيفاً جداً بالنسبة لهم ولا يفي

باحتياجات أجسادهم التي تكبر. هذا التعليق أسمعه من كثيرين في الكنيسة في الوطن العربي وخارجه، وهو أن الكنيسة لا تقدم طعاماً للبالغين، فقط «اللَّبَن الروحيّ» للأطفال المولودين الآن. بالطبع ينبغي أن تظل الكنيسة تقدم «اللَّبَن» للرُضَّع فهي ينبغي أن تكون وَلودَة دائماً، ويكون فيها دائماً أطفالٌ مولودين الآن. لكن كيف يحصل البالغون على طعام؟ فالبالغون الذين يعيشون على لبن الأطفال بطبيعة الحال سوف يصابون بسوء التغذية إذا لم يبحثوا عن طعام بالغ في مكان آخر. هنا أعتقد يأتي دور القراءة. في الواقع القراءة هي ما أبقاني حَيّاً روحِيّاً حتى الآن.

لكن إذا تكلمنا عن القراءة سوف تواجهنا أزمة فنحن كثقافة لا نقرأ. وفقاً لأحد تقارير اليونسكو فإن أعلى نسبة للأمية في العالم تتواجد في العالم العربي. والقراءة تأتي في المرتبة الأخيرة بين اهتمامات الإنسان العربي حيث معدل القراءة عند الفرد في الوطن العربي ٦ دقائق سنوياً مقابل ٢٠٠ ساعة سنوياً في أوربا.

وإن كنا لا نقرأ فنحن بالتأكيد لا نكتب، هذه نتيجة حتمية، فالقراءة والكتابة مرتبطتان.

لهذه الأسباب أستمر في القراءة والترجمة والكتابة لأني بالفعل أريد أن ألا أصاب بسوء التغذية الروحيّ، وإذا أمكن، أساهم مع غيري من الكُتَّاب، في رفع مُعدَّل القراءة في المجتمع العربي ولو بقدرٍ ضئيلٍ.

أوسم وصفي
القاهرة. سبتمبر ٢٠١٣

شكر وعرفان

أقدم الشكر الجزيل للصديق العزيز ماجد صبحي زخاري على مساعدتي في التدقيق اللغوي لهذا الكتاب وغير من الكتب. أشهد أن براعته ودِقَّته، أمرٌ يملأنيِ بالفخر به. كما أشكر العزيزة نورا فارس وكل فريق "سباركل إيجيبت" على اخراجهم المُمَيَّز للكتاب في صورته الحالية.

الفصل الأول

ملكوت الله

ماهو أول شيءٍ سوف يَرِدُ إلى ذِهن أغلب المسيحيين عندما يسمعون أو يقرأون عبارة «ملكوت الله»؟ أو «الملكوت»؟ أعتقد أن النسبة الغالبة سوف تفكر في«الحياة بعد الموت» أو «السماء»، وذلك على اعتبار أن المؤمنين الأتقياء بعد أن يموتوا سوف «يذهبون إلى الملكوت». البعض ربما يُفَكِّر أيضاً أن الملكوت هذا هو شيٌ بعيدٌ عن حياتنا اليومية، خاصةً أننا في ثقافتنا الشعبية نقول عن الإنسان شارد الذهن غير المُتلامِس مع الواقع، أنه هائم في «الملكوت»، ولعل ذات المعنى كان في ذهن شاعر العاميّة الراحل العظيم صلاح جاهين عندما كتب رُباعِيَّته:

سرحت في الملكوت كتير وانشغلت، وبكل كلمة ليه وعلشان إيه سألت، أسأل سؤال، الرد يرجع سؤال، وأخرج وحيرتي أشدّ مِمَّا دخلت... عجبي.

هذا المعنى يُشير إلى أن «ملكوت الله» عالمٌ بعيدٌ مُحَيِّرٌ لا يعرف أسراره إلا الله. هذا بالنسبة لمن يسمع هذه العبارة بشكل عام، أما من يقرأ الإنجيل بعناية، فسوف يجد أن ملكوت الله هو الموضوع المحوري الذي كان المسيح ينادي به ويُعَلِّم عنه، بل ويربطُهُ رَبطاً وثيقاً بالحياة اليومية للناس، وذلك من خلال أمثالٍ يُشبِّهُهُ فيها بأشياء من واقع الناس، كحقلٍ زَرَعَ فيه الفلاح حِنطةً، وجاء عدوٌ وزرع فيه حشائش ضارة، أو كخميرة وضعتها رَبّة بيت في عجين لكي يختمِر، أو شبكة صَيّادٍ مُلقاةٍ في البحر جامعةٍ من شتى أنواع السمك، وغيرها من أمثال الملكوت التي تمتلئ بها روايات الإنجيل. أما المعنى الحرفي المُباشر لعبارة «ملكوت الله» أو «مملكة الله» فهو النطاق الذي فيه تكون إرادة الله هي النافذة، مثلما تكون أيُ

مملكة هي مساحة الأرض التي فيها إرادة المَلِكِ نافذة.

وعندما نُتابِع تعليم يسوع عن الملكوت، فسوف نجد أن هذا المُلك ليس مُلكاً ماديّاً أرضياً، وإنما هو مُلكٌ روحيّ، أي أنه خضوع اختياري يقوم به الإنسان المؤمن بإرادته الحُرّة الخالصة، بحيث يختار أن يُخضِع إرادته وفكره ومشاعره وأسلوب حياته وعلاقاته لله الذي أعلَنَ عن نفسه بشكل خاصٍ من خلال حياة وتعاليم وموت وقيامة يسوع المسيح.

عندما يخضع الإنسان ذلك الخضوع العَمَليّ لله، فثَمَّةَ تغيير يبدأ في الحدوث في حياته الداخلية أولاً، ثم يظهر ذلك التغيير بشكلٍ متزايدٍ في العُمق والاتِّساع ليشمل كل جوانب حياته الظاهرة، بصورة من شأنها أن تجعله إنساناً مختلفاً تماماً، وكأن «طفرة نوعية» أو «نقلة تطوُّرية» قد حدثت فظَهَر نوعٌ جديدٌ من البشر. وطالما لم يحدث ذلك بعد، فيُمكِنُنا أن نقول أن ملكوت الله ليس بعد فاعلاً بالكامل في حياة ذلك الإنسان، مع أنه ربما يكونُ قد اعترف بفمه، واقتنع بعقله، بل وربما انفعل بمشاعره مع مبادئ وتعاليم الملكوت.

في هذا الكتاب سوف نقترب من بعض النصوص الهامة في العهد الجديد التي تصف «إنسان الملكوت» هذا. ليس فقط لكي نعرف كيف يبدو من الداخل والخارج، لكن لكي نكتشف أيضاً بعضاً من ملامح خارطة الطريق العملية، لكي يتم «تفعيل» ذلك الملكوت في حياةِ من يؤمن به فلا يكونُ ذلك الإيمان بعد بالكلام ولا باللسان وإنما بالعمل والحق[1]. عندئذ تبدأ تلك «الطفرة» في الظهور في حياة ذلك الإنسان.

مثل هؤلاء هم الخليقة الجديدة،[2] التي هي مَحَلّ انتظار قلوب البشر أجمعين،[3]

١ رسالة يوحنا الأولى ٣: ١٨

٢ الرسالة إلى أهل غلاطية ٤: ١٩

٣ الرسالة إلى أهل رومية ٨: ١٩

حتى وإن لم تكن عقولهم مُدرِكةً لحالة الانتظار التي يعيشونها. إن بني الملكوت هؤلاء، هُم رسالة الله الحقيقية المقروءة[٤] والمسموعة، والوحيدة التي تُثبت، بما لا يدع مجالاً للشك، حقيقةَ وجودِ هذا الملكوت وصدق رسالته.[٥]

الموعظة على الجبل

لعل أهم الفقرات الكتابية التي ينبغي أن نقترب منها ونحن نُحاول فهم ملكوت الله، هي الموعظة على الجبل، وهي العظة الافتتاحية الجماهيرية الأولى لخدمة المسيح. هذا النص الكتابي بالرغم من محوريته في تعليم العهد الجديد، إلاّ أنه قد تعرض لسوءِ فهم شديد أدّى إلى أن بعض المفسرين ولاهوتيي العهد الجديد تَصوَّروا أن به اختلافاً كبيراً عن تعليم بولس الرسول في الرسائل (وبالذات رسالته لأهل رومية)، حتى أنهم اعتبروا أن الإنجيل الذي كرز به المسيح «إنجيل الملكوت» هو إنجيل يُرَكِّز على الأعمال والتغيير الأخلاقي وهو إذاً مُختَلِفٌ عن «إنجيل النعمة» الذي نادى به بولس، والذي يُشَدِّد على بر الإيمان. وكأن هؤلاء اللاهوتيين لم يُدرِكوا أن بولس كان ملتزماً جداً بكلّ ما قاله المسيح، سواء كان مكتوباً في الأناجيل المعتمدة، أو منقولاً شفاهياً في التقليد[٦] وأن بولس أيضاً قد تأكَدَ من اتِّساقِ إنجيله مع ما قد عَلَّمَهُ يسوع بالجسد، حتى أنه قبل أن يكرز «بإنجيله»[٧] حَرِصَ أن يتأكَّد من موافقة بطرس ويعقوب ويوحنا، والذان لقبَّهم بالأعمدة، على الإنجيل الذي كان يكرز به، وذلك لأنهم الذين قد عاصروا المسيح بالجسد واستمعوا لكل كلامه بشكل مباشر.[٨]

أيضاً عندما واجَهَنا سُمُوّ التعليم الأخلاقي في الموعظة على الجبل، وواجَهنا في

---

٤ الرسالة الثانية لأهل كورنثوس ٣: ٢

٥ إنجيل يوحنا ١٧: ٢١

٦ أعمال الرسل ٢٠: ٣٥

٧ الذي هو أغلب الظن رسالته لأهل رومية

٨ الرسالة إلى أهل غلاطية ٢: ١- ١٠

المُقابِل عَجزَنا البشري عن الاقتراب منه، أو حتى أن نقبل إمكانية تحقيقه في حياتنا الحاضرة، تَطوَّع بعض اللاهوتيين ليعفونا من ذلك، وليقولوا إن المسيح كان يتكلم عن دهرٍ آخر بخلاف الدهر الذي نعيشه، حتى أن بعضهم سمى الأخلاق التي تتكلم عنها الموعظة على الجبل: «الأخلاق الأُخْرَوِيَّة»[9] Eschatological Ethics أي الأخلاق التي سوف تُعاش في العالم الآخر، أو في المُلك الألفي.

هذا عن سوء الفهم. وماذا عن التجاهل؟ أتذكر في وقت من الأوقات كنت مُغرَماً جداً بالتعليم عن الموعظة على الجبل في كُل مرة أُدعى فيه للتكلم في كنيسة من الكنائس. في ذلك الوقت، قام راعي إحدى الكنائس في المهجر بدعوتي للتعليم في مؤتمر الكنيسة، وأعطاني الحرية في أن أختار الموضوع. و عندما اخترت الموعظة على الجبل، كان تعليق الراعي أنه دُهِش لذلك الاختيار معتبراً ذلك النص من الأمور«البدائية» التي يَتَجاوزها كل من يريد أن يدخل إلى «العُمق» في التعليم المسيحي، وكأننا بالفعل استطعنا أن نحب أعداءنا ولا نُطَلِّق زوجاتنا لكل سبب، وتَحكَّمْنا في الغضب والشهوة الجنسية والكلام، ومحبة المال!

9 George Eldon Ladd, A Theology of the New Testament (Grand Rapids: Eerdman, 1983).p. 120- 134

ملكوت الله

لكي نفهم الموعظة على الجبل يجب أن نفهم أولاً أنها موعظة واحدة قيلت مرة واحدة في مناسبة واحدة وليست تجميعاً تحريرياً لتعاليم المسيح المتناثرة هنا وهناك. رُبّما كَرَّرها المسيح، أو كَرَّر أجزاء منها في أماكن مختلفة أمام سامعين مختلفين، لكنها تظلُّ موعظة واحدة. أما موضوع هذه العظة، فهو «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات» أو «الحياة الأبدية» وكُلُّها تعبيرات مترادفة تشير إلى شيءٍ واحد. وقد كانت الأناجيل واضحة جداً في أن هذا كان هو الموضوع الأساسي لتعليم وأمثال يسوع المسيح. حتى أعماله المعجزية، كان الهدف الأَقصَى منها، هو أن تكون «وسيلة إيضاح» أراد بها أن يقول إن الملكوت قد أتى بالفعل[١٠]. وأنه هو المسيا ــ تجسيد الملكوت ــ وذلك لمن له آذان للسمع وعينان للرؤية، وعقل يعرف النبوّات وتحقيقها.[١١] ولعل إنجيل متى يُلَخِّص خدمة المسيح في هذه العبارة القصيرة المُركَّزة: «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ».

كان الهدف الأقصى لأعمال المسيح المعجزة هو أن تكون «وسيلة إيضاح» أراد بها أن يقول إن الملكوت قد أتى بالفعل. وأنه هو «المسيّا» ــ تجسيد الملكوت.

كان يعلم ويكرز بحلول ملكوت الله، ثم يشفي كل مرض وضعف في الشعب، مُقَدِّماً الدليل العملي على أن الملكوت قد أتى بالفعل، حيث أن العهد القديم به الكثير من النبوّات التي تُشير إلى أن شفاء العُمي والصُمّ وتبشير المساكين هي العلامات المُصاحِبة لمجيء المسيا وحلول ملكوت الله.[١٢]

---

١٠ إنجيل متى ١٢: ٢٨

١١ إنجيل لوقا ٧: ١٨-٢٣

١٢ إنجيل متى ١١: ٢-٦ و إنجيل لوقا ٤: ٢١

ولسهولة الشرح، يمكننا أن نقسّم الموعظة على الجبل إلى النقاط التالية:

أولاً: اقتراب الملكوت

ثانياً: بِرّ الملكوت

ثالثاً: أسلوب حياة الملكوت

رابعاً: قُوَّة الملكوت

وفي كل موضوع من الموضوعات الأربعة، سوف نجد كلمة محورية تكرَّرَت فيه كثيراً. فبالنسبة لاقتراب الملكوت كانت الكلمة المحورية هي "طوبى" وهي كلمة تشير إلى الفرح والبشارة. وعن بر الملكوت وكيف يختلف عن برّ الدين والتديُّن، كرر يسوع أسلوب المقارنة: "سمعتم أنه قيل أما أنا فأقول"، أما فيما يتعلق بأسلوب حياة الملكوت، فقد كرر يسوع كلمة " لا تهتموا" وقصد بها أن أسلوب حياة بني الملكوت يتميَّز بأنهم لم يعودوا يهتمون بما يَهتَمُّ به غيرهم، وعلى العكس، يَهتَمّون بما لا يهتم به غيرهم كثيراً. بنو الملكوت لا يهتمون كثيراً بالمال والمظهر والطعام والشراب والجنس والشُهرة والكرامة، ورأي الناس، بينما يهتمون أكثر بالآخرين ومشغولون بخيرهم، وشفائِهم ونُمُوِّهم الروحي، ومصيرهم الأبديّ. وأخيراً، عندما أراد يسوع أن يتكلم عن قوة الملكوت، تكلم عن قوة المحبة غير المشروطة "أجابى" وتكلم أيضاً عن قوة «الطَلَب»[١٣] ، لذلك كانت الكلمتان المحوريّتان اللتان تشيران إلى قوة الملكوت هما: «لا تدينوا» و «اطلبوا». أي أن القوة الإلهية التي تعمل فينا هي قوة المحبة غير المشروطة «أجابى» وهذه القوة يُفعّلها القبول وعدم الإدانة من ناحية، ويُفَعِّلُها من ناحية أخرى الطلب من الله ومن الناس بتواضع وبدون سيطرة. وفي السطور التالية سوف نتأمل بعمقٍ هذه الموضوعات الأربعة الرئيسية التي تُكَوِّن معاً مفهوم الملكوت كما قدمه يسوع.

13 Dallas Willard,The Divine Conspiracy: Rediscovering Our Hidden Life in God (San Francisco: Harper One, 1998)

اقتراب الملكوت

عندما بدأ يسوع خدمته التعليمية العلنية بدأها في الناصرة حيث كان قد تربى. وبطبيعة الحال ينبغي أن يكون التعليم في المجمع، ولكن عندما رفضته المجامع، خرج للناس في الخلاء والأسواق يعلم كل أنواع البشر حتى من غير مرتادي المجامع. عندما تكلم في المجمع اختار الفقرة الافتتاحية من الأصحاح الحادي والستين من نبوة إشعياء التي تتكلم عن مجيء الملكوت: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ، وَبِيَوْمِ انْتِقَامٍ لإِلهِنَا. لأُعَزِّيَ كُلَّ النَّائِحِينَ. لأَجْعَلَ لِنَائِحِي صِهْيَوْنَ، لأُعْطِيَهُمْ جَمَالاً عِوَضًا عَنِ الرَّمَادِ، وَدُهْنَ فَرَحٍ عِوَضًا عَنِ النَّوْحِ، وَرِدَاءَ تَسْبِيحٍ عِوَضًا عَنِ الرُّوحِ الْيَائِسَةِ، فَيُدْعَوْنَ أَشْجَارَ الْبِرِّ، غَرْسَ الرَّبِّ لِلتَّمْجِيدِ».

ما أراد المسيح أن يقوله بالتطويبات هو أن ملكوت الله قد أصبح متاحاً لدرجة أنه حتى «هؤلاء» يمكن أن يدخلوه. هذا على العكس تماماً من فكرة شروط ومواصفات الدخول.

أما عندما خرج ليعلم الجموع على سفح الجبل، لم يقتبس من الكتاب لأن الجموع في الغالب ليست معتادة على كلام الكتاب، فلم يقتبس نبوة تتكلم عن تبشير المساكين، إنما بشّر المساكين بالفعل، قائلاً: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، وعَزَّى النائحين (الحزانى). بعد أن خدم يسوع احتياجات الناس من الشفاء والتحرير، وأراهم عملياً كيف أن ملكوت الله قد حَلّ بالفعل ولَمَسَ قلوب وأجساد مستمعيه، بدأ يتكلم عن التطويبات وهي بمثابة إعلانٍ أن ما يرونه الآن من قوة الله العاملة في الأجساد ما هو إلا علامةٌ على أن ملكوت السموات قد أصبح متاحاً، ليس فقط لكي يَلْمَس حياةَ البشر ويشفيهم ويُحَرِّرَهُم من سلطان الأرواح الشريرة، بل لكي يَدخُلَه البشر ويعيشوا فيه طبيعةً جديدةً تَعبُر بهم

من هذا الدهر إلى الدهر الآتي، ولا يستطيع الموتُ الجسديُّ أن يوقفَها، بل على العكس، يُطلِقَها إلى آفاقٍ أوسع.

الخطأ الكبير الذي ارتكبه أغلب المُفَسِّرين في حق التطويبات، هو أنهم اعتبروها «مُواصفاتٍ» أو «شروطاً» لمن يُمكِن أن يدخل الملكوت. وهذا يجعل إنجيلَ المسيح إنجيلاً للخلاص بالأعمال وليس بالنعمة. ولهذا السبب اعتبرَ البعض أن هذا «الإنجيل» مختلفٌ عن إنجيل الخلاص بالنعمة الذي بَشَّرَ بِهِ بولس وأن «إنجيل الملكوت» هذا الذي كرز به يسوع قبل صلبه، كان لليهود فقط، وهو ليس كإنجيل الخلاص بالنعمة المُوَجّه لكل الأمم، وسوف يأتي المسيح في الملك الألفي ليكرز لليهود مرة أخرى بإنجيل الملكوت، ويدخل أغلب اليهود في ملكوت الله، وفق هذا الإنجيل. أَتَصَوَّر أن أحد مُقَوِّمات هذا التعليم، كان عدم فهم رسالة التطويبات فهماً صحيحاً.

ما أراد المسيحُ أن يقوله بالتطويبات هو أن ملكوت الله قد أصبح متاحاً[١٤] لدرجة أنه حتى «هؤلاء» يُمكِنُهُم أن يدخلوه.[١٥] هذا على العكس تماماً من فكرة «المواصفات». المواصفات تقول إنك ينبغي أن تكون هكذا وهكذا لكي تدخل، أما اقتراب الملكوت ومَجَّانِيَّتُهُ، فهي تعني أن الكل يمكنه أن يدخل، حتى هؤلاء الذين يعتبرهم العالم، ويعتبرون أنفسهم، غير مؤهلين لأي شيء. هذه هي «السَنَة المقبولة» أو «سنة القبول» الإلهي غير المشروط التي يتكلم عنها إشعياء النبي في الأصحاح الحادي والستين. هذا المفهوم هو الذي يجعل التطويبات تستقيم، ليس فقط مع تعليم بولس الرسول عن الخلاص بالنعمة، ولكن أيضاً مع أمثال يسوع نفسه عن الملكوت، الذي يشبه وليمةً مجَّانيّة صنعها غَنِيّ، أو شبكة مطروحة في البحر لتدخلها كل أنواع السمك وغير ذلك من أمثال ملكوت السموات.

---

١٤ نفس المرجع السابق

١٥ نفس المرجع السابق

طوبى

تشير التطويبات إلى أن الملكوت قد صار متاحاً حتى للمساكين بالروح. المساكين بالروح هم الفقراء ليس مادّياً وإنما روحياً. نفس الكلمة المُتَرجمة «مساكين» هي الكلمة التي استخدمها يسوع عندما قال «الفقراء» معكم كل حين. ومن هم الفقراء روحياً[١٦] إذاً؟ إنهم ببساطة الخطاة. إنهم الضِعاف من حيث الروح، والعاجزون من حيث الإرادة والتحكم في السلوك، إنهم فاقدو السيطرة على سلوكهم من حيث الخمر والمخدرات والسلوكيات الجنسية والمالية والعلاقاتية، إنهم من يتمّنّون قطع العلاقات العاطفية الاعتمادية المريضة ولا يستطيعون، إنهم مدمنو المال والشهرة والعمل والإنجاز. إنهم المثليون الذين يريدون الخروج من أسلوب الحياة المثلي ولا يستطيعون، إنهم بائعات الهوى والمزواجات (مثل المرأة السامرية) الذين لا يرضون عن حياتهم وفي نفس الوقت لا يملكون القوة الكافية لتغييرها. إنهم الذين ليس لديهم أي استحقاق ديني، أو معرفة كتابية، أو«خِدمة». إنهم الذين لا يطلب أحد منهم أن يقودوا في الصلاة، أو في أي شيء له علاقة بالعالم الروحي. ملكوت الله قد اقترب لدرجة أنه حتى هؤلاء، إذا أرادوا، يمكنهم الدخول، جنباً إلى جنب مع الآباء؛ إبراهيم وإسحق ويعقوب.

ملكوت الله اقترب أيضاً من الحزانى. والحزانى ليسوا فقط من يشعرون بالحزن. لكي نعرف من هم الحزانى، علينا أن نستشير الفقرة المُقابلة من نبوة إشعياء، والتي اقتبسها المسيح في مجمع الناصرة ليُدَلِّل بها على اقتراب ملكوت السموات. إنهم النائحون، أي الذين فَقَدوا. إنهم «من ليس لهم» في هذا العالم. اقترب ملكوت السموات من الفاقدين أحباءهم، وكرامتهم، وصحتهم، ووظائفهم، وأطفالهم وطفولتهم، وشرفهم وسُمعَتَهم، وكُل شيء. هؤلاء إن كانوا قد فقدوا كل ما يُعطي الإنسان قيمة في هذه الحياة، لم يفقدوا إمكانية دخول ملكوت الله. بل أن هذا الملكوت لديه القدرة الخاصة التي تجعل الخسارات الفظيعة غير ممكنة

---

١٦ نفس المرجع السابق

التعويض في هذا العالم، تبدو غير ذات أهمية في ضوء عظمة الله ومحبته في ملكوت السموات.

أما تطويب الودعاء فلا يُقصد به: «كُن وديعاً لتَدخُل ملكوت السموات»، على العكس تماماً. وأيضاً لكي نفهم المقصود بالودعاء علينا أن نستشير الكتاب المقدس (وبالذات العهد القديم) لنعرف من هم الوُدَعاء. الودعاء هم الضعفاء في عالم لا يمجد إلا القوة. إنهم الذين لا يستطيعون امتلاك الأراضي في مُجتَمَعٍ زراعيّ، يعتبر أن أرض الإنسان هي عِرضه، وهم الذين ليست لديهم بيوت في الوقت الذي يُعتبر فيه بيت الإنسان هو هُوِيَّته. إنهم الذين ليست لديهم مكانة اجتماعية في عالم يُصنِّفُ الناس وفقاً لوظائفهم وسلطانهم وتأثيرهم. يريد يسوع أن يقول أن الذين لم يستطيعوا اكتساب الأراضي، والبيوت، والشهادات، والوظائف والمكانة في المجتمع، لم يفقدوا القدرة على امتلاك ملكوت السموات لأن الملكوت اقترب جداً وصار من الممكن للجميع دخوله. يقول المزمور«[١٧]: تَأَوُّهَ الْوُدَعَاءِ قَدْ سَمِعْتَ يَا رَبُّ. تُثَبِّتُ قُلُوبَهُمْ. تُمِيلُ أُذُنَكَ لِحَقِّ الْيَتِيمِ وَالْمُنْسَحِقِ، لِكَيْ لاَ يَعُودَ أَيْضًا يَرْعَبُهُمْ إِنْسَانٌ مِنَ الأَرْضِ». الودعاء إذاً هم اليتيم والأرملة والمُنسَحِق. إنهم الذين ليس لهم صوت في هذا العالم. إنهم الذين يقول عنهم بولس الرسول المُزدَرى وغير الموجود[١٨]. هؤلاء الذين لا يسمع أحد صوتهم، يسمع الله صوتهم ويفتح لهم أبواب ملكوت السموات.

يطوِّب المسيح أيضاً الجياع والعطاش إلى البر. وهؤلاء نوعان؛ النوع الأول هو الذين يجوعون ويعطشون للعدل في هذا العالم الظالم. سواء كانوا هم أنفسهم قد تعرضوا للظُلم أو يشاهدون الذين يتعرضون. إنهم من يشاهدون الأطفال ينامون في الشوارع ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً. إنَّهم من يشاهدون البنات والنساء يُنتَهَكن بكل الصور، والدين والمجتمع يُمارسان الصمت المتواطئ. إنهم

١٧ مزمور ١٠: ١٧

١٨ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ٢٨

من يرون حرمان الناس من حرياّتهم السياسية والدينية، في عالم خاضع لأنظمة كاذبة تدّعي الحُريّة. إنهم من يرون المساجين يُعَذَّبون وتنكسر القلوب عليهم ولا تستطيع الأيادي أن تفعل شيئاً. ذلك هو النوع الأول من الجياع والعطاش إلى البر والعدل. أما النوع الثاني، فهم الذين يجوعون ويعطشون للبر والصلاح في أنفسهم ولا يجدونه. إنهم المأسورون في عاداتهم وخطاياهم التي يريدون أن يتحرروا منها ولا يستطيعون. هؤلاء سوف ينالون الحرية والإطلاق في ملكوت الله كما تقول نبوة إشعياء.

أما أنقياء القلب فهم الشفَّافون في عالم يلبس أقنعة. إنهم من يحبون الحقيقة كما هي، في عالم اعتاد تجميل الحقيقة. إنهم الباحثون عن الكمال في عالم ناقص. إنهم المُحبَطون دائماً في أنفسهم وفي الآخرين وفي العالم. هؤلاء نُسَمِّيهم في الطب النفسي، الغير متوافقين Mal-adapters مع العالم، وعلاجهم في الطب النفسي العلماني هو أن يتوافقوا، وذلك لأنه علم النفس العلماني، يعتبر أن عدم التوافق هذا هو خطأ فيهم لأن الكمال غير موجود مُطلقاً. أما علاجهم فيما يُمكِن أن نسميه «الطب النفسي المسيحي»، فهو أن نقول لهم أنهم بالفعل غير متوافقين، ولكن العيب ليس فيهم بل في هذا العالم[١٩]. صحيح أن الكمال غير موجود في العالم، لكنه موجود في ملكوت الله، ولهذا السبب هم يشعرون بالضيق في هذا العالم. هؤلاء لا يقبلون العالم، ولا يقبلهم العالم لأنهم يشيرون إلى عوراته، لكن ملكوت الله قد أتى للعالم وصار متاحاً لهم، وفيه يستطيعون لأول مرة أن يشعروا أنهم قد ذهبوا إلى المكان الذي ينتمون إليه وينتمي إليهم ويستطيعون أن يعيشوه بشكل شخصي روحي مُتَدَرِّج في هذا

---

١٩ بالطبع ليس كل غير المتوافقين مع المجتمع بسبب عيوب في المجتمع، في أحيان كثيرة يكون العيب فيهم هم وفي معتقداتهم وتصوراتهم الخاطئة عن أنفسهم وعن المجتمع وعن الناس. لذا ينبغي أن يكون الحُكم سليماً من وجهة نظر المتخصص النفسي المسيحي.

العالم، ويدفعوا ثمن ذلك راضين، وإن كان الثمن عدم فهم الناس لهم، وربما إلحاق الضرر بهم أو حتى قتلهم.

جاء ملكوت الله أيضاً لكي يُبَشّر صانعي السلام. لا شك أن من يحبون السلام يشعرون في هذا العالم بإحباطٍ مستمر. وإذا راجعنا التاريخ سوف نجد أن أغلب من صنعوا سلاماً حقيقياً في هذا العالم أو حتى حاولوا، ماتوا مقتولين، ولسخرية القدر، ماتوا على أيدي نفس الناس الذين كان يريدون صُنع السلام من أجلهم، من سقراط إلى غاندي، إلى ديتريش بونهوفر، إلى مارتن لوثر كنج، إلى السادات، واسحق رابين، والقائمة لاتزال طويلة ومُستَمِّرة.

أما المطرودون من أجل البر، فلكي نعرف من هم، علينا أن نعترف أن هناك ثلاث مجموعات ممن يعانون بسبب غياب العدل في هذا العالم؛ مجموعتان قد تكلمنا عنهما بالفعل، وهم من يجوعون ويعطشون للبر والصلاح المفقود في العالم، وفي نفوسهم، أما النوع الثالث فهو من يتجرأون ويخطون للأمام محاولين أن يفعلوا شيئاً من أجل البر، فيُضْطَهَدون ويُعذبون. هؤلاء هم المطرودون من أجل البر.

وأخيراً نجد أن قائمة المُطَوَّبين تضم المضطهدين والمُعَيَّرين بسبب اتِّباعهم ليسوع. لاحظ أن الكلام هنا ليس بالضرورة عن المضطهدين لأنهم يعتنقون «المسيحية»، ولكن لأنهم مرتبطون شخصياً وسلوكياً بيسوع. أي يعيشون كيسوع ويسلكون كيسوع.[٢٠] هناك مسيحيون كثيرون اليوم غير مضطهدين مطلقاً، لأنهم ببساطة لا يعيشون كيسوع. إنهم ربما يتبعون «المسيحية» أكثر مما يتبعون «المسيح»، حيث أن اتّباعَ المسيح، ليس مجرد الاعتراف العقلي الشفهي به، وإنما الحياة كما عاش. فما معنى أن يرتبط الإنسان شخصياً وسلوكياً بيسوع؟

- أن تقبل الخطاة قبولاً لا تَنَازُلَ فيه، وفي نفس الوقت ترفض الخطية رفضاً ليس فيه تهاوُن. هذا يجعلك تأكل مع العشَّارين والخطاة وفي نفس الوقت

---

٢٠ الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٢

ترفض أسلوب حياتهم. تقبل المثليين وتحترمهم، وفي نفس الوقت لا توافق على أسلوب الحياة المثلي، ولا تعتبره أسلوباً صِحّياً وطبيعياً للحياة.

- أن تَحترمَ الجنس وتقبل الرغبة الجنسية كخليقة الله وتعلن ذلك بوضوح، وفي نفس الوقت، تقاوم بكل قوة الخضوع للشهوة والانحصار في النفس. عندئذٍ سوف يُهاجِمُكَ المتزَمِّتون والمُتَحَرِّرون على حدٍ سواء.

- أن تُصِرَّ على المقاييس الأخلاقية العالية (إن أعثرتك عينك فاقلعها)، وفي نفس الوقت، ترحم وتصبر على من لم يستطيعوا تحقيق هذه المقاييس الأخلاقية العالية.

- أن تكون شفافاً وتعترف بخطاياك مهما كنت في مواقع القيادة وتشجع الناس على ذلك، وفي نفس الوقت لا تتسامح مع هذه الخطايا، بل تقاومها بضراوة في نفسك وتساعد الآخرين لمقاومتها.

- أن تحب نفسك وتحترم طبيعتك الإنسانية وحقوقك واحتياجاتك، وفي نقس الوقت تكره خطيتك وأنانيتك وكبرياءك.

إذا عشت هكذا فتأكد أنك لن تُحرَم ممن يهاجمونك، وربما حتى يضطهدونك، ليس فقط من خارج المؤسسة الكنسية، بل ربما من داخلها أيضاً.

رسالة التطويبات إذاً هي أن الملكوت قد أصبح متاحاً للجميع لكن ربما لن يلاحظه ولن يطلبه إلا الذين لا يشعرون بالراحة في هذا العالم. لذلك فيالسعادة الذي لا يشعرون بالتوافق التام في هذا العالم! لأنهم أول من سيكون على الأسوار منتظرين عالماً آخر، أفضل، ليس أفضل من العالم الذي عاشوه فحسب، بل أفضل أيضاً مما تمنّوه في خيالهم.

عندما قَدَّمَ المسيح مَثَلَ وليمة العرس التي رفض حضورها المدعوون إليها،

قال إن صاحب الوليمة أمر عبيده أن يخرجوا للطُرُقات والأزقّة ويدعوا كل من يصادفونه مهما كان. رد الفعل الطبيعي عندما يدعوك أحدهم لوليمة مجانية في «فندق خمس نجوم» مثلاً، هو أن تتشكك بل وربما تخاف من هذه الدعوة، وتتساءل: «لماذا؟»، «ماذا يريدون منّي؟»، «ما هو المُقابل»؟، فتتردد في الذهاب. أما من يتضورون جوعاً، فسوف يدخلون، فهم على وشك الموت على أي حال فماذا سيُضيرُهُم؟ وعندما يدخلون و يجدون أن الوليمة حقيقية ومجانية بالفعل، فيالسعادتهم في ذلك اليوم! إذاً فطوبى للجوعى لأن تصديق الدعوة المجانية سيكون أسهل بالنسبة لهم، وويل «للشباعى» في ذلك اليوم لأنهم ربما يَتَشَكَّكون.

وعندما يدخل للوليمة كل من عاش أسلوباً مُخزياً للحياة، فسوف يكتشف أنّ الدعوة ليست فقط لوليمة طعام، بل سوف يرشدونه قبل الطعام، إلى حيث يغتسل بماء و «صابون» مجّاني مُعَطَّر، فلا يكون مطلوبٌ منه وقتها إلاّ أن يبذل مجهود «الاغتسال» بهما، وسوف تُقَدَّم له «ثياب عُرس» مجانية وجديدة مُلائمة له تماماً، ولن يكون مطلوباً منه وقتها إلا «مَشَقَّة» ارتدائها.[٢١]

إن رسالة التطويبات تقول بوضوح أن ملكوت الله قد صار مُتاحاً للجميع، لكن غير المتوافقين مع هذا العالم سوف يكونوا، أكثر قدرة على ملاحظة مجيئه، فطوباهم لذلك. إنهم الخطاة في عالم متدين. إنهم الفاقدون في عالم يبحث عَمَّن «يملُك». إنهم الضعفاء في عالم لا يمجد إلا القوة. إنهم الباحثون عن العدل في عالم ظالم ونفوس ساقطة. إنهم الرحماء في عالم لا يرحم. إنهم أنقياء القلب الشفافون في عالم يلبس أقنعة. إنهم الباحثون عن الحق والكمال في عالم ناقص. إنهم صانعو السلام في عالم أدمن الحرب والصراع. إنهم المضطهدون من أجل العدل والبر، والذين يتعرضون للهجوم وسوء الفهم لأنهم مع يسوع ومثل يسوع.

---

٢١ إنجيل متى ٢٢: ١١-١٤

بر الملكوت

بر الملكوت هو الصلاح الناتج من تغيير القلب وتحويله من محورية الخوف والخزي والسيطرة، إلى محورية المحبة والأمان والعطاء.

بعد ذلك لا يتوَرَّط يسوع في التنظير والتفَلسُف، وإنما يقفز مباشرة إلى واقع صراع حياتنا الأخلاقي اليوميّ: الغضب والثورة، الكراهية والشهوة، الزواج والطلاق، الاعتداءات بالقول وبالفعل، الإهانات، القهر، والتسَوُّل، وحب المال، والطمع والأنانية، وكل الأمراض الروحية والاجتماعية التي في هذا العالم. أولاً، لكي نعرف كيف نعيش يجب أن نُدرِكَ حالتنا الحاضرة، حيث ليس من يصنع صلاحاً ليس ولا واحد.[٢٢] ثم بعد ذلك، يبدأ يسوع في رسم صورة للنمو والجمال والاكتمال الأخلاقي في ملكوت الله. إن بر الملكوت هو الصلاح الناتج من تغيير القلب وتحويله من محورية الخوف والخزي والسيطرة، إلى محورية المحبة والأمان والعطاء، وذلك من خلال انتقال القلب من محورية «الذات» إلى محورية «الله». ملكوت الله هو أن يكون الله هو الملك على الحياة فيغيرها. تماماً كما يأتي ملك عادل صالح ليملك على الأرض، فيبدأ الصلاح في أن ينتشر في ربوع المملكة بدلاً من الظُلم والفساد.

كانت رسالة المسيح هي «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات»، ومعنى هذه الرسالة هو أن مُلكَ الله على قلوبكم قد صار مُتاحاً، و يمكن أن يبدأ الآن، فتحولوا من طريقة الحياة التي لا تثق إلا بالنفس، إلى طريقة حياة تثق بالله وعمله.

بعد أن سمع الشعب التطويبات، من المؤكد أنهم تساءلوا: «وماذا عن الناموس؟»، «نحن دائماً نظن أننا خارج ملكوت الله، لأننا فشلنا في تطبيق الناموس. هل هذا المعلم يقصد أن الناموس قد أصبح لاغياً؟» لذلك فإن يسوع يؤكد: «لا تظنوا إنني جئت لأنقض الناموس». لم يأت يسوع ليُلغيَ الناموس، وإنما جاء لكي

٢٢ الرسالة إلى أهل رومية ٣: ١٠-١١

يُكَمِّل الناموس، أي يُعيده إلى روحه التي قَتَلها التمسك بالتطبيق الديني الحرفي المتعسف. على سبيل المثال، فقد «كَسَرَ»المسيح السبت اليهودي، ليعود إلى سبت الناموس الحقيقي، فالسبت هو الراحة والتحرير والشفاء وليس التعب والقيود. وليس ذلك فقط، بل جاء ليُقَدِّم نقلة نوعية روحية جديدة للإنسان تُمَكِّنه، بقوَّة روح الله، من أن يعيش الناموس.

عندما يقول يسوع: «إن لم يَزِد بِرُّكُم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت الله»، فما معنى هذا؟ ما معنى الزيادة؟ ليست الزيادة هي الذهاب لأبعاد أكثر في التَشَدُّد، وإنما هي الذهاب لأبعاد أعمق في جذور النفس الإنسانية. كرر يسوع هذه العبارة في معرض الإشارة إلى بر الملكوت لكي يُفَرِّق بين بر التطبيق الخارجي للشريعة (بر الكتبة والفريسيين) وبر التغيير الداخلي للطبيعة (بر الملكوت)، وفي هذا التفريق، قدم ست قضايا أخلاقية أساسية تُظهِرُ ما هو البر الحقيقي عملياً. في هذه القضايا الست يكشفُ يسوعُ الفرق بين التعامل السطحي مع القضية، والتعامل العميق.

الأصل العميق في قلب الإنسان	السلوك الظاهري
الغضب والاستياء	القتل
الشهوة	الزنى
الأنانية والفردية	الطلاق
المناورة والرغبة في السيطرة	القَسَم
الفهم الخاطئ لمقاومة الشرّ	الانتقام
الفهم الخاطئ للانتماء	التَعَصُّب

لقد واجه المسيح التشويه الذي مارسه اليهود على الوصية، وليس ذلك فقط، بل قَدَّم التشخيص الروحيّ العميق لفشل الإنسان في تطبيق الوصية. أما العلاج الذي يجعل الإنسان يستطيع أن يعيش الوصية، فهو تغيير للطبيعة الإنسانية نفسها. وهذا التغيير ليس عَمَلاً يعمله الإنسان، بقدر ما هو تجاوب لعملٍ إلهي مُعجزيّ، يَلِدُ الإنسان ولادةً جديدة، يقبلها الإنسان بالإيمان ويُفَعِّلها بالطاعة والجهاد.

الموقف	الوصية	التطبيق اليهودي "الدين"	روح الوصية	أصل المشكلة	علاج المسيح (بر الملكوت)
احتكاكات بالمحيطين (٢١ - ٢٦)	لا تقتل	إقامة «الحد» على القاتل دون التعامل مع قضية الغضب. أي التعامل مع الجسد الذي يقتل، وليس القلب الذي يغضب ويكره.	تحب قريبك كنفسك. المحبة تجعلك تستطيع أن تتجاوز غضبك وتغفر.	أصل المشكلة هي في القلب. إنه الكبرياء والانحصار في النفس الذي يحول الغضب إلى كراهية وإيذاء قد يصل إلى القتل.	الذهاب، كعلاج للانحصار في النفس. إن أخطأ اليك أخوك، اذهب. إن تذكرت أن لأخيك شيء عليك، اذهب.
انجذاب جنسي (٢٧ - ٣٠)	لا تزن	إقامة «الحد» على الزاني، أو الزانية بقصد الردع (وكثيراً ما يكون الزانية فقط). مرة أخرى التعامل مع الجسد الذي يزني وليس القلب الذي يشتهي ما ليس له.	تحب الله من كل قلبك وقريبك كنفسك. عندما تحبّ قريبك وتضع نفسك مكانه لن تسمح لنفسك أن تشته امرأته. وعندما تحب امرأتك (زوجك) لن تسمح لنفسك أن تخونها (تخونيه). وعندما تحبّ نفسك سوف لن تخطئ إلى جسدك بالزنى.	المشكلة هي الانحصار في النفس الذي يحول الانجذاب والرغبة الجنسية إلى شهوة.	القلب المليء بالمحبة لله وللآخر وللنفس بصورة صحّية غير أنانية، يرفض أن يستخدم الإنسان بطريقة شهوانية. ولكي يتعامل الإنسان مع ما في قلبه من شهوة عليه تجنب كل ما يثير شهوته ويعترف لشخص آخر ويصلي معه لكي يُشفى من داء الشهوة (يعقوب ٥: ١٦).

اختفاء السعادة في الحياة الزوجية (٣١-٣٢)	لا تُطَلِّق بطريقة متعسفة، فمن يطلق زوجته يجعلها تزني، حيث لن تستطيع أن تنفق على نفسها.	وصية موسى: طلق «بالمعروف». من طلق امرأته يعطها كتاب طلاق. والمسيح يقول أن هذا لم يكن سوى لتخفيف الضرر وذلك بسبب قساوة قلب الشعب. التطبيق اليهودي: إذا أعطيت الورقة فلا توجد مشكلة لكيلا تعتبر «مُحصَنةٌ» زانية وترجم إذا ضُبِطت مع آخر.	تحب قريبك كنفسك (من يحب امرأته يحب نفسه) المحبة «كقرار» غير مشروط بالسعادة في الحياة الزوجية. بالطبع هذا في حدود التحمل الإنسانية.	أصل المشكلة هو أيضاً الانحصار في النفس، الذي يجعل الإنسان يُطَلِّق بدون سبب كاف. أو لا يحتمل امراته (أو تحتمل الزوجة زوجها). وهو أيضاً الانحصار في النفس الذي يجعل الشريك لا يخبر شريكه (شريكته) بوجود مرض، أو عجز، أو يضرب أو يهين، أو غير ذلك من «قساوة القلب».	الالتزام بعهود الزواج. الطلاق ضررٌ لا يتم اللجوء إليه إلا إذا كان هناك ضررٌ أكبر في استمرار الزواج. والزواج الثاني يكون بحسب إرشاد الروح للقادة والمرشدين الروحيين.
تريد أن تجعل شخصاً آخر يصدق ما تقول (٣٣-٣٧)	لا تشهد شهادة زور.	قل أي كلام تضغط وتناور به لكن لا تنطق كذباً.	تحب الرب من كل قلبك (لا تخف من الناس أو تحاول إرضاءهم أكثر من اللازم). أحد معاني محبة القريب، إعطاؤه الحرية وعدم السيطرة عليه ولا بالكلام والأقسام.	الانحصار في النفس الذي يؤدي للرغبة في السيطرة والمناورة بالكلام وتغليظه لجعله دراماياً مؤثراً.	ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فمن الشرير. لا تناور ولا تحاول السيطرة على الناس بالكلام.

تعرضت للإيذاء من شخص (٣٨-٤٢)	العين بالعين والسن بالسن.	قم بنفس الإيذاء ولا تبالغ في الانتقام.	روح الناموس هو العدل. تحب قريبك كنفسك. لا تحب نفسك أكثر من قريبك ولا قريبك أكثر من نفسك.	المشكلة هي في الانحصار في النفس الذي يؤدي للانتقام (محبة النفس أكثر من القريب)، وعدم فهم الطريقة السليمة لمقاومة الشر. فالشر لا يُقاوَم بالشر بل بالخير.[٢٣]	قاوموا الشر بالخير. الاستعداد للتنازل عن الحق يوقف تيار الكراهية. مع الاحتفاظ بحق الدولة في تطبيق القانون.
لديك عدو يكرهك. (٤٣-٤٨)	تحب قريبك كنفسك.	تحب قريبك وتبغض عدوك. (مع أن الناموس لم يقل «تبغض عدوك»)	ليس القريب هو المنتمي لنفس العرق أو الدين أو الوطن. القريب هو من يقترب منك، مهما كان. هذا هو المقصود بالقريب (السامري الصالح)	المشكلة هي الانحصار في النفس الذي يؤدي للكراهية لمن هو مختلف وذلك لحماية النفس منه.	أحبوا المختلفين عنكم، حتى ولو كانوا يكرهونكم. المحبة حماية أقوى من الكراهية. (ليس المقصود بالمحبة هنا بالضرورة العلاقة والصداقة، ولكن عدم الانتقام، وعدم تمني الشر، وعدم الفرح بالشر، بل تمني الخير والعمل عليه بقدر الاستطاعة).

٢٣ الدولة عليها أن تقاوم الشر و تطبق العدل (العين بالعين والسن بالسن) لكي تُقلل من الشر. أما ما يقضي على الشر تماماً (ولو في قلب إنسان واحد) فهو ألا يقاوم الإنسان المسيحي الشر، ولا حتى أن يستسلم له، بل يقاومه بالخير. هذا ربما يؤدي لحدوث ضرر، قد يصل إلى الموت، وهذا هو الاستشهاد الحقيقي.

أسلوب حياة الملكوت

يدور أسلوب حياة الملكوت حول الاهتمام بما هو روحي أكثر مما هو أرضي ومادي، وذلك لأن بني الملكوت قد أدركوا أن كل ما هو أرضي، زائلٌ وفانٍ، وكل ما هو سماويٌ، حيٌّ وباقٍ. هذا الفهم لملكوت الله لم يكن ممكناً بتلك الدرجة من العُمق، إلا بعد قيامة المسيح وظهوره لتلاميذه. لأنهم في ذلك الوقت أدركوا أن هذه الحياة الأرضية المادية تَحجُبُ عالماً روحياً آخر أسمى، مثلما كان جسد المسيح الأرضي يحجب مجده السماوي، وهذا قد رأوه من قبل حتى قبل قيامة المسيح، وذلك على جبل التجلي، عندما كشف لهم مجده السماوي وهو لا يزال بينهم لكنهم لم يستوعبوا. أما بعد أن قام المسيح وعاش معهم أربعين يوماً قبل أن يصعد، استطاعوا أن يدركوا حقيقة ذلك العالم الروحي غير المنظور، وكيف ينبغي أن ننتبه إليه أكثر بكثير من العالم الحاضر. هذا يجعل الهدف الأساسي لإنسان الملكوت، التفاعل الحميم مع ما يفعله الله في التاريخ الإنساني والالتزام بالمصلحة العليا لله والناس (بما في ذلك النفس)[٢٣] وهذه المصلحة العليا هي دائماً روحية.

الهدف الأساسي لإنسان الملكوت هو التفاعل الحميم مع ما يفعله الله في التاريخ الإنساني، والالتزام بالمصلحة العليا لله والناس (بما في ذلك النفس) والمصلحة العليا هي دائماً روحية.

لا تهتّموا!

كانت هذه هي الكلمة المحورية التي كررها المسيح طوال الأصحاح السادس من إنجيل متى. وغياب الاهتمام الذي قال المسيح أنه ينبغي أن يُمَيِّز بني الملكوت، يدور حول أمرين يستأثران باهتمام البشر في كل مكان وهما «المال» و «الناس»، وفي الأصحاح السادس من إنجيل متى يقدم المسيح تحذيراً واضحاً من هذين

23 Dallas Willard, *The Divine Conspiracy*

الأمرين من السهل جداً أن ندعوهما «إلهين» من دون الله.[٢٤] وكلما جاهدنا لكي نضع هذين الأمرين في مكانهما الصحيح، كلما نمونا في حياة الملكوت.

لا يكفي أن تجعل الله ملكاً «شرعِيّاً» على حياتك بل ينبغي أن يكون مَلِكاً «فِعلياً» أيضاً، يملُك ويحكُم، وذلك بأن تقاوم الملوك الآخرين الذين يملكون على قلوب الناس من حولك، ويحاولون دائماً أن يستعيدوا مُلكهم على قلبك ولو بالتدريج. لذلك فلكي يقاوم إنسان الملكوت ذلك الإله المدعو «الناس»، يوصي المسيح بني الملكوت ألا يطلبوا المجد من الناس عن طريق الممارسات الدينية العلنية التي يبتغون منها أن يبدوا متدينين أمام الناس. بالطبع ليست الممارسات الدينية شيئاً نخجل منه أو نخفيه. لكن القضية دائماً هي توجّه القلب. هل تفعل ما تفعله تعبيراً عن علاقتك بالله؟ أم لكي تمتدح من الناس؟

أما عن إله «المال»، فيقول المسيح أن كل إنسان له «كَنزٌ»، والكنز هو الشيء الذي له القيمة العظمى بالنسبة لذلك الإنسان، مما يجعله مرتبطاً بروحه، أي بقلبه وكيانه الداخلي. لذلك قال يسوع: «حيثما كنزُك فهناكَ قلبُك أيضاً». أن تحب الله من كل قلبك هو أن تجعله، وتجعل الحياة معه، كنزك الأسمى. هذا الاهتمام لا تعبر عنه الكلمات بقدر ما تعبر عنه الاختيارات الفعلية في الحياة. ربما يكون الكنز مالاً، أو علاقاتٍ، أو وظيفةً، أو مهارةً، أو موهبةً، أو سمعةً، أو تعليماً، أو جنسيةً، أو أي شيء. هذه الأشياء بالطبع مُهِمة، لكن لا يكونُ الإنسان تلميذاً للمسيح، إلا بعد أن تتوقف هذه الأشياء عن السيطرة على حياته.

تكلم يسوع عن العين البسيطة. والعين البسيطة هي التي لا تعاني من الرؤية المزدوجة، أي لا تعاني من بؤرتين للصورة. وعلى أي حال لا يستطيع الإنسان أن يستمر في الرؤية المزدوجة لوقت طويل، ففي النهاية تنتصر بؤرة على الأخرى، لذلك يقول يسوع «لا تستطيعون أن تخدموا الله والمال». ربما نظن أننا نستطيع

---

٢٤ نفس المرجع السابق

أن نجمع بين الاثنين لوقتٍ، لكن سوف تأتي دائماً وقَفَات «وجودية» علينا فيها أن نختار. ومن نختاره وقتها، يكون هو إلهنا الحقيقي، مهما كان ما نقوله بشفاهنا.

العلامة المميزة لتغلغل حياة الملكوت في قلب الإنسان هي أنه لا يخاف ولا يقلق بشكل مزمن. أي لا يهتمّ. عدم الاهتمام هنا لا يعني الإهمال وإنما يعني «عدم حَمل الهَمّ». يمكن لبني الملكوت أن يفكروا ويخططوا ويعملوا حساب الغد،[٢٥] لكنهم يفعلون ذلك دون خوف مبالغ فيه أو هَمٍّ مستمر. ليس ذلك لأنهم يؤمنون أن الله سوف يتدخل دائماً بصورة مادِّية، فيرزقهم مالاً وفيراً، أو يحميهم من كل الأخطار، ولكنهم لا يقلقون لأن الحياة الماديّة كلها، لَم تعد هي كنزهم الأسمى، وذلك لأنهم قد اكتشفوا أن هذه الحياة كلها، بما فيها من حلوٍ ومرٍ، ليست سوى مدخل إلى حياة أخرى أبدية.

لذلك يتكلم يسوع عن أنه كلما تأصلت حياة الله (حياة الملكوت) في قلب الإنسان، فإنه يتوقف عن التعامل مع مخاوفه بمحاولات السيطرة على المواقف، وإنما يتعامل معها بالتسليم لله، وبتذكير نفسه أن كنزه الحقيقيّ ليس في هذه الأرض، فلا يحاول السيطرة من خلال كَنز المال لكي يشعر بالأمان، ولا من خلال التحكم في الناس بالكلام المعسول أو الأقسام ومناورات الكلام، ولا من خلال الشعور بالتفوق من خلال إدانة الناس والإشارة إلى عيوبهم متجاهلاً عيوبه.

أما حلّ الخوف في ملكوت الله، فهو من خلال الثقة والتسليم لله، والإيمان بأن ملكوت الله، يفتح عيوننا على أن عطيته الحقيقية الأصيلة لنا هي أنه أعطانا حياته (الحياة الأبدية) التي سوف تجعلنا شركاء معه إلى الأبد، وكل ما يعطيه لنا في هذه الحياة، يأتي في مرتبة تالية. الإيمان بملكوت الله هو الإيمان بأن الواقع الإلهي الفائق للطبيعة موجودٌ دائماً ومضفور في الواقع المادي. وأن «يولد الإنسان من فوق»، بلغة العهد الجديد فهذا يعني أن يشترك الإنسان ويبدأ في

---

٢٥ إنجيل لوقا ١٤: ٢٨

التفاعل بشكل حميم مع واقع إلهي ديناميكي حيّ، غير منظور يحيط بكل ما يحيا فيه الإنسان مثلما يحيط هواء الغلاف الجوي بنا من كل جانب.[٢٦] وفي كل من العهدين القديم والجديد، وفي خبرة بعض الناس هنا والآن، نجد أن السماء ليست ذلك المكان البعيد، ولكنها كثيراً ما تخترق الأرض وتغزوها بزيارات وظهورات وتفاعلات يُدرِكها من لقلوبهم عيون مفتوحة.

قوة الملكوت

بعد أن تكلم يسوع عن التعامل مع الغضب، والرغبة الجنسية، والزواج والطلاق، والعلاقات، والكلام، والتعامل مع الأعداء. وبعد أن حَذَّر من خطورة التعامل مع الخوف والقلق بالاعتماد على المال أو الناس من دون الله، يأتي إلى القوة المحورية التي تجعل كل هذا ممكناً. إنها المحبة غير المشروطة (أجابى) وهذه يضعها يسوع في نهاية الموعظة على الجبل في صورة القاعدة الذهبية:[٢٧]

«كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم.»

هذا هو الناموس والأنبياء. إنه مَحبة القريب وقبوله والتعايش معه، كما يقبل الإنسان نفسه بأخطائها ويسامحها ويتعايش معها. وتظهر تجليات هذه المحبة في صورة ثلاثة أمور:[٢٨]

القبول وعدم الإدانة

الحرية وعدم السيطرة

الطلب بتواضع من الله والآخرين

---

26 Dallas Willard, The Divine Conspiracy
27 Dallas Willard, The Divine Conspiracy
28 Dallas Willard, The Divine Conspiracy

إذا كانت المحبة غير المشروطة تتجلى في القبول وعدم الإدانة[٢٩] للآخرين، فهل يعني هذا موافقتنا على كل شيء يفعلونه، حتى وإن كنا نرى أنه خطأ أو مضرّ؟ ماذا إذاً عن النمو؟ ماذا عن التغيير؟ ماذا عن التصحيح؟ ألا يمكن أننا إذا قبلنا الآخرين كما هم، أن يظلّوا كما هم ولا ينموا ولا يُصَحِّحوا من سلوكهم. هنا يجدر بنا الكلام عن قضية القبول والموافقة. القبول يعني عدم إدانة ورفض الإنسان ووصمه، لكنه لا يعني الموافقة على كل ما يفعله. أيضاً قبول النفس لا يعني الموافقة على كل ما بها من أخطاء واحتياج للنمو والنضوج. لقد رأيت بعينيّ في حياة الكثيرين، أنهم عندما يحصلون على قبول ومحبة غير مشروطة من أشخاص ومجتمعات، وفي نفس الوقت عدم موافقة على الخطية، فإن قوة الله تبدأ في العمل فيهم فيستطيعون التوقف عن عادات وخطايا حاولوا كثيراً التوقف عنها ولم يستطيعوا، بل يبدأون أيضاً في عمل أعمال محبة لم يتصوروا في يوم من الأيام أن يكونوا قادرين على القيام بها. إننا عندما نقبل بعضنا بعضاً فإننا نفتح المجال للقوة المعجزية للملكوت الإلهي أن تعمل فينا.

التجلي الثاني للمحبة غير المشروطة هو الحرية وعدم السيطرة. قد تظهر السيطرة بشكل واضح كريه من خلال القهر والقمع، أو ربما بشكلٍ خفي خبيث من خلال الضغط على الآخرين من أجل مصلحتهم. أحياناً يكون هذا من خلال فرض شيء بالقوة على شخص ليس مؤهلاً للاستفادة منه بعد فيكون هذا الشيء مُضرّاً له بالرغم من أنه شيء صالح ومفيد جداً على وجه العموم. إنه بمثابة إلقاء القدس للكلاب أو طرح الدرر أمام الخنازير. الكلام عن «الكلاب» و«الخنازير» هنا لا يُقْصَد به الإساءة، كما أنه لا يشير إلى القيمة والاستحقاق وإنما الي إمكانية الاستخدام.[٣٠] المقصود هنا هو«لا تعطي شيئاً لشخصٍ ليست لديه النيّة أو القدرة لتقدير قيمته» فهو عندئذ لن يستفيد به بل سوف يهدره. بالرغم من محبتنا للكلاب، إلا أنه لم يكن من المتوقع منها أن تحترم الآنية المقدسة التي في

٢٩ متى ٧: ١-٤

30 *Dallas Willard, The Divine Conspiracy*

الهيكل مثلاً، وليس مقبولاً أبداً تقديم الطعام لها في هذه الآنية. كما أن الخنازير ربما تأكل أي شيء، لكنها لن تستطيع هضم «اللآلئ» مثلاً، فلماذا تُقدِّم لها دُرَراً لن تفيدها، وفي نفس الوقت تُهان هذه الأشياء الغالية وتُداس بالأقدام.

التجلي الثالث والأخير للمحبة غير المشروطة في ملكوت الله هو الطلب. في ملكوت الله ينبغي أن يحل الطلب والعتاب، محل اللوم والهجوم، والمشاركة محل الجدل، والاستماع محل الإقناع، وعرض المساعدة محل السيطرة وفرض الآراء. إن أخطأ إليك أخوك، اذهب وعاتبه واطلب منه أن يعاملك بطريقة أفضل. وحتى إن لم يستجب، فاقبله كما هو واحتمله واغفر له. يمكن أن تضع مسافة بينك وبينه لكيلا تتعرض للضرر، فملكوت الله هو ملكوت المحبة، أي استهداف المصلحة العليا والحماية للجميع، بما في ذلك النفس. أيضاً إن تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك اذهب اصطلح، أي «اطلب»الصفح والمغفرة. وكن مستعداً ألّا يغفر لك. تَحَرَّك بدافع حياة الله التي بداخلك دون أن تهتم كثيراً برد فعل الآخرين.

أما عن العلاقات في الملكوت، فهي ينبغي أن تكون فيما يُسَمّى «مجتمع المحبة المُصَلِّية» ويمكن أن نُلَخِّص طبيعة العلاقات في الملكوت بهذين الشعارين اللذين يتَّزِنان معاً: لا علاقات غير روحية. و لا روحانية غير إنسانية. أي لا علاقة لإنسان بإنسان إلا من خلال المسيح،[٣١] وهذا يجعل التعامل يصطبغ بصبغة الملكوت دائماً. وفي نفس الوقت لا علاقة بالمسيح بدون الناس فإِنْ قَالَ أَحَدٌ أنه يُحبّ الله ويبغض أخاه فهو لا يُحب الله الذي يشهد عنه العهد الجديد،[٣٢] إذاً لا علاقة فيما بعد، مع البشر بدون المسيح في المنتصف، ولا علاقة بالمسيح بدون البشر كهدف.

---

٣١ كورنثوس الثانية ٥: ١٦

٣٢ يوحنا الأولى ٤: ٢٠

الصلاة

أخيراً يأتي دور «الطلَب» من الله (أي الصلاة). ففي النهاية لأننا لا نستطيع بأنفسنا أن نغير أنفسنا أو نغير الآخرين، فهناك حقيقتان هامّتان عن الصلاة وهما، أولاً: الصلاة طلب من الله، ثانياً: الصلاة تدرّيب على المُلك.[٣٣] لأن الصلاة هي علاقة تفاعل حقيقي حر، فإننا نتكلم فيها مع الله عن كل ما يَهُمُّنا. من الطبيعي عندما تجلس مع صديق حميم فإن أول شيء سوف تكلمه فيه، هو ما يشغلك. صحيح أن التسبيح والشكر توجه أساسي بدونه لا نستطيع أن نُصَلِّي، ولا أن نتعامل مع الله أساساً، لكن الكتاب المقدس دائماً ما يتكلم عن أن الصلاة هي الطلب من الله والتضرع إليه[٣٤] وفي الأصحاح السابع عشر من سفر إرميا، يظهر ذلك الاتّزان العجيب في شخصية الله، بين السيادة والسلطان التام لله على البشر: (كطين بيد الفخاري)، وبين تجاوب الله الحميم معهم: (أندم على الشر أو الخير).

إن الله عظيم بما فيه الكفاية أن تكون لديه مرونة، يستطيع بها أن يستجيب لنا في أمور حياتنا، وفي نفس الوقت يحقق مشيئته العامة في الكون. الله اختار بمحض إرادته وسيادته الكاملة أن يجعل نفسه متأثراً بنا.

أما بالنسبة لكون الصلاة تدريب على الملك فالصلاة تدربنا أن تكون لنا «كلمة» في هذا الكون، مثل أمير يتدرب على الحكم. نحن سوف نملك مع الله[٣٥] مُلكاً أبدياً على عوالم لا نعرفها. المَلِك يعمل من خلال الكلام. أن يعرف أن يقول الكلمات السليمة فيتم تنفيذ الأمر. إننا من خلال الصلاة المستجابة وغير المستجابة، نعرف ما هي طبيعة مشيئة الله في هذا الكون، لكي نستطيع أن نَمْلُك معه هنا في هذه الأرض (بشكل محدود) وفي السماء بشكل أعمق وأقوى.

---

33 Dallas Willard, The Divine Conspiracy

٣٤ خروج ٣٢: ١١، ١٤، ٢ مل ٢٠: ١-٦، إرميا ١٧: ٢-١٠

٣٥ رؤيا يوحنا ٢٢: ٤

البرنامج التدريبي لذلك المُلك هنا على الأرض هو الصلاة. إذا أنفقت أغلب وقتك تفعل الأمور بيديك، فأنت تتدرب على برنامج سوف يفنى. ليس هو البرنامج الأحدث. في الصلاة نحن نتدرب على البرنامج الجديد الذي لم يصدر بعد وهو أن نُغَيِّر في الكون بكلمة. في بعض الأحيان ينبغي أن نصبر وننتظر ونستمر في الصلاة ونحن لا نرى نتائج، فهذا أيضاً ربما يكون في بعض الأحيان جزءاً من البرنامج. حيث أن الصبر يُزَكّينا،[٣٦] أي يصنع فينا شخصية أفضل.

هذه "الشخصية الأفضل"، شخصية "إنسان الملكوت"، سوف تكون محور الفصل القادم. ينبغي أن نعلم ما هو «شكل» هذا الإنسان ونقع في غرامه، وفي غرام أن نكون مثله. إن إنسان الملكوت باختصار هو شخص المسيح يسوع الذي يدعونا لأن نلبسه ونصير مثله ويَتصوَّر هو فينا.

في النهاية يمكن أن نلخص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١- لقد اقترب ملكوت الله من البشر وأصبح متاحاً للجميع أن يدخلوه.

٢- أكثر الناس تطلعاً للملكوت هم الذين لا يشعرون بالراحة في هذا العالم. إما لأن العالم يرفضهم، أو هم يرفضون العالم ويتطلّعون لعالمٍ أفضل.

٣- بر الملكوت ليس هو التغيير الخارجي للتوافق مع تعاليم، وإنما تغيير القلب من الداخل.

٤- أسلوب حياة الملكوت هو الخضوع لسلطان الله والإيمان بقوته، والتسليم التام له.

---

٣٦ الرسالة إلى أهل رومية ٥: ١-٥

٥ - قوة الملكوت هي المحبة غير المشروطة «أجابى» وهي تتجلى في ثلاثة أمور؛ وهي القبول وعدم الإدانة، الحرية وعدم السيطرة، الطلب بتواضع من الله والآخرين.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

فيما يلي بعض الاقتراحات لتدريبات عملية لترسيخ مفاهيم ملكوت الله في العقل والقلب.

التأمل. اقرأ التطويبات ببطء وتركيز. أين ترى نفسك في هذه المجموعة من البشر. ربما في مجموعة بعينها، أو في أكثر من مجموعة. اشكر الله أنك في هذه المجموعة، وأنك استشعرت عدم الراحة في هذا العالم وتطلّعت إلى الملكوت. اشكر الله على هذا الملكوت المُتاح الذي لا يحتاج للدخول إليه إلا القبول والإيمان.

حفظ الفقرات الكتابية. اقرأ مراراً الأصحاح الحادي والستين من نبوة إشعياء وقسّمه إلى أجزاء. تحدّى نفسك أن تحفظه على مدار أسبوع. اكتب فقرات منه على بطاقات واحتفظ بها في جيبك، ورددها بينك وبين نفسك وتأملها، وأنت في أوقات الفراغ في المترو أو الأتوبيس أو القطار.

الاعتراف. خلال نفس الأسبوع الذي تُدَرِّب نفسك فيه أن تحفظ (إشعياء ٦١) ضع أمامك كل يوم في وقت خلوتك هذه النقاط وافحص نفسك من خلالها: الغضب، الشهوة (الجنسية، الطعام، الكلام)، الأنانية والفردية والرغبة في إثبات وجهة النظر على حساب الآخرين، المناورة وتجميل الكلام للحصول على مآربك، الانتقام ومقاومة الشر بالشر. اكتب ما تراه في نفسك واعترف لأحد أصدقائك المُقَرَّبين.

البساطة. اكتشف ما هي الأمور المادية التي تهتم بها أكثر من اللازم وتحدّى نفسك أن تقلل اهتمامك بها قليلاً. هل كمية الطعام ونوعيته؟ هل نوعية الملابس؟ هل المظهر الاجتماعي أمام الناس؟ هل أن تبدو دائماً بمظهر العارف بكل الأمور؟

التضحية. فكِّر في التضحية ببعض الأشياء التي ترى أنها زائدة عن احتياجك واعطها لشخص ترى أنه يحتاجها أكثر. ربما ملابس، أو أجهزة، أو مال. صلّ أن يرشدك الله إلى مواقف تتخلى فيها عن وجهة نظرك وتخضع لشخص آخر، حتى وأنت ترى أنك على صواب.

الفصل الثاني

إنسان الملكوت

يتكلم كثيرون في مصر والعالم العربي الآن عن ظاهرة آخذة في الازدياد بين الشباب العربي في القرن الحادي والعشرين، وهي ظاهرة الشك في الدين، الذي ربما يصل إلى «اللادينية» أو الإلحاد، وهي ظاهرة تسير بشكل متوازٍ مع ظاهرة المَدّ الديني الذي يصل أيضاً إلى التطرف وربما العُنف الديني. وهذا ربما يكون عجيباً بالنسبة للبعض، لكن العجب يزول عندما نُدرِك أن هاتين الظاهرتين تُعَبِّران عن شيء واحد يمتلك قلوب الشباب في عصر ما بعد الحداثة، الذي يمكن أن نسميه أيضاً عصر التواصل الرقمي أو عصر الإنترنت، هذا الشيء الواحد هو الجوع الروحي.

الجوع الروحي والتوق للحقيقة المُطلَقة هو ما يدفع الشباب إلى التَدَيّن وربما التطرف، وهو الذي يدفعهم أيضاً إلى الإلحاد.

هذا التوق للحقيقة المُطلَقة، هو ما يدفع الشباب إلى التَدَيّن وربما التطرف سعياً وراءها، وهو الذي يدفعهم أيضاً إلى اللادينية والإلحاد، يأساً من الوصول إليها، أو بصورة أدَق، يأساً من الوصول إليها عن طريق الأديان.

البحث عن الخبرة الروحية المتجاوزة

من الأمور التي بدأت أن ألمسها في عملائي في العيادة وأصدقائي على مواقع التواصل خلال السنوات الأخيرة، أن عدداً متزايداً من الشباب، وبخاصة المثقفون المتصلون بروح العصر، قد أصبحوا الآن يميلون لاستخدام عبارة «العلاقة مع الله» أكثر مما يستخدمون كلمة «الدين» أو «التَدَيُّن» أو «الالتزام»، حتى وإن كانت خلفياتهم الدينية ربما تتعارض مع مفهوم «العلاقة الشخصية» مع الله. لم يعد هذا التعارض يُقلِق هذه النوعية من الشباب. ربما لا يستخدمون كلمة «شخصية» في وصف العلاقة مع الله، إلا أن الطريقة التي يصفون بها هذه العلاقة، لم تعد مقتصرة على مجرد الطاعات أو أداء فروض العبادة و رُبما يكون السبب وراء ذلك هو الإعلاء من شأن التواصل والعلاقة، الذي يتميَّز به هذه العصر أكثر من أي عصرٍ مضى، لكن ما لا نستطيع أن ننكره، أن هذه النوعية من الشباب قد أصبحوا أكثر روحانية وتوقاً للعلاقة مع الله، وفي نفس الوقت أصبحوا أكثر قدرة على انتقاد الدين الشكلي.

> الخبرة الروحية التي يبحث عنها الإنسان في أعماقه هي الخبرة اَلتي تصله بالمطلق، وفي نفس الوقت تصله بأعماق نفسه وتصله بالآخرين وتُغَيِّرهُ أخلاقياً.

في العصر الحديث كان هناك ثمة صراع بين العلم والدين، وكان الشباب ينقسمون بين معسكرين؛ معكسر مناصري العلم والعلمانية، وأغلبهم في ذلك الوقت، كانوا يعتنقون الفكر اليساري، ومعسكر المتديِّنين الذين يتخذون من العلم موقفاً، إن لم يكن معادياً، فعلى الأقل متشكك ومتوجِّس. كان هذا في عصر الحداثة حتى النصف الأخير من القرن العشرين، أما الآن في عصر ما بعد الحداثة، فقد أصبحت هناك نوعية من الشباب، برغم احترامهم للعلم من ناحية، وفروض الدين من ناحية أخرى، فإنهم قد أصبحوا يتشككون كثيراً في

أن أياً منهما بمفرده يُمكن أن يشبع جوع الإنسان للحقيقة. فلم يعد العلم يكفي، ولا الدين أيضاً يكفي. لقد أصبحت هذه الفئة من الشباب أكثر عطشاً لخبرات روحية لم تستطع النظريات العلمية أو الفروض الدينية أن تقدمها. صحيحٌ أن هذه الفئة لا تشكل بعد الأغلبية إلا أن أعدادها تتزايد وبالذات بين المتعلمين والمثقفين. وها هو أحمد العسيلي أحد الكُتّاب الناشئين يقول في كتابه الذي وصل للطبعة الرابعة في أقل من سنة:[٣٧]

> علشان البني آدم يحمي نفسه من إن صلاته تبقى روتين موظفين في رأيي ما فيش غير حل واحد، لازم تعرف إنت بتصلي ليه... يعني أكيد مش المهم إنك تقوم وتقعد ولا إنك ترسم صلبان على صدرك. المهم هو إيه اللي ورا اللي انت بتعمله ده؟ بتصلي ليه؟ بتصلي علشان يحصل إيه؟ تصلي علشان تدخل الجنّة، أو تصلي علشان خايف من النار. مش كفاية خالص. طبعاً أبداً ما باقولش إن ما فيش مننا ناس عندهم فلسفة حقيقية وجميلة من ورا الصلاة، بل أتعشم أن يكونوا كثيرين، اللي خشوعهم في صلاتهم يبرتقي بأرواحهم وبيقربهم من خالقهم، مما ينعكس على أخلاقهم ومعاملاتهم وشغلهم ووجهات نظرهم والطريقة اللي بيعيشوا بيها.

الخبرة الروحية التي يبحث عنها الإنسان في أعماقه هي الخبرة التي تصله بالمطلق الذي يتجاوز محدوديته، وفي نفس الوقت تصله بأعماق نفسه، وتصله بالآخرين وتُغَيِّرُهُ أخلاقياً. هذه الخبرة هي اللقاء الحقيقي بالله.

بعض الشباب أصبح يلجأ إلى الإفراط في التَدَيُّن عَلَّه يصل إلى تلك الخبرة الروحية يوماً ما، والبعض الآخر عندما لم يستطع الحصول على هذه الخبرة من خلال الدين، قرر أن يهجر الدين ويخاصم الله ويعتبره غير موجود كنوع من التمرد والغضب لعدم حصوله على تلك الخبرة الفائقة للمادّي والملموس والتي

٣٧ أحمد العسيلي، *كتاب مالوش اسم* (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩) ص ٢١.

تقفز به، كما تتوق روحه، إلى ما هو وراء حياته الحاضرة.

الافتتان بإنسان العصر الحديث

بالإضافة إلى الإحباط في الحصول على الخبرة الروحية المتجاوزة، أتصور أن أحد أهم أسباب الميل للإلحاد بين الشباب المعاصر، هو الافتتان بإنسان العصر الحديث الذي يبدو أنه يتحرر ويتقَدَّم كلما تخلص من قيود الدين. لم يعد شبابنا تنطلي عليه الدعايات المحلية التي تربط الغرب الكافر بكل ما هو منافٍ للقِيَم والأخلاق، فشبابنا الذي أصبح مُتَّصلاً بالعالم الخارجي، كما لم يكن من قبل، أصبح يدرك أن الشباب الذي لا يؤمن بالله، في مفهوم الديانات «السماويَّة»[٣٨]، سواء في الغرب أو الشرق مثل الصين واليابان، ليس شباباً مُدلّلاً استهلاكياً لا يدرك قيمة أي شيء، ولا يُقيم وزناً للأخلاق. في هذا الصدد يكتب دون تابسكوت في كتابه جيل الإنترنت أن شباب جيل الإنترنت ليسوا حفنة من المُدَلَّلين المهووسين بالإنترنت والأجهزة الإلكترونية الحديثة، يتسمون بضعف التركيز ويفتقرون إلى المهارات الاجتماعية، ولكنهم بدلاً من ذلك يمثلون مجتمعاً ذكياً على نحو رائع، توصل إلى طرق جديدة ثورية للتفكير والتفاعل والعمل والمشاركة الاجتماعية.[٣٩]

---

٣٨ لم أجد في اللغة العربية تعبيراً دالاً ومفهوماً لدى الكافة، سوى هذا التعبير للإشارة إلى ما يسمى Theistic Religions وهي الأديان التي ترى الله شخصية أخلاقية لها مطالب سلوكية وتشريعية وليس مجرد قوة روحية عظمى.

٣٩ دون تابسكوت، *جيل الإنترنت. كيف يغير جيل الإنترنت عالمنا*. ترجمة حسام بيومي محمود (القاهرة: كلمات عربية، ٢٠١١).

يمكن أن نضيف أيضاً أن هذا الجيل ليس بالضرورة الجيل الذي ترك الإيمان بالله لرغبته في التَمَرّد والتحرر من القيود، وإنما ربما لأنه لم يجد في الدين ما يقنعه ويقدم له ما يريد. هذا الجيل يتميز بالتسامح وقبول الآخر، وهذا ما لم يجدوه في الأديان التي تقول إن من ليس منّا، ليس فقط ديننا بل طائفتنا، هو مارق كافر سيقضي الأبدية يتلوّى على نيران العقاب الإلهي.

كيف يمكن أن يؤمن الشباب بالأديان، وهم يرون أتباعها يقولون ما لا يعيشونه ويعيشون ما لا يعترفون بأنهم يعيشونه.

هذا الجيل أيضاً يتميز بالبحث الصادق عن كل ما ينجح What works! هذا الجيل من الشباب يبحث عن الاختبار المباشر ويترددون كثيراً في تبني الأفكار التي لا يمكنهم أن يختبروها ويتحققوا بأنفسهم من إمكانية تطبيقها. في عصور سابقة كان من الممكن أن يتأثر الناس بحلو الحديث أو لباقة الكلام أو ربما حماس المتكلم أو ترابط أو منطقية كلامه. لكن الشباب اليوم بالرغم من تأثرهم بكل هذه الأشياء، إلا أنك تجدهم بعد قليل يرفعون أكتافهم وترتسم على وجوههم نظرة التساؤل: «ما معنى هذا بالنسبة لي الآن، وكيف يمكنني تطبيقه؟ وإذا طَبَّقتَهُ، هل سيكون مفيداً؟ هل سيُغَيِّر حياتي للأفضل؟»

كيف يمكن أن يؤمن الشباب بالأديان، وهم يرون أتباعها يقولون ما لا يعيشونه، ويعيشون ما لا يعترفون بأنهم يعيشونه. كيف يؤمنون بإله لم يغير أتباعه للأفضل، بل يظل أتباع ذلك الإله أقل صدقاً وأقل إنسانية وأقل محبة للآخرين؟ إن افتتان شباب هذا العصر بإنسان العصر الحديث قد تجاوز احترامهم التقليدي القديم للإنسان المؤمن بالله، أو المُتَدَيِّن. وأظن أن افتتانهم هذا له ما يُبَرِّره. فإنسان العصر الحديث عقلاني لا يقبل ما يتناقض مع العقل والمنطق. ربما يقبل ما يعلو «فوق عقله» ويتجاوز معرفته الإنسانية المحدودة الآن، لكنه لا يقبل أن تتناقض الأشياء المعروفة مع بعضها البعض، وذلك فقط تحت شعار أن هذا

هو «كلام الله» أو «المكتوب في الكُتُب». كما أن إنسان العصر الحديث مستعد لأن يجرِّب كل شيء ويمتحن كل ما تصل إليه حواسه ولا يتمسك إلا بالحَسَن والذي تثبت الأيام صدقه ويقف بشموخ أمام التجربة العملية التطبيقية. إنسان العصر الحديث صادق مع نفسه ومع الآخرين. لا يخدع نفسه ولا يُغيِّر ما يراه بعينيه ويختبره بحواسّه ليوافق تراثه وموروثه من «الثوابت». إنسان العصر الحديث لا يقبل إلاّ أن يعيش المرءُ ما يقوله، ويقول ما يعيشه. ولا يقبل أن يتبع مبادئ يُنَادَى بها ولا تُعاش في الواقع، ولا تُغَيِّر ذلك الواقع إلى واقعٍ أفضل من كل الوجوه. إنسان العصر الحديث متسامح يقبل الآخرين مهماً كان لونهم ودينهم وثقافتهم، ويرفض بشكل شبه فطري، كل من يعتبر أنه وحده الحق وما عداه مرفوض ومنبوذ. إنسان العصر الحديث يتطلع إلى المستقبل ويتوق إليه ويستشرفه ويُغَيِّر فيه ويصنعه، ولا يميل نحو الانكفاء على الماضي بنوستالجيا مريضة. إنسان العصر الحديث يؤمن بنفسه وبقوته، ولا ينكرها ولا يميل لأن يكره نفسه ويحُطّ من شأنها وذلك لكي يرضي «صورة إلهية» تُصوِّر الله إلهاً مريضاً بعدم الأمان، يستمد قيمته من تواضع قيمة مخلوقاته، ويتناسب الإيمان به طَرْدِيّاً مع عدم إيمان الإنسان بنفسه.

كل هذه صفات جميلة لا يستطيع أحد أن ينكرها في إنسان العصر الحديث، لكن لا يُنكِرُ إنسانُ العصر الحديث أيضاً أن لديه مشكلات حقيقية تُغطِّيها الحياة البَرّاقة التي يعيشها، وبالذات في الغرب المتقدم. أغلب هذه المشكلات تقع في المجال الروحي. وبالمجال الروحي لا أقصد المجال الديني، في الطقوس والعبادات والأشكال الظاهرة للسلوك، وإنما أقصد الأمور التي تتعلق بحُرِّية الإنسان من الأشياء، وقدرته على الالتزام بالعلاقات، وإحساسه العميق بالطمأنينة.

فيما يتعلق بحرية الإنسان من الأشياء، فأغلبنا لا يتمتع بحرية حقيقية من سيطرة المال والسعي وراء رضا الناس أو الجنس، أو حتى الأكل. رُبما يتمتع الكثيرون بما يُمكن أن نسميه، «بتنظيم مُهَذَّب للعبودية»، وليس حرية حقيقية.

إنسان العصر الحديث لديه مشكلات حقيقية، لكن نفس هذه المشكلات موجودة أيضاً بنفس الدرجة في إنسان الدين.

كثيرون على سبيل المثال، ينفقون نسبة كبيرة من دخلهم على الطعام وعلى أدوية الحِمية (الريجيم) وأطباء التخسيس في نفس الوقت.

أما فيما يتعلق بالقدرة على الالتزام بالعلاقات، فالأبحاث والإحصائيات تشير إلى فشل العلاقات الزوجية والأسرية وانتشار الطلاق بشكل وبائي. أما فيما يتعلق بالإحساس العميق بالطُمأنينة، فإننا نجد أن الخوف والاكتئاب هما المرضان الأكثر شيوعاً بين كل البشر في كل مكان ومن كل الخلفيات.

هذه مشكلات حقيقية يعترف بها إنسان العصر الحديث، لكنه لا يرى أن حَلَّها في الدين وذلك لأن هذه المشكلات موجودة أيضاً، بنفس الدرجة في إنسان الدين أو إنسان الإيمان، وبالتالي فإن إنسان العصر الحديث لا يبحث عن حل مشكلاته عند الله أو باستخدام الدين. ففي عدة دراسات أجريت في المجتمع الديني في الولايات المتحدة على أعداد كبيرة من الرُعاة (القسوس)، ظهرت نتائج، سوف أختار بعضاً منها فقط كعيِّنة:[40]

- ٢٣٪ فقط من الرعاة شعروا بأنهم سعداء وراضون عن حياتهم الروحية سواء في البيت أو في الكنيسة.

- ٧٧٪ من الرعاة قالوا إنهم لا يتمتعون بزيجات جيدة وحوالي ٥٠٪ من

40 Richard J. Kerjcir, Statistics On Pastors (Schaeffer's Institute) in www.intothyword.org

زيجات الرعاة تنتهي بالطلاق (نفس نسبة الطلاق في المجتمع). لاحظ أننا نتكلم عن الرعاة، أي رجال الدين فكم بالحريّ رعيتهم من المؤمنين العاديين.

- ٣٠٪ من الرعاة اعترفوا أنهم سقطوا في تجارب جنسية مع إحدى عضوات الكنيسة سواء في صورة سقطة جنسية واحدة أو علاقة غير شرعية مستمرّة. (وتطالعنا في بلادنا الأخبار من حين لآخر بقصة عن اعتداء كاهن كنيسة أو إمام مسجد، على طفل أو فتاة).

وفي كتابه المُقلِق المستقبل الحاضر يصف ريجي مكنيل Reggie McNeal حالة مرتادي الكنائس بهذه الكلمات:

> المشكلة هي أننا لا نمتلك بعد أدلّة كافية أن كل هذه الأنشطة الكنسية قد أنتجت أتباعاً ليسوع أكثر نضوجاً. بل على العكس فهي تنتج باستمرار أشخاصاً مُنهَكين جَسدياً ونفسياً وروحياً، عندما ينظرون بأمانة إلى حياتهم لا يجدونها تختلف كثيراً عن حياة من حولهم الذين لا يفعلون كل ما يفعلونه. هؤلاء المخلصون، ينتظرون بصمت، أو ربما بدون صمت، ويتساءلون متى سوف يختبرون الحياة الفيّاضة التي وعدهم به المسيح ووعدتهم بها الكنيسة.[٤١]

هذه الدراسات والكتب قد أُجرِيَت بين مؤمني الولايات المتحدة وكُتِبت عنهم. تُرى هل المؤمنون المسيحيون والرعاة والقسوس والكهنة في بلادنا العربية في حال أفضل؟ سوف نترك الإجابة لك عزيزي القارئ.

41 Reggie McNeal, *The Present Future. Six Tough Questions for the Church,* (San Francisco: Jossy-Bass, 2003) p. 8.

إنسان الملكوت

من حق الشباب إذاً أن يميلوا للإلحاد إذا كانوا صادقين مع أنفسهم. والسبب الجوهري في تصوري هو أنهم لم يختبروا بعد، بشكل صادق وبارز، ظهور ما يمكن أن نُسَمِّيه إنسان الملكوت الذي يظل انتظار الخليقة مُتَوَقّعاً إستعلانه.[٤٢]

العالم كله يحتاج لأن يرى أشخاصاً يتحكمون في غضبهم فلا يؤذون وفي خوفهم فلا يُسَيّطرون.

لا تنتظر الخليقة إظهار قوة معجزية أو إقناع عقلي. الخليقة ببساطة تنتظر أن ترى إنسان الملكوت. في إنجيل يوحنا نرى كيف أن الفريسيين المُصِرّين على أن الخلاص هو في الناموس والشريعة والدين، بدأوا يقولون لبعضهم البعض: «انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!»[٤٣]. لقد ذهب العالم وراء يسوع ليس فقط من أجل المعجزات أو التعليم، لقد ذهبوا وراءه لأنه هو بالفعل إنسان الملكوت الذي يفتش ويبحث عنه كل قلب إنساني مُخلِص وجائع للحق. يُرجِع تيد بيتر Ted Peters هذا الجوع العام لدى البشر، لوجود الروح الإنسانية والجدل المستمر بينها وبين الجسد فيكتب:[٤٤]

> إن التوتر الوجودي الذي نعيشه ينتج عن عطشنا الذي لا يُروى لحقيقةٍ فوق إنسانية. إننا نتوق لأن نُقابل ذلك الإنسان المُكتَمِل الذي فيه يصنع غير المحدود سلاماً مع المحدود، ويسكن الأبدي في الزمان والمكان، و يَحُلُّ الكُل في سائر الأجزاء حتى يصير الإلهيّ إنسانياً. فقط من خلال هذه الشخصية يتم حل صراع الإنسان الروحي الأساسي، ويتم إشباع جوعه وعطشه للكمال والاكتمال.

---

٤٢ الرسالة إلى أهل رومية ٨: ١٩

٤٣ إنجيل يوحنا ١٢: ١٩

44 Ted Peters, God- *The World's Future. Systematic Theology for a Postmodern Era* (Minneapolis: Fortress Press, 1992)

بدون هذا اللقاء، تظل الخليقة تئن وتتمخض، والأسوأ أنها لا تعرف حتى أنها تئن وتتمخض، لأنها دأبت أن تُخدِّر نفسها دائماً بكل أنواع «المُخَدِّرات» المادّية والدينية على حدٍ سواء.

بنو الملكوت

في السطور التالية سوف أتوقف متأملاً وصف المسيح لإنسان الملكوت لعلّي أحثك وأحث نفسي بأن نبدأ تلك الرحلة العظيمة المُشوِّقة لكي نكون بالفعل بني الملكوت.

بنو الملكوت أشخاصٌ لا يغضبون باطلاً ويتحكمون في غضبهم. من السهل جداً أن تكون إنساناً لطيفاً ومن السهل أن تخرج خارج نفسك وتخدم الآخرين وتفعل كل شيء حسناً طالما أنك لستَ غاضباً أو خائفاً. التحدّي الحقيقي للنضوج الروحي والنفسي للإنسان هو: كيف سوف يتصرف ذلك الإنسان وهو غاضب أو وهو خائف؟ العالم كله يحتاج لأن يرى أشخاصاً يتحكمون في غضبهم فلا يؤذون وفي خوفهم فلا يُسَيّطرون. لعل أكثر أنواع الغضب والاستياء قبولاً ثقافياً هو الاستياء تجاه الناس الذين لا نعرفهم شخصياً. الاستياء تجاه النادل الذي لم يأت لك بما طلبته بالسرعة التي كنت تنتظرها. وتجاه سائق السيارة التي أمامك والذي يسير ببطء شديد. إنه الاستياء تجاه سائق الميكروباص الذي يقود بسرعة فيخيفك، والسياسي الذي لا يحترمك أو يحترم الجماعة التي تنتمي إليها. الأمثلة لا حصر لها. إن العالم يحتاج إلى أشخاص يتعاملون بهدوء أثناء قيادة السيارات وفي طوابير الانتظار ومع الجيران عندما لا يراعون حق الجيرة

إن تجاوز الإحراج والخوف والخجل والذهاب للقريب لمصالحته، من أهم الأدلة الحقيقية أن محبة الأخ والقريب قد تمكنت من القلب على حساب الكبرياء والانحصار في النفس.

وغير ذلك من المضايقات التي يسمونها «المُضايقات اليوميَّة الصغيرة». في هذه المواقف تقبل الثقافة السائدة منا أن نغضب وأن نصيح وربما حتى أن نكره. إنها الأمور التي نعثر فيها كلنا، ومن لا يعثر فيها فهو إنسان كامل يلفت الانتباه بشكل حقيقي في هذا العالم. إنه إنسان الملكوت.

بنو الملكوت أشخاص مستعدون للصُلح مع بعضهم البعض بسهولة. ليس بنو الملكوت أشخاصاً كاملين لا يخطئون ولا يختلفون مع بعضهم البعض، ولكنهم يتمتعون بالتواضع وعدم الانحصار في النفس الذي يجعلهم يذهبون إلى الآخر ليعتذروا إذا كانوا قد أخطأوا، أو ليُعاتبوا إذا كان الخطأ قد تم في حقهم. أعتقد إنني وكثيرين غيري يعرفون كم أن هذا صعباً، وكم نميل إلى تجنبه وتجاهله. كلنا يعرف كم هو صعبٌ أن تذهب لشخص آخر غاضب منك وتعتذر إليه وتعترف بخطئك وتحتمل معاتبته، التي ربما لا تكون رقيقة. غالباً ما نتجنب ونتجاهل هذا ونشغل أنفسنا بأشياء أخرى. في إنجيل متى[٤٥] يقول يسوع أنه لا يوجد شيء أهم من أن تصطلح مع أخيك، بمجرد أن تكتشف أنه غاضب منك أو أن له شيئاً عليك. بالنسبة للإنسان اليهودي لا توجد لحظة أقدس أو أهم من أن يقف بين يدي الله أمام المذبح ليقدم ذبيحة. المسيح يقول إنه حتى هذا الأمر ليس أهم من أن تذهب إلى قريبك وتصطلح معه وتفعل ما كان قد طلبه منك، أو تعتذر عن كلمة قلتها وأغضبته، أو أن تسأل عنه في مرضه أو حادث أَلَمَّ به. من الممكن أن نقدم لأنفسنا تبريرات وأعذار كثيرة أغلبها يبدو منطقياً لكيلا نفعل ذلك. من ضمن التبريرات التي أقدمها أنا شخصياً لنفسي ما يلي:

- أنا مشغول وأفعل أشياء أرى أنها مُهمة في«ملكوت الله». ياله من عُذرٍ أقبح من ذنب. فأنا أتعلل بأنني أفعل أشياء عظيمة من أجل ملكوت الله فلا «أعيش» ملكوت الله!

---

٤٥ متى ٥: ٢٣

- ليس له حق أن يغضب. هو حَسَّاس أكثر من اللازم. ربما تكون هذه هي الحقيقة في بعض المرات. لكن الطريقة الوحيدة لشفائه من الحساسية الزائدة هو أذهب إليه وأتكلم معه وأوضح الأمر. فهذا ربما يساعده أن يرى الأمور في حجمها الحقيقي.

- لأدع الموقف يَمُرّ، وسوف يُسَوَّى الأمر من تلقاء نفسه. ربما يحدث ذلك بالفعل في بعض المرات، وربما يبدو أنه قد حدث. لكن في مرات أخرى ربما يُبنَى جدارٌ بيني وبين ذلك الإنسان. والحقيقة أنه هكذا تفتر الصداقات وتضمحلّ العلاقات ونحن غير مُدرِكين أن السبب هو أننا لم نُحبّ للدرجة التي تجعلنا نذهب ونصطلح ونربح أخوتنا وأخواتنا.

الحقيقة أنني عشت زماناً طويلاً أتعلّل بهذه الأمور. وفي واقع الأمر وأنا أكتب هذه السطور تذكرت أنني بالأمس قابلت أحد الأصدقاء في مكان عام فمر بجانبي وتظاهر أنه لا يراني (أو هكذا تَصَوَّرت) سرعان ما سألت نفسي: «لماذا؟» فجاءتني الإجابة أنه ربما يكون غاضباً حيث لم أف بطلبٍ قد طلبه مني. ها هو إذاً موقف عمليّ يناديني أن أعيش ما أكتبه. توقفت عن الكتابة ولم أستطع أن أعود إلا بعد أن اتصلت به. عندما بُحت له بما تصوَرته، قال لي أنه ليس غاضباً، وأنه بالفعل لم يلحظ وجودي. في الحقيقة عندما «تصورت» أنه تجاهلني بدأت صورته في أن تتغير في مخيلتي بعد أن كنت أجَلّه وأحترمه، ولو كنت قد تأخرت في الاتصال به لكان عقلي استمر في تخيل أشياء غير حقيقية عنه. هكذا تضعُف العلاقات، وربما تموت. إن أكثر ما ساعدني أن أفعل ما فعلت أنني نظرت إلى الموقف باعتباره تدريباً عملياً وفُرصة أجعل بها نفسي إناءً أكثر صلاحية لكي يملأه «السيد» بمزيدٍ من محبته وقُوَّتِه. هذه الطريقة في النظر للأشياء يمكن أن تساعدنا لكي نفعل ما نراه صعباً، لأننا ننتظر منه مجازاة عظيمة. تماماً مثل الرياضي الذي يحمل أحمالاً ثقيلة لأنه يحلم بعضلات أجمل وقوّة أكبر.

إن تجاوز الإحراج والخوف والخجل والذهاب للقريب لمصالحته، من أهم الأدلة الحقيقية أن محبة الأخ والقريب قد تمكنت من القلب على حساب الكبرياء والانحصار في النفس. وهذه علامة من العلامات المهمة لإنسان الملكوت، ورافد رئيسي من روافد القوة التي تجعلنا ننمو لكي نكون بالفعل بني الملكوت. في الوقت نفسه، لا يعني عدم الانحصار في النفس كراهية للنفس وتجاهلاً للحقوق. فها هو يسوع أيضاً يقول: «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا».[٤٦]

ويستطرد حتى العدد العشرين في وصفه لحل الصراع، بما يشير إلى أن إنسان الملكوت كما يحب قريبه يحب نفسه أيضاً، ويُعبِّر عن مشاعره ويطالب بحقوقه بحزم وحب في نفس الوقت. العتاب هو أيضاً أحد أشكال "الطلب" الذي هو أحد الديناميات الرئيسة في ملكوت السموات، فهو يناقض الكبرياء والانحصار في النفس. فعندما "يطلب" الإنسان، فهو يعلن عن حاجته، وعن أن هذه الحاجة موجودة عند الآخر الذي يمكنه أن يعطيها له أو يمنعها عنه. أيضاً مطالبة الآخر بالحقوق تساعد ذلك الآخر ألا يكون، هو نفسه، أنانياً منحصراً في نفسه. هل جَرّبت عندما يقوم شخصٌ بإهانتك، بدلاً من إهانته في المقابل، أو الصمت واحتمال الإهانة، أن تقول له: «أرجو أن تتكلم معي بطريقة أكثر احتراماً من فضلك!» إن لم تكُن قد جَرَّبت، أدعوك أن تُجَرِّب. بالطبع لن تكون النتيجة دائماً إيجابية، لكنها بالتأكيد سوف تكون أكثر إيجابية من الطريقتين الأخريتين. إنها قوة الطلب.

> العتاب هو أيضاً أحد أشكال «الطلب» وهو أحد الديناميات الرئيسة في ملكوت السموات، فهو يناقض الكبرياء والانحصار في النفس.

بنو الملكوت أشخاص يقاومون الشهوة ليس فقط في أفعالهم بل حتى في قلوبهم،

٤٦ متى ١٨: ١٥

وبحزم شديد مع أنفسهم. المحبة والشهوة لا يجتمعان. فالمحبة هي العطاء، أما الشهوة فهي الأخذ. الشهوة هي استخدام كل شيء للحصول على اللذة الشخصية، بما في ذلك استخدام البشر أنفسهم. لذلك فإن من علامات تَأصُّل المحبة في قلوب بني الملكوت، هو أنهم يصبحون مُقاوِمين شرسين للشهوة. تكلم يسوع عن هذ الشراسة في مواجهة الشهوة باستخدام لغة شديدة القوة مثل قطع اليد وقلع العين، بالطبع لم يكن يقصد ذلك بشكل حرفي، وإنما كان يقصد التعامل بصرامة شديدة مع الشهوة.

كانت الروحانية دائماً ولا تزال تشتمل على مواجهات عنيفة مع الشهوة من خلال الصوم والتقشف. الصوم عن الأكل، والصوم عن الكلام من خلال الصمت، والصوم عن الناس من خلال الاختلاء، والصوم عن جمع المال من خلال عدم الهوس بالعمل، والبساطة. الصوم كتدريب روحي ضروري للنمو يكشف لنا أن ما نتصوره احتياجاً، هو في واقع الأمر شهوة. فعلى سبيل المثال، عندما يكون احتياجك للسعرات الحرارية في اليوم ألفين من السعرات، وتتناول عشرة آلاف بصفة مستمرة لعدة سنوات. فإنك إذا تناولت بدلاً من العشرة آلاف ثمانية آلاف، سوف تشعر بالجوع وذلك بالرغم من أنك تأكل أربعة أضعاف احتياجك الحقيقي. نحن نشعر بالجوع عندما يقلّ ما نأخذه عما تَعَوَّدْنا أن نأخذه وليس عمّا نحتاجه بالفعل. هذا هو ما يمكن أن نسميه خداع الشهوة. أي أن الشهوة تُضخِّم لنا احتياجاتنا، وتخلق فينا شعوراً زائفاً بالجوع. ينكشف خداع الشهوة عندما تُصرُّ إصراراً عنيفاً على الثمانية آلاف وربما أقل منها حتى يغدو شعورك بالاحتياج متناسباً مع احتياجك الفعلي. هذا هو الدور الذي يلعبه الصوم كتدريب روحي.

نحن نشعر بالجوع عندما يقلّ ما نأخذه عما تَعَوَّدْنا أن نأخذه، وليس عمّا نحتاجه بالفعل. هذا هو ما يمكن أن نسميه خداع الشهوة.

الواقع هو أننا نستخدم الطعام والجنس وغيرهما من اللّذات الحسّية، كبديل

للَذّاتٍ روحية كثيرة نحن مخلوقون للاستمتاع بها، لكننا لا ندركها، ولا نسعى في أثرها. هذا يجعلنا نطلب من الأكل والجنس والمال، ما لا تستطيع هذه الأشياء أن تعطيه. بكلمات أخرى، نحن نطلب ممن هو ليس إلهاً، أن يسدد جوعنا لله وهذا هو جوهر الوثنية. في كتابه «ثِقَل المجد»[٤٧] The Weight of Glory يكتب ك. س. لويس:

> إن الله يجدنا مخلوقات قنوعة جداً فيما يتعلق باللذة، نكتفي بلذّات محدودة جداً مثل الطعام والجنس وطموحات النجاح والشهرة، بينما متاحة لنا وعود باللذة الروحية والسعادة اللانهائية، لكننا لا نُقدِمُ عليها. إننا مثل الطفل الجاهل الذي يلهو بعمل كعكات من الطين في زقاق بحي فقير، وهو لا يدرك معنى كونه مدعواً لقضاء الأجازة على شاطئ البحر. إننا مساكين، نرضى بأقل القليل.

إننا عندما نتعامل بقسوة مع الشهوة، نبدأ في الاستمتاع بكل ألوان اللذة وأهمها اللذة الروحية التي لا حدود لها، بينما اللذّات الجسدية متناهية ومحدودة.

بنو الملكوت أشخاص يحترمون عهود الزواج. يرى بنو الملكوت أن الزواج عهدٌ وليس مُجَرَّد عَقد بين طَرَفين، وأنه التزام بالمحبة المتبادلة والحرص على نُمُوّ الآخر، وليس مجرد اتفاق على الاستمتاع المتبادل وخدمة المصالح المشتركة. لهذا السبب فإن بني الملكوت لا يستسهلون مطلقاً إنهاء عهود الزواج بل يميلون للاحتمال والذهاب للميل الآخر مع الزوج أو الزوجة. بالطبع أي عهد من العهود يتطلب أن يحافظ عليه الطرفان معاً وليس طرفاً واحداً، ويجب أن يكون عليه شاهد أو مُراقِب خارجي ليُشرِفَ على مدى التزام كل طرف بالعهد. وهذا كان

بنو الملكوت لا يستسهلون مطلقاً إنهاء عهود الزواج بل يميلون للاحتمال والذهاب للميل الآخر مع الزوج أو الزوجة.

47 L. Walmsly *C.S. Lewis On Faith* (Nashville: Thomas Nelson 1998) p. 51

دائماً دور «جماعة المؤمنين» أي الكنيسة، بما لها من سلطة رُوحية اختيارية (وليست قانونية إجبارية) على أعضائها.

ولكي ننجو من الفهم الحرفي لكلام المسيح يجب أن نفسره في إطاره التاريخي الاجتماعي، ثم نستخلص المعنى الروحي الأبدي ونُطَبِّقهُ على عصرنا. الذي كان يحدث في الوقت الذي تكلم فيه المسيح كان أن الرجال يُطَلِّقون نساءهم لأي سبب (قد يصل إلى حَرق الطعام مثلاً)، وذلك لأن «البِرّ» في وجهة نظرهم هو فقط في أن يطلق الرجل «بالمعروف» أي أن يعطي ورقة طلاق لحماية المطلقة من الرجم إذا ضبطت مع رجل، وذلك لأن عقوبة الزانية (أي التي تمارس الجنس خارج الزواج وهي متزوجة أي «مُحْصَنة») هي الرجم، أما من تمارس الجنس خارج الزواج وهي «غير مُحصَنة» (لم تتزوج بعد أو مُطَلَّقَة) فتكون عقوبتها أخف (كالجَلد مثلاً). إذا فعل الرجال هكذا وأعطوا طليقاتهم كتب طلاق فلا خوف عليهم إذاً ولا هم يحزنون.

في ذلك العصر[٤٨] الذي لم تعمل فيه المرأة ولم تكن فيه منظمات حقوقية، كانت مؤسسة الزواج والأسرة هي الحماية الوحيدة للمرأة، فكانت المرأة المطلقة «المحظوظة» تُقبَل مرة أخرى في بيت أهلها فتعود إلى هناك حيث ينفقون عليها، وتعمل في خدمة أهلها وأخوتها كخادمة. أما من كان أهلها فقراء وقد تَنَفَّسوا الصُعَداء بتزويجها والتَخَلُّص من مسئولية الإنفاق عليها، فإنهم لا ينفقون عليها، وبهذه الطريقة لا يكون أمامها رأس مال تتاجر به لكي تعيش، إلا جسدها. لذلك قال المسيح: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي. لهذا السبب يقول: «إلا لعلّة الزنى» فمن تزني وهي متزوجة، فهي بهذا الفعل تكون قد كسرت عهد الزواج (الذي ترمز إليه العلاقة الجنسية الحَصْرية بين الزوج والزوجة)، وتكون قد طَلَّقَت نفسها بنفسها واختارت الزنى حتى وهي متزوجة

٤٨ مازلت الغالبية الآن في بلادنا النامية تعيش هذه الحالة للأسف.

وغير مُحتاجة. وعندما يضيف: وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي، فإنه يقصد أن التي طُلقت بسبب أنها تزنى مع رجل، ثم ذهبت وتزوجت هذا الرجل فإن هذا لا يحول العلاقة من زنى إلى زواج مقدس. هذا إذاً هو التفسير غير الحرفي الذي يراعي السياق التاريخي.[٤٩]

السؤال المهم الآن هو: ما هي «الرسالة الروحية» التي يريد المسيح أن يقولها لنا هنا؟ وما هو «بر الملكوت» الذي يريدنا أن نعيشه؟ الإجابة عن هذا السؤال تأتي في الأصحاح التاسع عشر: فجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ:

«هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي».

وفي الترجمة الإنجليزية «الرسالة» The Message التي تقدم النص الكتابي بلغة معاصرة، تأتي الأعداد من ٨-١٢ (وهي التي تقدم الخلاصة الروحية للقضية) كالتالي:

---

49 Eugene Peterson, *The Message, The Bible in Contemporary Language* (Colorado Springs: Navpress, 2004). p.328.

عمل يوجين بيترسون كأستاذ للغات الكتاب المقدس (العبرية واليونانية) لعدة سنوات ثم بعد ذلك عمل راعياً. وبذلك اختبر الكتاب المقدس كدارس وكعامل في حقل الحياة اليومية للبشر في آن واحد. (من مقدمة "الرسالة" ص ٥)

«لقد سمح موسى بالطلاق فقط لاستيعاب قساوة قلوبكم[٥٠]، ولكن لم يكن هذا من صميم خطة الله الأساسية للإنسان. وأنا الآن أوقفكم أمام خطة الله الأصلية، التي تجعلكم تواجهون تهمة الزنى، كل من يطلق زوجته المخلصة ويتزوج بأخرى. وأقدم استثناءً واحداً وهو أن تكون الزوجة قد ارتكبت، هي نفسها، الزنى» فاعترض تلاميذ المسيح (كما يعترض كثيرون اليوم) قائلين: «إن كانت هذه هي شروط الزواج، فنحن في أزمة. من يستطيع أن يتزوج ويحافظ على هذا المستوى؟» لكن يسوع أجاب قائلاً: «ليس الجميع ناضجين بما يكفي لأن يعيشوا حياة زوجية[٥١] الأمر يحتاج إلى قدرة خاصة ونعمة خاصة من الله. ليس الزواج للجميع. البعض منذ الولادة، كما يبدو، لا يفكرون في الزواج مطلقاً. والبعض لا تسنح لهم فرصة الزواج، إذ لا يَطلُبهم أحد في الزواج (النساء) أو لا يوافق عليهم أحد (الرجال). والبعض، يقررون بأنفسهم ألا يتزوجوا لأسباب متعلقة بملكوت الله. أما من يرى نفسه لديه النضوج الكافي[٥٢] فليتزوج».

---

٥٠ أتصوَّر أن مفهوم «الاستيعاب» هذا،هو الدور الرعوي الذي لعبه موسى الذي قَلَّلَ «مرحلياً» من المطالب الإلهية، ليأخذ بيد الإنسان الفرد للنمو الروحي، حتى يتوافق مع خطة الله الأصلية، التي يقدمها المسيح هنا، وأظن أن هذا هو ما يجب أن تفعله الكنيسة مع من قد تزوجوا، دون أن يصِلوا لدرجة النضوج الروحي التي تؤهلهم لفهم حقيقة الزواج والحفاظ على عهوده.

51 Dietrich Bonheoffer, *The Cost of Discipleship*, (N.Y.: Touchstone, 1995) p. 133

٥٢ في رأيي أن العبارة التي يمكن أن تُلَخِّص "قساوة القلب" التي يمارسها الكثير من الناس، هي أنهم يتزوجون دون أن يكون لديهم النضوج الروحي الكافي، لكي يعيشوا خطة الله الأصلية للزواج، ثم تظهر قساوة قلب "المؤسسة الدينية" في أنها ترغمهم على أن يعيشوا هذا المستوى الروحي، دون أن يكونوا قد وصلوا إليه فعلاً، فتكون النتائج الوخيمة التي نراها، من تلاعُبٍ للحصول على طلاق وزواج ثان بخداع المؤسسة الكنسية، أو استغلال قوانين الدولة المبنية على شريعة أخرى، أو زيجات تبدو مثل القبور المبيضة من الخارج، وفي الداخل كل نجاسة وعنف وإساءة متبادلة.

إننا دائماً نريد شريعة مكتوبة نُطبِّقها بشكل «حرفيّ» فنشعر أننا قد أكملنا كل شيء، فلا نجتاز مسيرة النمو الروحي الطويلة والمؤلمة في أحيان كثيرة. على سبيل المثال، نريد شريعة واضحة للميراث مثل ذلك الشاب الذي أتى ليسوع طالباً منه: «قل لأخي أن يقاسمني الميراث»، فأجابه المسيح:

إننا دائماً نريد شريعة مكتوبة نُطبِّقها بشكل «حرفيّ» فنشعر أننا قد أكملنا كل شيء، فلا نجتاز مسيرة النمو.

«يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟» وَقَالَ لَهُمْ: «انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ»[٥٣]

هنا المسيح يتكلم عن تغيير القلب وشفائه من الطمع ومحبة المال، وليس عن قوانين مواريث تُطَبَّق بدون تغيير للقلب وتطهيره من الطَمَع. وبالمثل نحن نريد قوانين أحوال شخصية وغيرها من القوانين لنطبق حرفها فنشعر أننا مقبولون أمام الله. هذا ما يشير إليه المسيح بعبارة «بِرّ الكتبة والفريسيين» أي بر التوافق الخارجي مع حرف الناموس. أما بر الملكوت فهو تغيير قساوة القلب. وفي إطار الزواج والطلاق أستطيع أن أُعَدِّدَ بعض المظاهر التي رأيتها بنفسي كطبيب نفسي يأتي إليه الأزواج والزوجات بمشكلات زواجهم.

- قساوة القلب التي تجعل الإنسان لا يحتمل زوجته (أو الزوجة لا تحتمل زوجها) ويطلبان أو يطلب واحد منهما الطلاق دون بذل المجهود الكافي للعمل على تنمية علاقة الزواج لتصبح أفضل وأكثر احتمالاً. في هذه الحالة يمارس واحد منهما قساوة القلب ضد الآخر أو يمارس الاثنان قساوة القلب في حق أطفالهما.

---

٥٣ إنجيل لوقا ١٢: ١٣- ١٥

- قساوة القلب التي تجعل رجلاً يخفي عجزه الجنسي ويتزوج بامرأة ليعذبها فلا هي عاشت عزباء ولا هي تزوجت زواجاً حقيقياً. بل وربما «يثيرها» جنسياً كل ليلة ليحصل على إشباع جنسي ولا تحصل هي على شيء بعد إثارتها.

- قساوة القلب الذي تجعل امرأة وأهلها يخفون حقيقة مرضها النفسي ويزوجونها برجل لتُعَذِّبَهُ وتتعذب معه ويُعَذِّبان جيلاً آخر من الأطفال.

- قساوة القلب التي تجعل «المؤسسة الكنسية الرسمية» تمنع الزواج الثاني لرجل طلق امرأته ولا يستطيع أن «يخصي» نفسه (أي يعيش بدون زواج)، فيعيش في الزنى أو يترك الكنيسة تماماً. هنا يمكن أن نقول إن الكنيسة، كما يقول المسيح، قد قامت بإخصائه (خَصُوهم الناس) أو ربما تكون قد جعلته يزني، أو على الأقل لم تحمه من الزنا، ولم تساعده أن ينمو روحياً فكانت كمن يتخلص من المريض بدلاً من أن يعالجه.

الغرض من وجود الكنيسة على الأرض هو أن تُمَثِّلَ المسيح، لا أن تُمَثِّل الناموس أو القانون المَدَني. هذا ما يعنيه أن يكون المسيحيون مسيحيين بالفعل، أي يسلكون كما سلك المسيح. لذلك لا يجب على قادتها وممثليها أن يُنَصِّبوا أنفسهم قضاة على الناس، تماماً كما لم يُنَصِّب المسيح نفسه «قاضياً» على الناس، بل مثلاً وراعياً. أو أن يَحزِموا، مثل الفريسيين، أحمالاً ثقيلة ويَضَعُوها على أكتاف الناس وهم لا يريدون لمسها بأصابعهم. وهذا ما أشار إليه ديتريش بونهوفر (Dietrich Bonhoeffer) بقوله أن الطلاق سُمِحَ به لبني إسرائيل بسبب قساوة قلوبهم، وذلك للحفاظ عليهم مما هو أسوأ.[٥٤]

54 Dietrich Bonheoffer, *The Cos of Discipleship*, (N.Y.: Touchstone, 1995) p. 133

لذلك يجب على الكنيسة أن تقوم بدورها الرعوي، الذي يَقبَل الناس كما هُم، وفي أي مستوى روحي يعيشون فيه، وتساعدهم لكي ينموا وينضجوا روحياً في مسيرة تغيير القلب والتخلص من قساوته فيستطيعون بطريقة حُرّة وتدريجية أن يعيشوا ناموس المحبة، فيُحِبّون أزواجهن وزوجاتهم كأنفسهم، ويحتملون ويُضَحّون ويصبرون. وإن لم يستطيعوا أن يفعلوا هذا في الزواج الأول فليفعلوه في الثاني تحت الإشراف الروحي للكنيسة التي لا تعطيهم رُخصة الزواج الثاني إلا بعد أن يقطعوا شوطاً في ذلك النمو الروحي وترى القيادة الروحية أن الزواج الثاني سوف يكون خطوة في طريق هذا النمو الروحي وليس في عكس ذلك الطريق.

هذا الدور الكنسي الرعوي يجب أن يَتَّزِن مع دور كنسي آخر وهو الدور النبوي،[٥٥] الذي يجب أن يصر على قدسية عهود الزواج وكل أنواع العهود والعلاقات التي لا ينبغي أن تُفصَم إلا لسبب قوي يوافق عليه قادة الكنيسة (الروحيون وليس المتدينون) إذا رأوا أن في الطلاق رحمة وفي الزواج قساوة قلب. أما إذا رأوا أن الرحمة هي في استمرار الزواج والطلاق هو الذي يُعتبَر قساوة قلب فلا يوافقون عندئذٍ على الطلاق، أو على الأقل على الزواج الثاني. وقبل ذلك وبعد ذلك أن يساعدوا الرجال والنساء ليتغيروا بنعمة الله من الداخل فيعيشون حياة زوجية أفضل. إن خدمة العهد الجديد هي الخدمة الروحية التي تعمل على تغيير الإنسان من الداخل فيعيش ناموس المحبة، لا خدمة الحرف الذي يلوي أعناق أشخاص لم تتغير قلوبهم ليعيشوا قانوناً لا يستطيع أن يعيشه إلاّ من تغيَر قلبه وتخلَّص من الشهوة والكبرياء والأنانية. والحقيقة أن كثيراً من «المسيحيين»، وإن كانوا اسماً ينتمون للعهد الجديد، إلا أنهم لا يزالون روحياً في العهد القديم، لذلك ينبغي أن يُطبَّق عليهم العهد القديم، قبل أن ينتقلوا للعهد الجديد. عهد بر الملكوت بدلاً من برّ الكتبة والفريسيين.

---

٥٥ جون ستوت، *المسيحية وقضايا معاصرة*. ترجمة نجيب جرجور (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٩) ص. ٢٦٧

لهذا السبب فأنا أرى أن الكنيسة لا يجب أن تتدخل في قوانين الأحوال الشخصية، بل ينبغي أن تكون قوانين مدنية تماماً (وإن كانت يجب أن تتوافق مع روح الأديان كلها) فمن لا يُريد أن يعيش مسيحياً حقيقياً ولا يُريد أن يُدخِل الكنيسة في شئونه الشخصية الروحية، فيتزوج ويطلق مدنياً كما يريد، وفي هذه الحالة لا ينبغي أن «يتمسَّح» برداء الكنيسة ويُضفي على زواجه مِسحة دينية منافقة غير حقيقية. أما من يُريد أن يعيش ملكوت الله، فهذا أمر ينبغي أن يختاره الإنسان بنفسه ويُخضِع له نفسه بنفسه، فعندما يقرر ألا يُطلق فذلك عندئذ يكون لأنه لا «يريد» أن يُطَلِّق، وليس لأنه لا «يستطيع» وعندما يقرر أن يبقى بعد الطلاق بدون زواج، فهذا لكونه قد نَذَرَ نفسه بالفعل للمسيح، وليس لأنه لا يستطيع أن يتزوج مرة أخرى بسبب أن الكنيسة المُتحكِّمة في شئون الزواج والطلاق، لا تسمح له. في تَصَوُّري أن مثل هذا تنظيم، يساعد على ظهور إنسان الملكوت الحقيقي بدلاً من آلاف المسيحيين المتدينين الذين تكتظ بهم الكنائس ويتعاملون معها كأندية اجتماعية أو سلطة دينية بديلة للسلطة المدنية.

المسيح يُكَرِّس بوضوح هذه الحرية الشخصية وذلك الخلاص التام من «الدولة الدينية» عندما يقول: «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ». لذلك نربأ بالكنيسة أن تحاول «إخصاء» الناس رغماً عنهم.

بنو الملكوت أشخاص بسطاء غير مُسيطرين، يتركون الحرية للآخرين أن يصدقوهم أو لا يُصدِّقوهم.

بنو الملكوت أشخاص لا يحاولون التأثير على بعضهم البعض بالكلام، بل كلامهم بسيط وأمين خالٍ من المناورة. من أشكال تَمسُّكنا «بالدين الظاهري» أننا نظن أن المسيح قد «حَرَّمَ» القسم. فلا نمارس القسم الصريح، لكننا نظل نناور ونضغط بكل ألوان الكلام بشرط ألا يبدو الكلام قسماً، كما تعارف المجتمع على شكل القسم. بداية من «صدقني» إلى «شرف مسيحي» إلى «أمام الله» دون أن ندري أن المسيح لم «يُحَرِّم» القَسم تحريماً حرفياً دينياً، وإنما وصف بني الملكوت بأنهم أشخاص لا يحاولون المناورة بالكلام والضغط على بعضهم البعض، سواء بالقسم أو بغيره، بل هم أشخاص يقولون كلامهم مُثبَتاً أو مَنفِيّاً (نعم نعم أو لا لا) ومن أراد أن يصدق فليصدق ، ومن لم يُرد فله مُطلق الحرية ويجب ألا يحاول الآخر الضغط أو السيطرة عليه لكي يُصَدِّق مهما كان الكلام الذي يستخدمه في الضغط.

المسيح ببساطة قال إن محاولات التأثير على الآخرين بالكلام ليست من سمات بني الملكوت. إذا كُنّا قد اتفقنا على أن السِمة المِحوَرية لبني الملكوت هي المحبة، فالمحبة لا تَتَّسِق مُطلَقاً مع محاولات المناورة والسيطرة بأي شيء ولا حتى بالكلام. بنو الملكوت هم إذاً أشخاص بسطاء غير مُسيطرين، يتركون الحرية للآخرين أن يصدقوهم أو لا يُصدِّقوهم. هذه البساطة كما يقول بولس الرسول تجعلهم يضيئون كأنوارٍ في العالم، وسط جيل مُعَوَّج وملتوٍ، جيلٍ يُجادِل ويُناور ويضغط ويُسيطر لكي يحصل على ما يريد أو يحمي نفسه مما لا يريد.

بنو الملكوت يتكلمون و«أجرهم على الله» كما نقول في ثقافتنا الشعبية. وهذا ينبع من تَحَرُّرِهم، هم أنفسهم، من الرغبة في إرضاء الناس،[٥٦] أو التأثير عليهم. بنو الملكوت مُستَعِدُّون أن يخدموا الله والناس كَمُضِلِّين وهُم صادقون.[٥٧]

المحبة غير المشروطة هي اللغة الرسمية لملكوت الله ، وأقوى تعبير عن هذا النوع من المحبة هو الغفران.

بنو الملكوت أشخاص يسامحون ويغفرون ولا ينتقمون. ليس أَدَلّ على المحبة غير المشروطة من الغفران. الغفران والاستعداد للغفران هو «اللغة الرسمية» لملكوت الله، وذلك لأن المحبة غير المشروطة هي السمة الرئيسية لهذا الملكوت، ومصدر قوَّته الروحية. العلامة المميزة لكل من عرف الله المعرفة الحقيقية واختبر الحياة الجديدة بالإيمان بالمسيح هي أن يظهر ميلاً تلقائياً للمحبة. هذه الفكرة يرددها أيضاً يوحنا الرسول فيقول: «وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ»[٥٨]. المقصود هنا نوعٌ خاصٌ من المحبة، وهو المحبة غير المشروطة. وأقوى تعبير عن هذا النوع من المحبة هو الغفران، فالغفران هو أن تُحب، ليس فقط من يخطئ عموماً، ولكن من يخطئ في حقك أنت شخصياً.[٥٩] لذلك فإن الغفران هو الاختبار الحقيقي لوجود هذا النوع «الإلهي» من المحبة في حياة الإنسان. الغفران للآخرين إذاً ليس «شرطاً» لدخول ملكوت لسموات ، وإنما هو «علامة» على أن ذلك الإنسان الذي يغفر قد دخل بالفعل إلى ذلك الملكوت.[٦٠]

---

٥٦ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ١: ١٠، ٢: ٥

٥٧ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٦: ٨

٥٨ يوحنا الأولى ٤: ٧-٨

٥٩ المحبة هنا لا تعني الصداقة أو الإعجاب أو حتى العلاقة من الأساس. المحبة هنا تعني الغفران وعدم الكراهية وعدم الرغبة في الانتقام والإيذاء.

٦٠ أوسم وصفي، *صحة العلاقات. تحدّي الشفاء والنضوج في مجتمع حقيقي.* (٢٠٠٤-٢٠١٤) ص. ١٢٧

ويضيف يسوع أيضاً ما قد يبدو أنه شرط آخر لدخول ملكوت السموات في نفس الأصحاح وهو:

«إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ».[٦١]

من أهم ما يميز الأطفال هو قدرتهم على الغفران، فالأطفال أكثر من يخطئون في حق بعضهم البعض، ولكنهم يغفرون بسهولة عجيبة ويواصلون لَعِبَهم. لا يحمل الأطفال مرارة أو كراهية. صحيح أنهم سرعان ما يتعلمونها، ولكن المؤمنين الحقيقيين بالمسيح يجب أن يظلوا أطفالاً في هذه الناحية بالذات، كما يقول الرسول بولس أن يكونوا «أطفالاً في الشر».[٦٢] أي لا يحتفظون بمرارة وكراهية ولا يُظهرون ميلاً للانتقام وعدم الغفران.

بنو الملكوت أشخاص يحبون ويخدمون الجميع حتى من لا يحبونهم ومن يعادونهم. إن كانت المحبة غير المشروطة هي اللغة الرسمية في ملكوت الله، فمحبة الأعداء هي دُرّة التاج في هذا الملكوت. لم يتكَلَّم المسيح عن محبة الأعداء كمُجَرَّد تَوَجُّه قلبي، ولكنه أعطى أمثلة عملية من واقع حياة سامعيه عن الكيفية التي يتم بها التعبير عن محبة الأعداء بصورة تلفت نظر العالم وتُعلن أن «خليقة جديدة» قد ظهرت، وأن إنساناً جديداً قد جاء إلى الوجود. فكما يقول ك. س. لويس[٦٣] C.S. Lewis أنه إن كان الإنسان المنتصب العاقل هو قمة سلسلة التطور البيولوجي العقلي في المخلوقات، فإن الإنسان الجديد في المسيح

الإنسان الجديد قد أصبحت له «رؤية روحية جديدة» لله ولنفسه وللبشر. رؤية ترى قيمة الإنسان، ولو كان عَدوّاً.

---

٦١ متى ١٨: ٣

٦٢ الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ١٤: ٢٠ (الترجمة العربية المُبَسَّطة)

٦٣ ك. س. لويس *المسيحية المُجَرَّدة* Mere Christianity

هو الخطوة التالية في سلسلة التطور. وإن كانت النقلة التطورية للإنسان التي جعلت منه الإنسان الذي نعرفه الآن، هي «نقلة عقلية» تعكس فهم الأمور المُجَرَّدة والوعي بالذات والإبداع، فإن النقلة الجديدة، هي «نقلة روحية» تعكس القدرة على المحبة وقبول الآخر، إلى الدرجة التي فيها يستطيع الإنسان أن يُحِبَّ عدوه ويعطي الخد الآخر لمن يلطمه ويسير مع مُسَخِّره الميل الثاني بفرح. بالطبع ليس لأن مثل هذا الإنسان ضعيف لا يستطيع أن يحصل على حقوقه، على العكس، وإنما ذلك لأن هذا الإنسان الجديد قد أصبحت له «رؤية روحية جديدة» لله ولنفسه وللبشر.

هذه الرؤية الروحية الجديدة ترى قيمة الإنسان مهما كان، ولو كان عَدوّاً، وترى أن فِطرةَ الإنسان هي في الأساس المحبة، وبالتالي يمكن أن يتم كسب الإنسان ليس بإخضاعه للقوة وإنما من خلال تليين قَلْبِه بالمحبة.[٦٤] عَكَسَ آبراهام لنكولن Abraham Lincoln القائد المُنتَصر في الحرب الأهلية الأمريكية (التي خاضها الشماليون لعدة أسباب منها تحرير العبيد) هذه الصفة وذلك الفَهم الذي يُمَيِّز بني الملكوت[٦٥] عندما طالبه قادة جيشه المنتصر بأن يتخلص من أعدائه من قادة الجيش الآخر لكيلا ينقلبوا عليه بعد ذلك، فكان رده أنه بالفعل سوف يتخلص من أعدائه وذلك بأن يجعلهم أصدقاءه.

من السمات التي تُمَيِّز بني الملكوت أيضاً وتعكس تلك «النقلة التطورية» الروحية التي حدثت لهم، أنهم يؤمنون أن الخير أقوى من الشر.[٦٦] وليس إيمانهم إيماناً عقلياً أو حالماً، فالجميع يؤمنون بذلك عقلياً ويتشدَّقون به، لكن بني الملكوت يمتلكون بالفعل القوة الروحية الحقيقية لأن يعيشوا ذلك الإيمان من خلال عمل روحي معجزي لله في قلوبهم، ومن خلال طاعتهم التي تُمَكِّن هذا العمل الإلهي

---

٦٤ إنجيل متى ٥: ٤٣-٤٨

٦٥ بالرغم من أنه توجد شكوك حول نقاء عقيدة لنكولن المسيحية

٦٦ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ١٢: -٢١

من التأصُّل في قلوبهم.

من بين الذين عَكَسوا هذه الطبيعة الروحية الجديدة، داعية الحقوق المدنية القس الأمريكي الأسمر، مارتن لوثر كنج الصغير Martin Luther King Jr. عندما أصرّ أن يجعل أتباعه لا يقاومون شر العنصريين البيض قائلاً: «سوف يكونون قد انتصروا علينا بالفعل إذا جعلونا نكرههم»، وبالفعل من خلال الإصرار على العصيان المدني غير العنيف، انهزم العنصريون البيض، ونال السود حقوقهم. لقد انتصر السود بسبب التغيير الحقيقي الذي حدث في وجهة نظر البيض تجاههم، عندما رأوا فيهم مبادئ الملكوت الحقيقية من خلال إصرارهم على نبذ العنف بالرغم من تَعَرُّضهم هم أنفسهم للعنف من جانب العنصريين البيض. هذه المبادئ القوية هي التي قد حَرَّرت الهند (دُرَّة التاج البريطاني) من سطوة «الإمبراطورية التي لم تكن الشمس تغيب عن ممتلكاتها»، وذلك من خلال تمسك غاندي وأتباعه بالعصيان المدني السلمي وعدم اللجوء للعنف مهما كان الثمن.

لعل الدليل على أن مثل هؤلاء ينتمون إلى «خليقة جديدة»[٦٧] ليست من هذا العالم، هو أن العالم دائماً ما يُفتَتن بهم ويخضع لهم في النهاية، وأيضاً يضطهدهم ويقتلهم. أنهم أُناس من عالم آخر يعلنون لهذا العالم الحاضر أن هناك «ملكوتاً آخر» قد جاء بالفعل، وسوف يأتي يومٌ فيه يحل هذا الملكوت الجديد الأكثر تطوراً محل ملكوت العالم الأقل تطوراً. وإلى أن يأتي ذلك اليوم فالملكوت الجديد مفتوح لمن يريدون أن يدخلوا إليه ليتغيروا.

---

٦٧ هناك من يعتقد أن غاندي كان «مسيحياً» في قلبه، خاصّة أنه قال ذات مَرَّة أنه لولا «المسيحيين» لصار هو نفسه مسيحياً. ترى كم من الأشخاص غيره، مَنَعَهُم «المسيحيون» أن يكونوا مسيحيين مُعتَرِفين. لكن هل يستطيع أحد أن يمنع الروح القدس، وروح الإنسان الراغب في ملكوت الله؟

بنو الملكوت أشخاص يصنعون الخير ليشاهدهم شخص واحد فقط هو الله، فيُصلّون ويصومون ويُعطون الآخرين لأنهم يحبون الله والإنسان، لا لكي يصفهم الناس أنهم«صالحون» أو «روحيون». لا يفتقر العالم إلى «المتدَيِّنين» الذين يُصَلُّون قائمين في المجامع والجوامع والكنائس وزوايا الشوارع لكي يراهم الناس ويرضوا عنهم، وربما لكي يرضوا هم عن أنفسهم، ويشعرون أنهم على ما يرام روحياً. المسيح في الموعظة على الجبل يقول إن هذا نفسه دليل على أنهم ليسوا على ما يرام روحياً. فبنو الملكوت يعبدون الله ويصنعون الخير ويعيشونه لكي يشاهدهم جمهورٌ مُكَوَّنٌ من شخص واحد هو الله[٦٨].

من سمات إيماننا بالإله الذي يرى في الخفاء، هو أن نعيش إيماننا في الخفاء.

من أهم سمات إيماننا بالإله الذي يَرَى في الخفاء هو أن نعيش إيماننا في الخفاء ولا نحاول إظهار منه إلا ما يظهر رغماً عَنّا. لذلك ينبغي علينا أن نكون حذرين جداً تجاه كل المظاهر العلنية الجماهيرية للروحانية، فالمسيح يقول إن أعمق مظاهر الروحانية الحقيقية، هي ما يتم بينك وبين الله في «مخدعك» في الخفاء، لأن هذا هو الذي يعبر عن شوقك الحقيقيّ النَقِيّ لله، والذي لا يكون «مُلَوَّثاً» برغبتك في التظاهر أمام الآخرين أو الاستئناس بهم وبنشوة الحدث الجماهيري الحاشد. بالطبع لا غبار على العبادة العلنية الجمهورية، لكن عندما تكون هذه هي العبادة هي التي تمثل الشكل الوحيد أو الغالب في علاقتنا بالله، فالأمر ينبغي أن يجعلنا نتساءل عن حقيقة كوننا بالفعل من بني الملكوت أو مَدَى تَأَصُّل الطبيعة الجديدة فينا.

---

٦٨ فيليب يانسي. إشاعات من عالم آخر. ما الذي نفتقده؟ ترجمة سليم إسكندر. (القاهرة: مكتبة الكلمة، ٢٠٠٧)

لقد كانت مُدن بأسرها تخرج وراء يسوع، وكانوا يشاهدون ما يجري ويُمَجِّدون الله. لكنه عندما كان يصلي في بستان جثسيماني، لم يكن معه سوى تلاميذه الاثني عشر وكان النعاس يغالبهم جميعاً. وعندما مات على الصليب لم يكن أحد معه إلا يوحنا وبعض النسوة، وعند انسكاب الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين، سمع عظة بطرس ثلاثة آلاف نفس تابوا واعتمدوا، لكن لم يمض وقت طويل قبل أن يرتد الكثيرون منهم عن الإيمان تابعين تعاليم التَهَوُّديين الذين سيطروا على كنيسة اليهودية التي أَفَلَ نَجمُها، وتحول مركز المسيحية من كنيسة اليهودية إلى كنيسة أنطاكية[٦٩] والتي انطلقت منها إلى الأمم عن طريق كرازة بولس وبرنابا وغيرهما، حيث زرعا الكنائس التي كانت تنمو، ليس من خلال الأحداث الحاشدة، وإنما من خلال سلاسل التلمذة[٧٠] والمجموعات الصغيرة في البيوت والتي امتدت حتى إلى روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية[٧١] قبل أن يصلها بولس، وذلك تحقيقاً للمثل الذي قدمه يسوع عن ملكوت السموات كخميرة صغيرة أخذتها امرأة و«خبأتها» في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع. فعندما يظهر فِعل الملكوت في العلن فهذا لأنه قد نما لدرجة أنه لم يعد يستطيع أن يُخفي نوره، وليس لأنه «يستعرضُ» نفسه أمام العالم.

الناس والمال هما أكبر إلهين ينازعان الله السيطرة على قلوبنا.[٧٢] ويمكن لهذين الشيئين أن نعتبرهما إلهين من دون الله لأنهما ربما يَعِدُوننا بالأمان، لذلك فهما يشكلان بالنسبة لنا تجربةً أن نضع أماننا في أشياء أخرى خلاف ملكوت الله. وكلما نجاهد لكي نضع هذين الأمرين في مكانهما الصحيح، كلما ننمو في حياة الملكوت.

---

٦٩ جون لوريمر، *تاريخ الكنيسة*. الجزء الأول (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٢) ص. ٦٩

٧٠ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٢: ٢

٧١ رومية ١٦: ١-١٦

72 Dallas Willard, *The Divine Conspiracy: Rediscovering Our Hidden Life in God* (San Francisco: Harper One, 1998)

كيف نقاوم الإله «الناس»؟ تتِمُّ مُقاوَمة هذا «الإله» من خلال عدم السعي وراء الكرامة والألقاب الدينية. وجدير بالذكر أن المشكلة ليست في الألقاب الدينية أو الشهرة في مجال الخدمة الروحية في حد ذاتها، وإنما في السعي خلفها. دائماً ما يكون التركيز في برّ الملكوت هو تَوَجُّه القلب الداخلي، وليس الفعل الخارجي. لكن كيف نتدرَّب عملياً لكي نُعِد قلوبنا للتغيير الروحي الداخلي؟

- من خلال الحرص عند التعامل مع الصلاة العلنية والروحانية الجماهيرية. هذا لا يعني أن هذه الأمور خاطئة في حد ذاتها، ولكن ينبغي فحص القلب دائماً أثناء هذه الممارسات. الصلاة عند بني الملكوت تختلف عنها عند الأمم (الذين يكررون الكلام باطلاً، ويَظُنُّون أن بكثرة كلامهم يُستجابُ لهم). الصلاة عند بني الملكوت هي حوار عاقل بين اثنين حول الأمور ذات الاهتمام المشترك وليس محاولات للتظاهر أمام الناس، أو استحضار «حالة» مُعينة من الحماس والفرح، أو لحثّ الله أن يفعل لنا ما نريد. الصلاة في ملكوت الله ليست ما نقوله بألسنتنا ولكن ما نقوله بأفعالنا وبكل كياننا. إنه التحرك بتصميم ووضوح رؤية، في تيار عمل الله في العالم.

- من خلال الحرص أثناء أي نوع من أنواع الأداء العلني مثل الوعظ والتعليم، أو كتابة الكتب، أو المشاركة على الشبكات الاجتماعية مثل «فيسبوك» أو غيره. في الحقيقة يشكل هذا الأمر قضية أُفَكِّر فيها كثيراً وأفحص قلبي كثيراً لكي أصل إلى الاتزان بين استثمار «وزناتي» في هذا المجال لخير الناس، وبين الرغبة الخبيثة في الحصول على مزيد من الاستحسان منهم.

- الصوم العلني. ليست هناك مشكلة في أن يُكْتَشَف أنك صائم، أو أن تتفق الكنيسة على صوم مشترك، لكن المشكلة هي أن تكون رغبة القلب أن

تبدو أمام الناس صائماً. هذا دائماً أمر بينك وبين الله. على كل واحد منا أن يفحص نفسه بأمانة تجاه هذه الأمور. الصوم عند بني الملكوت هو أن نتعلم أن نستودع كياننا وحياتنا (حتى الجسدية) لعناية ملكوت الله غير المنظور ونختبر أن هذا الملكوت الروحي يستطيع أن يُحيِي أرواحنا ويسند أجسادنا لوقت أطول مما كنا قد اعتدنا، بدون الاعتماد على الطعام.[٧٣] وكما أن الصلاة هدفها التفاعل مع الله وليس فقط الحصول من الله على أشياء، فالصوم أيضاً ينبغي أن يكون له وظيفة أكثر روحانية من مجرد التوسل إلى الله لكي يفعل شيئاً لنا أو يحمينا أو يحمي أمّتنا من شيء أو يعطينا إرشاداً في قرار ما.

- العطاء العلني. أيضاً ليست المشكلة أن يَعرِف أحدٌ أنك أعطيت ولكن المشكلة هي في القصد والنيّة. فمن يُريد أن يُعرَف عطاؤه ويُمتَدَح، فهذا هو الذي يرغب في المجد من الناس أكثر مما يرغب في تأصل ملكوت الله فيه. على واجه العموم فإن الأشخاص الذين تغيروا بفعل مسيرتهم مع الله لا يفكرون كثيراً قبل أن يقدموا الخير للآخرين، فذلك يكون تعبيراً تلقائياً عن طبيعتهم الجديدة ـــ طبيعة الملكوت.

- يجازيك علانية. بطبيعة الحال، فالجزاء الذي يرغب فيه بنو الملكوت ليس جزاءً مادياً ولا زمنياً، الجزاء هنا يكونُ تواصُلاً أعمق مع الله وتغييراً واضحاً في الشخصية الروحية. هذه التغييرات عندما تصل إلى حَدٍّ معين، سوف يراها الناس حيث لا يُمكِن أن تخفى مدينة على جبل. لكن بني الملكوت، كلما نَمَوْا في معرفة الله وكلما تغيرت طبيعتهم لتشبه المسيح كلما أصبحوا أقل اهتماماً برأي الناس فيهم.[٧٤]

---

73 Dallas Willard, *The Divine Conspiracy*

٧٤ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٤: ٣

بنو الملكوت أشخاص يستخدمون المال ويخدمون الناس، لا يخدمون المال ويستخدمون الناس. كما كررنا أكثر من مرة، التَوَجُّه الحقيقي لبني الملكوت هو توجه المحبة لله وللآخرين. هذه المحبة ليست مجرد مشاعر أو شعارات ولكنها اختيارات عملية. وكثيراً ما تتضمن هذه الخيارات العملية مالاً. فعندما يكون توجهك الأساسي هو الله والناس، فإنك سوف تميل لأن تستخدم المال من أجل الله ومن أجل الآخرين. كما أن الناس يمكن أن يكونوا هم «إلهَنا» ، يمكن للمال، بطبيعة الحال، أن يكون إلهاً أيضاً. لذا ينبغي مقاومة هذين الإلهين بلا هوادة. ومما يُعَقِّد الأمور أننا كثيراً ما نحاول أن نتخلص من أحدهم، لنقع في براثن الآخر، لذلك علينا دائماً أن نكون يقظين روحياً لنستقبل من الروح القدس يومياً خطة التَحَرُّك لتجنب الوقوع في تلك الوثنية.

كيف نقاوم الإله «المال»؟ لن تكون مقاومة هذا الإله بالصلاة أو بالمعرفة الكتابية، وإنما بالفعل العملي:

- من خلال العطاء دون أن ترجو الرد، ودون أن تخاف على مستقبلك وأمانك المادّي، فأنت تثق في ملكوت الله أكثر مما تثق فيما تكنزه من كنوز.

- من خلال الراحة واستغلال الوقت في التأمل والعمل من أجل ملكوت الله بدلاً من قضاء أغلب الوقت في العمل الذي يُدرّ أجراً.[٧٥]

- من خلال عطاء الوقت للناس، خاصة إن كان وقتك يعني مالاً.[٧٦]

- من خلال عدم التفكير أكثر من اللازم في الاستثمارات المالية، والتفكير أكثر من ذلك في الاستثمارات البشرية. أي أن تستمر ليس في شهادات وصكوك وشراء بيوت وأراضي، وإنما في أشخاص وعلاقات.[٧٧]

٧٥ مزمور ١٢٧: ٢

٧٦ ٢كو١٢: ١٥

٧٧ غلاطية ٤: ١٩

بنو الملكوت أشخاص يهتمون بالجوهر أكثر من المظهر. ليس عيباً أن تهتم بمظهرك وتريد أن تبدوا أنيقاً جميلاً، فالمسيح الذي يقول لا تهتموا كثيراً بما تأكلون وما تشربون وما تلبسون، هو نفسه الذي يقول في المكان نفسه أن الله قادر أن يطعمكم أفضل الطعام ويلبسكم أجمل من زنابق الحقل. لكن إذا أنفقت على ذلك أكثر من اللازم، مالاً كان يمكن أن تعطيه لتسديد احتياجات أساسية لشخص آخر، فهذا يعكس تَوَجّهاً روحياً مخالفاً لتوجه الملكوت الذي يهتم أساساً بالجوهر أكثر من المظهر وبالإنسان أكثر من الأشياء، ليس لأن شراء هذه الأشياء «حراماً» فليس في ملكوت الله حلال أو حرام، والمسيح الذي قال ألا تهتم بالمظهر هو نفسه، قبل هديةً من ثوبٍ غالِ الثمن (حتى أن ضباط الرومان ألقوا قرعةً عليه). كان يسوع أيضاً يُدعى لولائم فاخرة ويستجيب، ولا ينتقد مقيميها، وقبِلَ أن يُسكَبَ عليه عطر باهظ الثمن، وانتقد من قال أن ذلك إسرافٌ. لكنه في نفس الوقت الذي قَبِلَ فيه مثل هذه الإفراط المحدود في التعبير عن الفرح، كان يمارس الصوم والتقشف فلم يكن له أين يسند رأسه ولم يكن له ثوبٌ غالِ الثمن إلا هذا الثوب الوحيد. لست أقول هذا لأن البهجة والاحتفال أمرٌ خاطئٌ، فالاحتفال والأعياد والاستمتاع بالأكل والشرب والفرح أمام الرب[٧٨] هي في حد ذاتها إحدي التدريبات الروحية كالصوم تماماً، لكنها يتم في مواسم مُحددة وبطريقة مرتبة منتظمة. وإنسان الملكوت يعيش وفق قيادة الروح القدس في تحقيق التوازن بين هذه التدريبات فلا يتحول الاحتفال إلى نهم وإسراف ولا يتحول الصوم والتقشف إلى كبرياء روحي وبر ذاتي.[٧٩] وعندما أقول «وِفق قيادة الروح القدس»، فإنني أعني أن تغيير الطبيعة الداخلي يجعل

إذا أنفقت على المأكل والملبس أكثر من اللازم، فهذا يعكس تَوَجّهاً روحياً مخالفاً لتوجه الملكوت.

٧٨ لاويين ٢٣: ٣٧-٤٤

٧٩ دالاس ويللارد، *التدريبات الروحية*.

لدى إنسان الملكوت «حِسّاً» داخلياً يَحكُم من خلاله إن كان قد تطرف في هذا الاتجاه أو ذلك الاتجّاه[٨٠] فيَتَّزِن، دون أن يحتاج لأن يُحكَم فيه من أحد بشكل ديني خارجي.

بنو الملكوت يحصلون على أمانهم من خلال المحبة فلا يميلون إلى تغذية شعورهم بالأمان من خلال إدانة الآخرين.

بنو الملكوت أشخاص لا يدينون الآخرين لأنهم يدركون أنهم هم أيضاً ضعفاء ومجربون بنفس الخطايا. كثيراً ما نميل للشعور بالتفوق على الآخرين. وتتخذ محاولات الشعور بالتفوق أساليب متعددة منها إدانة الآخرين، والبحث عن عيوبهم، فهذا قد يُشعِرُنا ببعض الأمان. أما بنو الملكوت الذي يحصلون على أمانهم التام من خلال علاقة المحبة والقبول من الله والناس، فلا يميلون إلى تغذية شعورهم بالأمان من خلال إدانة الآخرين. بنو الملكوت يُدرِكون أنهم، هم أيضاً ضعفاء ومُجَرّبون بكل ما يُجَرَّب به الآخرون وأنهم قد يفعلون نفس هذه الأشياء التي يفعلها الآخرون.[٨١] بنو الملكوت يستطيعون إدراك مشاعر الآخرين وفهم مواقفهم، بل والدخول إلى نفس الحالة التي يعيشها الآخرون دون التورط فيها. إنهم يستطيعون أن يحملوا أثقال الآخرين وهم في نفس الوقت يدركون أن كل واحد سوف يحمل حمل نفسه.[٨٢]

عدم إدانة الآخرين لا يعني عدم القدرة على المواجهة،[٨٣] ولكن مواجهة الإنسان لنفسه ولأخطائه تجعله عندما يواجه الآخرين بأخطائهم[٨٤] يكون قادراً على التمييز بين الإنسان وخطئه وخطيته. هذا ما يقصده يسوع عندما يتكلم عن

٨٠ ١ كورنثوس ٢: ١٥

٨١ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٢: ١-٣

٨٢ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٦: ١-٥

٨٣ إنجيل لوقا ١٧: ٣ أ

٨٤ إنجيل متى ٧: ٥ ب

«الإبصار الجيِّد» أثناء المواجهة. «حِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ». الرؤية السليمة التي يكتسبها من أخرَجَ الخشبة من عينه، تجعله يستطيع التفريق بين القذى، والعين المصابة به فيُخرِج القذى دون أن يجرح العين. أيضاً البصيرة السليمة التي يكتسبها من يواجه نفسه بأخطائه، تجعل تَوَجُّه قلبه سليماً، فيُدين الخطية دون أن يدين الإنسان. هذا التوجه الداخلي من المحبة والقبول يستشعره الإنسان الذي يتعرض للمواجهة، فيُحب من يواجهه، ويُحب نفسه، ويكره الخطية. هذا ما يقصده بولس الرسول عندما تكلم عن «الإصلاح بروح الوداعة»،[٨٥] و«تمكين المحبة» للأخ المخطئ المعترف بخطئه[٨٦] وهذا ما فعله بولس نفسه عندما واجه بطرس بنفس روح المحبة والوداعة.[٨٧]

بني الملكوت يعودون أكثر فأكثر إلى هذه «الفِطرة» الإنسانية السليمة الخارجة من النفس إلى الله وإلى الآخرين.

بنو الملكوت أشخاص يطلبون من أبيهم السماوي ما يحتاجون إليه بثقة الأطفال. برغم ابتعادنا نحن البشر كلنا عن الفطرة التي خلقنا الله عليها بسبب الخطية والسقوط، فإن الأطفال هم الأقرب نسبياً لتلك للطبيعة. إنها الطبيعة الخارجة خارج نفسها بسهولة إلى الله وإلى الآخرين بشكل فِطرِيّ. إن أبعد الناس عن الكبرياء والأنانية والانحصار في النفس هم الأطفال الصغار، لكننا سرعان ما نُعَلِّمهم ذلك دون أن ندري، وذلك بأن نحياه أمامهم فيلتقطون بسرعة «فيروس» الكبرياء والتمرد المتفشي في بني آدم. بل أنهم يولدون به، ولو في صورة كامنة، بسبب شيوعه فينا لأجيال عديدة سحيقة. لهذا السبب فإن بني الملكوت هم الذين يعودون أكثر فأكثر إلى هذه الفطرة الإنسانية السليمة.[٨٨]

٨٥ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٦: ١

٨٦ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٢: ٨

٨٧ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٢: ١٤

٨٨ إنجيل متى ١٨: ٢

حتى أننا نستطيع أن نقول أن السِمة الأساسية التي تميز بني الملكوت والتي هي المحبة وعدم الانحصار في الذات، تجعلهم أقرب إلى الأطفال. ليس من ناحية السذاجة [٨٩] وعدم الحكمة ولكن من نواحٍ أخرى كثيرة إيجابية:

- يُعَبِّرون عن مشاعرهم بسهولة وبساطة ولا يدينون أنفسهم بسبب ما يشعرون[٩٠]
- يُعَبِّرون عن احتياجاتهم لأبيهم السماوي كما يُعَبِّر الطفل الجائع لأبيه أنه يريد خبزاً أو بيضة أو سمكة[٩١]
- يتصالحون ويغفرون بسهولة وبساطة[٩٢]
- يُقبِلونَ بثقةٍ واستعدادٍ للطاعة نحو الآب السماوي[٩٣]

بنو الملكوت يحبون الحق الذي يرتبط بالمحبة ويعشقون الرحمة التي تعانق العدل.

بنو الملكوت أشخاص يبحثون عن الحقيقة حتى ولو كانت مُكلفة والطريق إليها صعب. إن كانت المحبة الحقيقية هي العلامة الأولى، فمحبة الحقيقة هي العلامة الثانية الأساسية التي تُمَيِّز بني الملكوت. بنو الملكوت يُحِبُّونَ الحق الذي يرتبط بالمحبة، ويعشقون الرحمة التي تعانق العدل. ولايظهر الالتزام بالحقيقة جَلِيًّا، إلا إذا كان الطريق إليها صَعباً ومُكَلِّفاً. وكثيراً ما يكون طريق الحق، هو طريق الاتزان بين موقفين يتميز كل منهما بالتطرف والإفراط. وعادة عندما يتخذ الإنسان مثل ذلك الموقف الباحث عن الحق، سوف يتعرض للهجوم من الطرفين. أحدهما يتهمه بالتفريط والآخر

---

٨٩ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ١٣: ١١ و١٤: ٢٠

٩٠ مزمور ٤: ٤ ومزمور ١١٦: ١٠

٩١ إنجيل متى ٧: ٩

٩٢ إنجيل لوقا ١٧: ٣ ب – ٤

٩٣ إنجيل لوقا ١٨: ١٧

يتهمه بالتَزَمُّت. أما الباحث عن الحقيقة فيحتمل هجوم الطَرَفين معاً. هذا هو أحد أشكال «الطريق الضَيِّق» الذي يقصده يسوع. لا أعتقد أن المسيح كان يقصد بالطريق الضيق أن هناك أشخاصاً مُعينين هم «الفرقة الناجية» أو الطائفة الوحيدة التي تمتلك الحق المطلق في هذا العالم، وإنما كان يقصد بالطريق الضيق أنه الطريق الباحث عن الحق بين مواقف كثيرة مغالية ومتطرفة تضغط من الجانبين، فتجعل ذلك الطريق صَعباً ضيقاً. وقد كان المسيح نفسه يعيش هذا الاتزان الضّيِّق:

- كان يصوم أصواماً كثيرة (منها ما وصل إلى أربعين يوماً وأربعين ليلة) وفي نفس الوقت كان يُدعى إلى ولائم ويلبي الدعوة حتى قيل عنه أنه «أكولٌ وشِرِّيبُ خمرٍ» وكان اليهود يهاجمون السلوكين معاً بغرابة شديدة.[٩٤]

- كان يُجالِس ويُحِب الزناة والعَشّارين وكان في نفس الوقت يعيش ويُعَلِّم بصرامة شديدة ضد الزنى ومحبة المال.

- كان يُصِرّ على تعليم الفريسيين بشأن الحياة الأبدية[٩٥] والملائكة، وفي نفس الوقت سمح لنفسه أن يهاجم الممارسات الخاطئة للفريسيين[٩٦] وهكذا كان يمشي في الطريق الضيق الذي يعرضه للهجوم من كل من الصدوقيين (أعداء الفريسيين الذين كانوا يُنكرون القيامة) ومن الفريسيين أيضاً (الذين كانوا يعبدون الناموس من دون الله). كان في كل مرة يشهد للحق، سواء كان الحق مع هؤلاء الناس أو ضِدّهم.

- في الوقت الذي فيه يَمُرّ بقرية السامريين، ويتكلم باحترام شديد مع امرأة سامرية لا تعيش حياة أخلاقية جَيِّدة، بل ويَكشِف لها عن حقيقة أنها

٩٤ إنجيل لوقا ٧: ٣١-٣٥

٩٥ إنجيل متى ٢٢: ٢٣ ـ ٣٣

٩٦ إنجيل متى ٢٣: ١٣-٣٦

هو المسيا (الحقيقة التي لم يكشفها حتى لتلاميذه إلا بعد وقت طويل)[٩٧]، كان في نفس الوقت يَعبُر لها، بلا حرج، أنه يرفض «هرطقة» السامريين ويقول بوضوح أن «الخلاص هو من اليهود»[٩٨](أي أن اليهود أصَحّ عقيدةً من السامريين). وقد كانت شهادته للحق مقبولة منها لأنها كانت مُغَلَّفة بالحب والاحترام. وهذا جعل قرية السامريين كلها تقبله وتؤمن به[٩٩]. ربما لم يكونوا وقتها قد تخلّوا تماماً عن هرطقتهم، لكنهم في الأغلب سوف يتخلّون. أو على الأقل سوف ينشغلون عنها بعشقهم لطريق الحياة. هو نفسه لم يشغل نفسه بالجدل معهم ليثنيهم عن عقائدهم التي أصبحت موروثة وصعبة التغيير[١٠٠]، بل انشغل بأن يريهم محبة الله وقُوّة الله والطريق الروحي الجديد الذي قد أَعَدّه الله[١٠١] فزَرع فيهم الإيمان الذي من شأنه أن يقضي تدريجياً على حشائش الأفكار الخاطئة. وهذا ما ينبغي أن ننشغل به نحن أيضاً ونُدرِك أن العطش الروحي الذي في الأرض[١٠٢] لن تُرويه العقائد ولا محاولات الإقناع أو الهجوم على معتقدات الآخرين وإنما سوف ترويه مياه محبة المسيح الحَيَّة[١٠٣] عندما تتجسد فينا وتعلن عنه فينا إعلاناً حقيقياً مُعاشاً وليس مجرد كلام.

• كان يسوع يصنع كل أنواع المعجزات ويشفي كل مرض وضعف في

---

٩٧ إنجيل يوحنا ٤: ٧-١٨، ٢٦

٩٨ إنجيل يوحنا ٤: ٢٢

٩٩ إنجيل يوحنا ٤: ٣٩-٤٢

١٠٠ إنجيل يوحنا ٤: ٢٠

١٠١ إنجيل يوحنا ٤: ١٠، ١٣، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٤٢

١٠٢ إنجيل يوحنا ٤: ٣٥

١٠٣ إنجيل يوحنا ٤: ١٣، ٢٥، ٤٠-٤٢

الشعب[١٠٤] ويُطعِمهم من جوع، لكنه كان يمتنع عن ذلك بصرامةٍ شديدة، عندما يتحوَّل تَوَجه قلوب الناس نحو طلب المعجزة في حد ذاتها[١٠٥] أو البحث عن الخبز الأرضي أكثر من البحث عن الخبز السماوي.[١٠٦]

- كان يُشَدّد على إكرام الوالدين[١٠٧]، لكن ليس لدرجة السماح لهما بتحديد المصير الروحي للإنسان الراشد.[١٠٨]

- كان يعلن بوضوح وجُرأة آراءه السياسية المخالفة لما هو مَعْمول به، وفي نفس الوقت يطيع القوانين والسلطات البشرية.[١٠٩]

هذه مجرد أمثلة بسيطة عن «الطريق الضَيِّق» الذي كان يسوع يسيره بين تناقضين وموقفين متطرفين لا يُعَبِّرَان عن الحقيقة التي كان يشهد عنها ويحُث تابعيه من بني الملكوت على البحث عنها دائماً مهما كانت التكلفة.

بنو الملكوت أشخاص يريدون أن «يصنعوا» مشيئة الله في حياتهم، وليسوا فقط مدمنين «للمشاعر الدينية». يختم المسيح تعليمه في الموعظة على الجبل بهذا الختام الذي «يَصُرُّ» به الشهادة[١١٠] صَرّاً تاماً بأن يقول إن تعليمي هذا الذي أُقَدِّمُه ليس لمجرد «الإعجاب» أو كمقدمة لصُنع المعجزات ولكنه تعليم للحياة. أي أنّه تعليم يحيا به من يعمله ويطيعه، لا من يسمعه ويُعجَب به فقط. فكم من الآلاف سمعوا يسوع وبُهِتوا من تعليمه! لكنهم لم يتبعوه ولم يطيعوه ولم يصيروا

---

١٠٤ إنجيل متى ٤: ٢٣

١٠٥ إنجيل متى ١٢: ٣٩

١٠٦ إنجيل يوحنا ٦: ٢٦-٢٧

١٠٧ إنجيل متى ١٥: ٣-٦، ولوقا ٢: ٥٠

١٠٨ إنجيل متى ٨: ٢٢، و ١٢: ٤٦-٥٠

١٠٩ إنجيل متى ١٧: ٢٤-٢٧ و ٢٢: ١٥-٢٢

١١٠ إشعياء ٨: ١٦

من تلاميذه. لذلك يختتم المسيح الموعظة على الجبل بتحذير هام، وهو أن هذه الوصايا ينبغي أن «نَفْعَلَها».هذه النوعية من الحياة هي عطية من الله، لكننا نحتاج لأن نَفْعَلَها لكي نُفَعِّلها. إنها تعمل بقوة الله، لكن لأنها تعمل في بشر أصحاب إرادة حرة وبالتالي مسئولية، فهي لن تعمل إلا بإذنهم وبموافقتهم ومن خلال اشتراكهم الفاعل فيها. فيقدم المسيح أربع صور متقابلة توضح الفرق بين من يعيش ما يقوله يسوع ومن لا يعيشه. أولاً: الباب الضيق الذي يؤدي للحياة، والباب الواسع الذي يؤدي للهلاك (متى ٧: ١٣-١٤) ثانياً: الشجرة الجيدة التي تصنع ثمراً جيداً والشجرة الردية التي تصنع ثمراً ردياً (متى ٧: ١٥-٢٠) ثالثاً: من يصنعون مشيئة الآب ومن يصنعون أموراً عظيمة باسمه لكن لا يصنعون مشيئته. (متى ٧: ٢٠-٢٣) رابعاً وأخيراً: من يبني بيته على الصخر ومن يبنيه على الرمل (متى ٧: ٢٤-٢٧).

> حياة الله تعمل بقوة الله. لكن لأنها تعمل في بشر أحرار مسئولين، لذلك فهي لن تعمل إلا بإذنهم ومن خلال اشتراكهم الفاعل فيها.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّصَ الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

في الموعظة على الجبل أراد المسيح أن يقول:

١- إنّ الملكوت قد اقترب وصار متاحاً لكل من يدخل.

٢- مبدأ الملكوت هو تغيير القلب من الداخل وليس السلوك من الخارج.

٣- يتغير القلب بنقلِهِ من مُلكِ الإنسان على نفسه، إلى مُلك الله على القلب، وهذا بدوره يغير السلوك الخارجي.

٤- هذا المُلك يعمل بالحب غير المشروط والقبول بلا إدانة أو سيطرة لكن بالطلب من الله (الصلاة) ومن الناس (العتاب والمواجهة من جهة والتوبة وطلب الغفران من جهة أخرى).

٥- هذه القوّة الإلهية تُفعلها الطاعة لكل ما يقوله المسيح، فعندما نطيع، تبدأ قوة الله في العمل لنجد أنفسنا نفعل ما لا نستطيع بمفردنا أن نعمله.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

فيما يلي بعض الاقتراحات لتدريبات عملية تساعد على ترسيخ مفاهيم ملكوت الله في العقل والقلب.

- اقرأ ببطء هذه العبارات التي تصف بني الملكوت وصلّ أن تتحقق فيك:
- أشخاص لا يغضبون باطلاً ويتحكمون في غضبهم.
- أشخاص مستعدون للصُلح مع بعضهم البعض بسهولة.
- أشخاص يقاومون الشهوة ليس فقط في أفعالهم بل حتى في قلوبهم، ويقاومون كل أنواع العثرة بحزم شديد مع أنفسهم.
- أشخاص يحترمون عهود الزواج.
- أشخاص لا يحاولون التأثير على بعضهم من خلال الكلام ولكن كلامهم بسيط وأمين خالٍ من المناورة.
- أشخاص يسامحون ويغفرون ولا ينتقمون.
- أشخاص يحبون ويخدمون الجميع حتى من لا يحبونهم، ومن يعادونهم.
- أشخاص يصنعون الخير ليشاهدهم شخص واحد فقط هو الله. فيُصلّون ويصومون ويُعطون الآخرين لأنهم يحبون الله والإنسان، لا لكي يصفهم الناس أنهم "صالحون" أو "روحيون".
- أشخاص يستخدمون المال ويخدمون الناس، لا يخدمون المال ويستخدمون الناس.

- أشخاص يهتمون بالجوهر أكثر من المظهر.
- أشخاص لا يدينون الآخرين لأنهم يدركون أنهم هم أيضاً ضعفاء ومجربون بنفس الخطايا.
- أشخاص يطلبون من أبيهم السماوي ما يحتاجون إليه بثقة الأطفال.
- أشخاص يبحثون عن الحقيقة حتى ولو كانت مُكلفة والطريق إليها صعب.
- أشخاص يريدون أن "يصنعوا" مشيئة الله في حياتهم، وليسوا فقط مدمنين "للمشاعر الدينية"

في هذا الكتاب سوف نحاول أن نرى هذه الملامح الأربعة للملكوت (الملكوت القريب – الملكوت الذي يُغير القلب ـ الملكوت الذي يَعمَل بالحب ـــ الملكوت الذي يعمل من خلال الطاعة)، في مجموعة من فقرات العهد الجديد التي تصف كيف ينبغي أن يعيش إنسان الملكوت.

في الجزء الأول من الكتاب سوف نتناول أهمية تغيير الفكر وتجديد الذهن. فالملكوت الجديد يُمثِّل طريقة في التفكير تختلف تماماً، إلى درجة التناقض، مع طريقة التفكير السائدة في العالم المُحيط بنا. لذلك فإن بني الملكوت يجب أن يكونوا مستعدين أن يعيشوا وفقاً لمنظومة فكرية مختلفة عن العالم من حولهم. هذا سوف يجعلهم يعيشون حياة معاكسة لأسلوب الحياة في العالم وربما يفرض عليهم بعض التضحيات، لكن العجيب هو أنهم سوف يقومون بذلك وهم يشعرون بالفرح والمكسب وليس الخسارة.

أما في الجزء الثاني فسوف نتناول الفقرات التي تشير إلى حقيقة أن بني الملكوت ينبغي أن يُميتوا بشكل مستمر كل ميلٍ فيهم للعودة لأسلوب الحياة القديم. هذا الميل يسميه العهد الجديد «جسد الخطيَّة» أو الطريقة القديمة في التفكير والسلوك، والعادات الكامنة في الجسد الذي ربّاه العالم لسنوات طويلة ولأجيال عديدة على نظامٍ معادٍ لله.

في الجزء الثالث سوف يشير إلى مفهوم الانضباط والمثابرة ليس بهدف البر «الذاتيّ» وإنما من أجل المحبة والخروج للآخر.

وفي الجزء الرابع «الخاتمة» سوف ندرس بعض الفقرات التي تؤكد على أن هذا التغيير يحدث بالتدريج وأحياناً ببطء شديد وأحياناً تمر على الإنسان «مواسم مطر» ينمو فيها بمعدلات سريعة وأحياناً أخرى يجتاز في «مواسم جفاف» يصارع فيها فقط لكي «يبقى على قيد الحياة» روحياً. لذلك علينا أن نصبر على أنفسنا وعلى الآخرين فكل إنسان له المُعدل الذي به ينمو روحياً.

الجزء الأول

إنسان الملكوت

صاحب فكر جديد ورؤية خاصّة

الفصل الثالث

تغيروا.. بتجديد أذهانكم

لا تغيير حقيقي بدون تغيير الفكر

فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ. فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ. رسالة (رومية ١٢: ١-٣).

هل نحن الذين نُغَيّر أنفسنا أم أن الله هو الذي يُغَيِّرنا؟ الإجابة ببساطة هي، الاثنين معاً. هذه الحقيقة مثل حقائق كثيرة في العهد الجديد «تخالفية» Paradoxical، والحقيقة التخالفية هي اجتماع أمرين يبدوان متناقضين لكنهما في الواقع العملي والاختباري متصالحان تماماً، وبل وضروريٌّ اختلافهما واجتماعهما معاً في نفس الوقت، فالحقيقة ليست موجودة في طرف أقصى، ولا في المنتصف، وإنما في اجتماع النقيضين معاً[1] وإذا تأملنا الحياة نفسها، فسوف نرى أنها تنتج من اجتماع النقيضين معاً. التيار الكهربائي يحدث من الموجب والسالب، والبشرية تنتج من اندماج الذكورة والأنوثة. الحياة تؤدي للموت والموت يُفضي إلى الحياة.

الحقيقة ليست موجودة في طرف أقصى، ولا في المنتصف، وإنما في اجتماع النقيضين معاً.

١ Charles Simeon قس ولاهوتي إنجليزي عاش في القرن الثامن عشر

وبشكل خاص تعكس الحقائق اللاهوتية التي يقدمها العهد الجديد هذه الطبيعة. فالله واحد وثالوث في نفس الوقت، وكذا المسيح تجتمع فيه الألوهة والإنسانية بشكل متصالح، فالله كان حالّاً في المسيح ويملأ حضوره الكون كله في نفس الوقت، فليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء.[٢] بنفس الطريقة، فإن التغيير هو عمل الله والإنسان. أو بكلمات أدقّ هو «عمل الله» الذي لن يتم تفعيله إلا من خلال طاعة الإنسان وإيمانه العملي.

في العهد الجديد نجد فقرات تُصَوِّر التغيير أنه عمل الله بشكل كامل، وأن دور الإنسان فيه يقتصر على «الاستقبال» ففي رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس[٣] نقرأ أن علينا فقط أن ننظر مجد الرب بوجه مكشوف فنتغير كما من الرب الروح (أي بعمل الروح القدس). وفي الفقرة موضوع الدراسة في هذا الفصل، نجد فعل الأمر: «تَغَيَّروا»، مخاطباً الإرادة والقرار والعمل الإنساني بشكل واضح. والعمل الإنساني هنا ليس بعيداً عن العمل الإنساني في رسالة كورنثوس أيضاً، فالوقوف أمام الله بوجه «مكشوف» يتطلب خَلعاً مستمراً للأقنعة والتخلي عن طرق التفكير القديمة، أي تجديد الذهن.

نجد أيضاً في العهد الجديد، التوازن بين مفهوم «السلوك بالروح» الذي يعكس الخيار الإنساني لطاعة الروح القدس، ونجد أيضاً مفهوم «الانقياد بالروح» الذي يعكس عمل الروح السيادي في قيادته لحياة الإنسان.[٤] إذاً الروح يعطي القوّة والقيادة، ونحن نتجاوب بالطاعة السلوكية. السلوك بالروح هو إذاً قرار إنساني يُفَعِّل القوة الإلهية، أي يأتِي بها إلى حَيِّز الفعل العملي.

---

٢ إنجيل يوحنا ٣: ١٣

٣ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٣: ١٧، ١٨

٤ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٨: ١، ١٤

يُمكِنُنا إذاً أن نُصَوِّر عملية التغيير في صورة ثلاثة تروس تعمل معاً. الترس الأول فيه هو القرار الإرادي الطائع الذي هو التعبير الأسلم عن الإيمان.[٥] ثم التُرس الثاني هو التجديد المُستَمرّ للذهن، أما الترس الثالث، فهو اتّباع أسلوب يسوع في حياتنا اليومية.

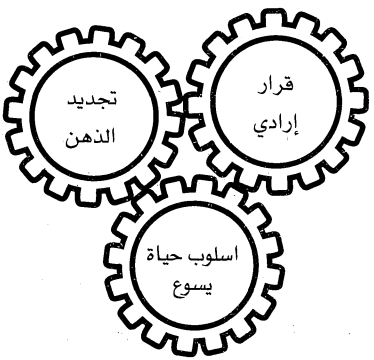

تجديد الذهن

إذا كان التُرس الاول في منظومة التغيير هو تُرس الإيمان، أي القرار الإرادي بالتجاوب مع نعمة الله، فإن التُرس الثاني هو «تجديد الذهن» أي تغيير الأفكار والمعتقدات الراسخة. فقرار التغيير الإرادي لن يُثمر تغييراً في السلوك (الشكل) واتِّباع أسلوب حياة يسوع، إلا بعد أن يعبر محطة تغيير الأفكار. هذه الأفكار هي جُزءٌ مما يُسَمّيه بولس الرسول «الجسد» وذلك في قوله إننا ينبغي أن نقدم أجسادنا ذبيحة حية. الجسد المقصود ليس هو الجسم المادّي الملموس، وإنما هو النظام الفكري الذي يقود ذلك الجسم المادي. الذي يقصده بولس هنا ليس «الجهاز» Hardware وإنما هو «نظام التشغيل» Software القديم الذي يتبع مملكة العالم. وتقديمه المستمرّ كذبيحة، هو التخلي عنه لحساب نظام التشغيل الجديد لملكوت الله. نفس هذا المفهوم نجده

٥ رسالة يعقوب ٢: ١٤-٢٦

في أماكن أخرى من العهد الجديد تحت شعار «خلع العتيق ولبس الجديد»[٦] وهذه هي طريقة التغيير حيث أن الإنسان لديه تسلسل واضح للسلطة في كيانه؛ أي أن الكيانات الأعلى مثل الإرادة، لا تستطيع أن تؤثر على الجسد (السلوك) مباشرة، وإنما الإرادة تُحَرِّك الأفكار، التي بدورها تحرك الجسد من خلال المشاعر.

لذلك يحث بولس الرسول هنا الإرادة أن تُغيّر السلوك (الشكل)، وهذا ليس مباشرةً، وإنما من خلال تغيير الذهن. نفس هذه الوصية نجدها تتردد عندما يوصي أهل فيلبي بالتفكير في كل ما هو حق وعادل وطاهر ويُشَجِّع أهل كورنثوس أن يهدموا «الظنون» ويستأسروا كل «فكر» إلى طاعة المسيح[٧]. لكن لماذا يدعو العهد الجديد هذه الأفكار والمعتقدات الراسخة «الجسد»؟ أتصَوَّر أن السبب هو أن هذه المعتقدات الراسخة المتوارثة، من فرط رسوخها تعمل تلقائياً وتحرك الجسد دون استشارة الذهن وكأنها موجودة في أعضائنا.[٨]

ما هو «الفكر» الذي يشير بولس إلى ضرورة تغييره؟ في هذه الفقرة التي ندرسها يتحدّى بولس الرسول فِكراً سائداً في العالم، لا بد أن يفقد قوَّته لكي نتغير إلى صورة إنسان الملكوت. هذا الفكر هو أن الإنسان دائماً «يريد أن يكون»:

- يريد أن يكون صاحب مال وفير، لكي يسيطر على ما يمكن أن تأتي به الحياة من تحدّيات.
- يريد أن يعرف كل شيء ولا يحتمل أي غموض.
- يريد مَحَبَّة واستحسان كل الناس، فيحاول أن يسيطر عليهم بكل الصُوَر المباشرة وغير المباشرة.

---

٦ رسالة بولس الرسول لأهل أفسس ٤: ٢٢ وكولوسي ٣: ٩، ١٠

٧ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ١٠: ٣- ٦

٨ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٧: ٢٣

- يريد أن يصدقّه كل الناس فيضيف إلى كلامه الأقسام والطرق المختلفة للإقناع ولا يكون كلامه فقط نعم نعم، ولا لا.

- يريد أن يسيطر حتى على الله وذلك من خلال «التَدَيُّن» الذي يجعله يتصوَّر أن بكثرة كلامه في الصلاة يستجاب له.

ولكي يوَّضح بولس الرسول عدم منطقية هذا الفكر يُشَبِّهُهُ بعضو في الجسد يحاول أن يصبح عضواً آخر. كأن تحاول الأنف أن تبصر أو العين أن تَشُمّ. هذا الفكر غير المنطقي هو الذي يؤدي إلى سلوكيات السيطرة التي تُعَذِب وتُشقي الإنسان. فيالشقاء الأنف التي تقضي كل حياتها تريد أن تُبصِر! فلا هي أبصَرَت ولا هي قد شَمَّت.

تبدو لنا الرغبة «أن نكون» منطقية ومقبولة، ليس لأنها في واقع الأمر كذلك، ولكن لأننا تعلّمنا هذه الطريقة للتفكير منذ نعومة أظفارنا، ورأينا كل من حولنا يؤمن بها ويعيشها بكل إخلاص. هذا هو السقوط والخطية العامّة التي في العالم[٩]. لذلك لا يمكن أن يتصرف الإنسان «بتَعَقُّل»[١٠] إلا إذا قَدَّم هذا الفكر غير العاقل «ذبيحة حية». ومفهوم الذبيحة الحية هنا يشير إلى أمرين، الأمر الأول هو أن التخلي عن هذه الطريقة في التفكير، لا تعني أن نتوقف تماماً عن التفكير، فهي إذاً ذبيحة تظل حيَّة. الأمر الثاني هو أن تقديمها ينبغي أن يَتَكَرَّر فهي بعد أن تُذبَح تعود مرة ثانية للحياة. الأفكار القديمة الراسخة لا تموت بسهولة، فهي متأصلة في كل من وعينا الفردي والجمعي.

---

٩ أراد الإنسان الأول أن يسيطر على مصادر المعرفة بالاستقلال عن الله (شجرة معرفة الخير والشر) وتصير لديه معرفة ذاتية بالخير والشر دون أن يحتاج إلى الله (يصير مثل الله عارفاً الخير والشر). تكوين ٣: ٤

١٠ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ١٢: ٣

أسلوب حياة المسيح

أسلوب حياة المسيح هو أسلوب الحياة الخالي تماماً من السيطرة، والخاضع تماماً لله.

تغيير الأفكار لن يؤدي بطريقة تلقائية إلى أسلوب حياة المسيح، فيجب علينا في نفس الوقت الذي نمارس فيه تجديد الذهن، أن نمارس بالفعل وبشكل مقصود، أسلوب حياة المسيح وذلك من خلال ممارسة تدريبات روحية واضحة ومقننة.[١١] عندما نعيش هذا الأسلوب من الحياة (التُرس الثالث)، يصبح اتخاذ القرار بالسلوك بالروح (التُرس الأول) أسهل، وكذا تجديد الذهن (التُرس الثاني). لاحظ أن نظرية التروس تشير إلى أنها ليست خطوات ١ ـــ ٢ ـــ ٣ بمعنى أن الخطوة الأولى تنتهي تماماً لتبدأ الثانية ثم الثالثة، لكن كل خطوة هي عمل مستمر مثل ترس دائم الدوران. وتحريك كل ترس لا يؤدي فقط إلى دورانه هو، وإنما يؤدي إلى تسهيل دوران التروس الأخرى. وتَوَقُّف كل تُرس، لا يؤدي إلى تعطيله هو فقط، وإنما يؤدي إلى تعطيل باقي التروس. القرار يُسهِّل من عملية تغيير الفكر، وتغيير الفكر يُؤدي إلى تغيير أسلوب الحياة، وعندما يتغير أسلوب الحياة، فهذا يؤدي بدوره إلى تغيير الفكر وتعميق القرار وهكذا. الكُل يعمل معاً.

ما هي السِمّة المُمَيِّزة لأسلوب حياة يسوع؟ كما هاجم المسيح بضراوة سلوكيات السيطرة وبالذات في تعليمه الأساسي في الموعظة على الجبل، فإنه عاش أمامنا حياة خالية تماماً من السيطرة. لقد عَكَست حياة المسيح فِكره، وهذا الفكر هو أنه بعكس البشر الساقطين، لا يريد أن «يكون» بل يريد أن «يطيع» ويعمل أعمال الله.[١٢]

---

١١ دالاس ويللارد، *التدريبات الروحية* ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة، ٢٠١٢) ٢١٣-٢٨٧

١٢ مزمور ٤٠: ٨ ويوحنا ٤: ٣٤، ٩: ٤

لقد عاش المسيح «مُخلياً» نفسه أي «بدون أدنى سيطرة». حتى مساواته بالآب، لم يعتبرها خُلسة يختلسها أو مكسباً يحاول السيطرة عليه. يُصَوِّر لنا العالَم أن الذي يتخلى عن السيطرة لا يحقق ما يريد، لكن المسيح يعلمنا أن العكس هو الصحيح. فهو الذي لم يرد أن يكون أي شيء، صار كل شيء.[١٣]

أظهر المسيح أسلوب الحياة غير المسيطر في تعامله مع كل الأشياء من الأكل للنوم للمال للمناصب والنفوذ إلى التعليم والمعجزات. ولأنه عاش حياة من عدم السيطرة، لم يسيطر عليه أو على تلاميذه الحقيقيين،[١٤] أيُ شخص أو شيء. إننا كلما حاولنا السيطرة على الاشياء والعلاقات، كلما سيطرت هذه الأمور علينا، وكلما لم نحاول السيطرة عليها كلما عشنا بحرية.

في علاقته بالطعام والشراب كان يسوع «يأكل ويشرب»[١٥]وفي نفس الوقت يصوم أربعين يوماً وليلة. كان تلاميذه أيضاً يأكلون ويشربون[١٦]، هذا لا يعني أنهم لم يصوموا، بل كانوا يصومون أقل من تلاميذ يوحنا، ويأكلون ويُدعَونَ إلى ولائم أكثر منهم. يَظهَرُ عجزنا في التعامل مع الأكل، إما في صوة الإفراط في الأكل بشكل مستمر غير قابل للتوقف، أو في الإفراط في عدم الأكل حتى يُصاب الإنسان بعُصاب الامتناع عن الطعام وغيره من أمراض الأكل.[١٧] لكن عندما يستطيع الإنسان أن يأكل ويشرب ويحتفل، وفي نفس الوقت ألا يأكل ويصوم، فهذا معناه أنه قادر على السيطرة على جسده تماماً ولا يسمح للطعام وللجسد أن يسيطرا عليه.

---

١٣ الرسالة لأهل فيلبي ٢: ٤-١١

١٤ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٦: ١٢

١٥ إنجيل لوقا ٧: ٣٤

١٦ إنجيل لوقا ٥: ٣٣

١٧ أوسم وصفي، الأكل-عدو أم صديق . سلسلة ١٨٠ درجة. (عمان: أوفير، ٢٠١٠)

في علاقته بالمال، كان يسوع لا يمتلك شيئاً[١٨] وفي نفس الوقت، كان يقبل أن تُنفِق عليه بعض النساء الثريّات من مالهن[١٩] وقَبِلَ رداءً غالِ الثمن منسوجاً كله قطعة واحدة. قَبِلَ مثل هذا الرداء وكان مُستَعِدّاً أن يعطيه لمن يسأله.[٢٠] قَبِلَ المسيح أن يُسكَب عليه عطرٌ باهظ الثمن ولم يُوَبِّخ ساكبته. قَبِلَ المسيح أن يأخذ وقَبِلَ أن يُعطي. كان يتعامل مع الحياة بيدين مفتوحتين للعطاء والأخذ معاً.

- فيما يتعلّق بالكرامة بين الناس، عَلّم المسيح أنه لا ينبغي أن نبحث عن الكرامة والمجد بين الناس. وفي نفس الوقت يُمكن أن نقبلها عندما تأتي لنا من ذاتها.[٢١] هذا يمثل تحدّياً كبيراً في عدم السيطرة. ربما تظهر السيطرة في رغبتنا في المكانة الأولى (لتأكيد الأهمية)، أو ربما بشكل عكسي نرغب في المكان الأخير دائماً (لتأكيد التواضع). بحسب تعليم المسيح تظهر عدم السيطرة في أن يجلس المدعو في المكان الأخير ليترك لصاحب المتكئ الحرية أن يضعه حيثما يشاء، وحينما يضعه في أي مكان، يستسلم لذلك.

- لم يكن يسوع يصنع المعجزات لكي يسيطر على الناس ليجعلهم يؤمنون به. وفي نفس الوقت كان يعملها لكي يساعد إيمان من يريد أن يؤمن.[٢٢] شفى الأبرص وأوصاه ألا يقول لأحد ولكن ذاع الخبر عنه أكثر،[٢٣] لم يكن يسوع يصنع المعجزات بشكل قهري، بل كان يصنع المعجزات، ويمتنع عن صناعتها بنفس الدرجة من الحرية.[٢٤] أطعم الجموع عندما جاعوا ليسمعوا كلام الله، ورفض أن يطعمهم عندما جاءوا فقط لكي يأكلوا.[٢٥]

---

١٨ إنجيل متى ٨: ٢٠

١٩ إنجيل لوقا ٨: ٣

٢٠ إنجيل متى ٥: ٤٠

٢١ إنجيل لوقا ١٤: ٧- ١١

٢٢ إنجيل مرقس ٩: ٢١- ٢٣

٢٣ إنجيل لوقا ٥: ١٤، ١٥

٢٤ إنجيل لوقا ١١: ٢٩

٢٥ إنجيل يوحنا ٦: ٢٥- ٢٨

• كان يسوع أحياناً يشرح، وفي أحيان أخرى يترك الأمور غامضة. يشرح ويفسر التعليم لمن يريد أن يفهم، لكنه كان يرفض أن يشرح لمن عَلِمَ في قلبه أنهم لا يؤمنون بل يجادلون لمُجَرَّد الجدال.[٢٦] حتى تلاميذه لم يشرح لهم، إلا بعد أن تأكد أنهم يريدون أن يتبعوه حتى ولو لم يفهموا.[٢٧] ليس هذا لأن المسيح يحتقر الشك والرغبة في التأكد.[٢٨] لكنه يقاوم السيطرة التي تجعلنا لا نحتمل الغموض ونريد أن نعرف كل شيء حالاً، ولا نطيق الصبر.

• في كرازته وفي تعليمه عن الكرازة، قال لتلاميذه ألا يكونوا مسيطرين في كرازتهم ولا يستخدموا القوة (السيف) أو تأليف القلوب بالمال (الكيس) وإذا لم تقبلهم أي مدينة، فليخرجوا منها دون محاولة التأثير على أهلها.[٢٩]

• وفي قيامته، فَعَلَ يسوع ما لا نطيق أن نفعله نحن البشر المسيطرين. لم يظهَر المسيح المُقام لرئيس الكهنة أو لبيلاطس أو للشعب الذي طالب بصلبه، لكي يُغَيّرهم ويُرغِمهم على الإيمان به. لم يظهر المسيح إلا لتلاميذه.[٣٠] يا له من ضبطٍ للنفس! ويا له من عدم رغبة في السيطرة على الآخرين! الاستثناء الوحيد هو شاول (بولس) وذلك لسببين، الأول أن شاول كان يضطهد الكنيسة عن غيرة حقيقية لما يعتقد أنه الحق، والسبب الثاني هو أنه أراد أن يختاره رسولاً للأمم وبالفعل صار شاول رسول المسيحية الأوَّل الذي نقل الرسالة من اليهودية لكل العالم المعروف في ذلك الوقت.

---

٢٦ إنجيل مرقس ٤: ١٠

٢٧ إنجيل يوحنا ٦: ٦٦-٦٧

٢٨ إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٧- ٢٨

٢٩ إنجيل لوقا ١٠: ١- ١٢

٣٠ رسالة بولس الرسول الأول لأهل كورنثوس ١٥: ٥-٩

التدريبات الروحية

ليست التدريبات الرُوحية إلا مُمارسات مقصود بها تدريب أجسادنا على هذا الأسلوب من الحياة، وجعله الأسهل والأقرب لنا تلقائياً، فالتدريبات تقليدياً، تنقسم إلى شِقّين؛ تدريبات الانخراط، وتدريبات الامتناع، وأَتَصَوَّر أنها كذلك لكي تُخَلِّصَنا من ميلنا الإدماني للسيطرة. عندما تُمارِس الفعل وعدم الفعل، ينفك ارتباطك بالأشياء والأفعال. عندما تتدرّب على «الإمساك والتَرك» معاً، تستطيع أن تحيا بيد مفتوحة وتمسك بالأشياء دون التشبث بها. تدريبات الفعل (الانخراط) بدون تدريبات عدم الفعل ربما تجعلنا مدمني دين (أي مدمني خدمة واجتماعات واحتفالات وأحداث روحية، أو مدمني تعليم ودراسة) كما أن تدريبات عدم الفعل بدون تدريبات الفعل ربما تجعلنا منعزلين، متزمِّتين وربما مرضى نفسياً.[٣١]

لكي تختبروا

عندما نتغير وننمو، فليس الهدف من النمو أن نكون أكثر قوةً وقدرةً وتأثيراً، بقدر ما أن الهدف هو إمكانية أكبر لاختبار علاقة أعمق مع الله. أن نستمع لصوته أوضح، ونُمَيِّز مشيئته بسهولة أكبر، والأفضل من كل ذلك، هو لذة اختبار صداقته ورفقته،[٣٢] حتى وإن لم يَقُل لنا شيئاً. هل تريد أن تشعر بما يشعر به المسيح تجاهك وتجاه الحياة والناس؟ هل تريد أن تُفَكِّر كمن اقد انفتحت عينا ذهنه ليرى ما لم يكن يستطيع أن يراه لأن روحه الضعيفة حينئذ لم تكن لتحتمل؟ مثل ذلك الإنسان يأتي بثمرٍ في حياته وحياة الآخرين بشكل تلقائي.[٣٣] مثل ذلك الإنسان هو الإنسان الذي يُمَكِّنه الله أن يفعل ما يريد،[٣٤] لأن ما سوف يريده ويشتاق إليه،

---

٣١ دالاس ويللارد، التدريبات الروحية. ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، ٢٠١٢) مقدمة المترجم «الحلقة المفقودة» ص. ١٠-١٢

٣٢ إنجيل يوحنا ١٤: ٢٠

٣٣ إنجيل يوحنا ١٥: ١٦ ب

٣٤ إنجيل يوحنا ١٥: ١٦ ج

سوف يكون دائماً الخير لنفسه ولغيره. هذه هي «مشيئة الله الصالحة المرضية الكاملة» وهذا هو «إنسان الملكوت».

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الست التالية:

١- الثقة والإيمان برأفة الله، ومحبته يجب أن تُتَرجَم عملياً في صورة أن نكون مستعدين دائماً لتغيير طريقتنا القديمة في السلوك (شكلنا).

٢- هذه الطريقة القديمة في السلوك هي طريقة «السيطرة» التي تجعلنا «نريد أن نكون» كل شيء، ونسيطر على مشاعرنا وحالاتنا المزاجية بالاستخدام المُفرِط للأكل أو الجنس أو المال أو العمل أو الترفيه.

٣- هذا الشكل وراءه طريقة تفكير ومعتقدات راسخة تحتاج للتغيير المستمر.

٤- هذا التغيير المستمر لأفكارنا ومعتقداتنا هو بمثابة «موتٍ مستمر» كتقديم ذبيحة حَيَّة كل يوم.

٥- عندما نُميت هذه الطريقة القديمة في التفكير ونتبنى أفكار الملكوت، سوف تتغير سلوكياتنا.

٦- عندما نتدرّب على أسلوب حياة المسيح غير المُسَيطِر، فهذا سوف يُسَهِّل علينا تغيير الفكر والعكس بالعكس.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

فيما يلي بعض الاقتراحات لتدريبات عملية يتكامل فيه القرار الإرادي مع تجديد الذهن (تغيير طريقة التفكير) مع تغيير أسلوب الحياة:

التأمل الكِتابي. اقرأ تجربة يسوع في البَرِّية وحاول أن تجيب عن الأسئلة التالية:

- ما هي الغرائز الإنسانية الطبيعية التي حاول الشيطان أن «يلعب»عليها لكي يجعل يسوع يفعل الأمور «بيديه» ولا يستسلم للآب؟

- كيف نظر يسوع إلى هذه «التجارب» من منظور آخر، بخلاف المنظور الذي عادةً ما يُجرِّبنا الشيطان لكي ننظر منه؟

- من خلال قراءتك للإنجيل، هل عاد إبليس ليُجَرِّب يسوع بنفس هذه التجارب بطرق مختلفة؟ وكيف كان رد فعل يسوع عندما اكتشف أن نفس هذه التجارب تعود مرة أخرى بطرق مختلفة؟

العِفّة. عندما تمرّ في الشارع امرأة جميلة، وتشعر أنك تميل لمتابعة النظر إليها؟ كيف يمكن أن يساعدك «تجديد الذهن» في النظر إلى الأمر من منظور آخر، حتى تستطيع أن تتخذ القرار بعدم النظر إليها؟ فيما يلي بعض المقترحات:

- يمكن أن تضع نفسك مكانها، وتتخيّل كيف ستشعر، وكيف ستكون نظرتها لك عندما تراك تحملق في جسدها؟

- يمكن أن تختار في ذلك الوقت أن تنظر لرجل آخر يمر بجوارك وينظر لنفس المرأة بشهوة. تأمل منظره، وضع نفسك مكانه، هل تحبّ ان تكون في مكانه؟

- ذكِّر نفسك أن هذه المرأة في الأغلب لا تقصِد أن تثيرك بجسدها. هذا هو جسدها الذي خلَقه الله وهي تتعامل معه بشكل طبيعي ليحملها من مكان إلى مكان، كما تتعامل أنت مع جسدك تماماً.

تأمل كيف استطاع تجديد الذهن أن يساعدك أن تتخذ القرار بمنع نفسك من النظر إلى النساء في الشوارع. ربما تُحِبّ أن تسجل ذلك في يومياتك الروحيّة وتلاحظ مع الوقت تَغَيُّر أسلوب حياتك في هذا المجال.

الصَمت والسرّية. يُمكِن أن تُمارس هذا التدريب لتقديم «الرغبة في الظهور» ذبيحةً حَيّة. يمكن أن تمارس هذا التدريب في أحد المواقف التالية:

- عندما يفتح أحدهم موضوعاً أنت على دراية كبيرة به، حاول أن تستمع ولا تُدلي بدلوك. ربما تكون فائدة هذا التدريب أكبر تأثيراً عندما يكون هناك كلام خاطئ وتمنع نفسك من تصحيحه (ربما تحاول أن تُصَحِّح بعض المفاهيم بلُطف، فقط إن كان عدم تصحيحها سوف يؤدي إلى ضرر حقيقي لأحد الأشخاص).

- عندما يُرجِع أحدهم الفضل في شيء إلى نفسه أو إلى شخص آخر، بينما الفضل فيه يرجع إليك. حاول أن تَصمُت وتستودع «حقَّكَ» بين يدي الربّ ليُظهِرهُ أو لا يُظهِره موقناً أنه سيفعل كل شيءٍ حَسَناً إن سلمت حياتك ومشيئتك له.

الصَوم. دَرّب نفسك خلال أسبوع كامل أن تلتزم بنظام غذائي صارِم، وفي نهاية الأسبوع تحتفل مع مجموعة من الأصدقاء بوليمة مُبْهِجة.

الفصل الرابع

ففي هذا افتكروا

ممارسة سلطان الإرادة على الفكر

أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَق كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا. وَمَا تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَتَسَلَّمْتُمُوهُ، وَسَمِعْتُمُوهُ، وَرَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، فَهذَا افْعَلُوا، وَإِلهُ السَّلاَمِ يَكُونُ مَعَكُمْ. (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٤: ٨-٩).

على الإنسان دائماً أن يراقب سماء وعيه باستمرار ولا يُبقي فيه من الأفكار إلا كل ما هو منطقي وإيجابي.

الوعي الإنساني مثل السماء، تطير فيها كل أشكال الطيور. أو البحر المفتوح لكل أنواع الأسماك. وكما أن الطيور فيها اللطيف وفيها الجارح، والأسماك منها المسالم ومنها المفترس والسام، فإن الأفكار التي يموج بها وعي الإنسان يمكن أيضاً أن تكون منطقية وسليمة، ويمكن أن تكون فاسدة وكاذبة. لهذا السبب، فعلى الإنسان دائماً أن يراقب سماء وعيه باستمرار ولا يُبقي فيها من الأفكار إلا كل ما هو حقيقي، ومنطقي، وإيجابي، وصالح. أغلب الأفكار والانطباعات المباشرة، تدخل سماء وعينا بسرعة ودون استئذان. هذه الأفكار نسميها الأفكار التلقائية Automatic Thoughts ولأنها تدخل فجأة دون تفكيرٍ مقصودٍ أو استدعاء، فكثيراً ما تكون أفكاراً خاطئة مبنية على تفسيرات متسرعة غير منطقية. ولهذا فإننا عندما نصدق هذه الأفكار دون فحص ونعتبرها حقائق، فهذا يؤدي بنا إلى أحكام خاطئة وردود أفعال ربما تكون مُضِرَّة.

من أهم خطوات النمو الروحي للإنسان هي أن تمارس الإرادة سلطانها على الفكر،[٣٥] وكأن الإنسانَ يُطَوِّرُ نظاماً «للدفاع الجوي» بحيث لا يسمح بالبقاء في سماء وعيه إلا للأفكار التي يفحصها ويختبر صدقها. كلمة «توبة» باللغة اليونانية التي كُتِبَ بها العهد الجديد هي Metanoia[٣٦] أي العقل الفوقي حيث كلمة Meta تعني «فوق»[٣٧] وNoia تعني «عقل»[٣٨] وهذا يعني أن التوبة هي أن يفكر الإنسان فيما يفكر فيه، أي أن يكون له عقل «أعلى» يحكم به على ما يُفكر فيه بعقله «الأدنى» إن جاز التعبير.

كل ما هو حق

في هذه الفقرة الختامية من رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي يوصيهم الرسول بأن «يفتكروا» أي يتأملوا ويسترسلوا في الأفكار التي يثبت أنها حق. أما الأفكار التي يَثبُت أنها ليست حقيقية، فعليهم أن يرفضوها ويتصدّوا لها مثلما ينبغي أن يتصرف سلاح الدفاع الجوي مع الطائرات المُعادِية في الدولة التي تريد أن تحافظ على سيادتها وسلامة أراضيها. بولس هنا يردد كلمات المسيح الذي قال في إنجيل لوقا: «ولماذا لا تحكمون بالحقّ من قِبَل نفوسكم؟»[٣٩]، أي لماذا لا تحكمون بأنفسكم ما هو الحق؟[٤٠] هذه الوصية تفترض في الإنسان القدرة أن يحكم بنفسه على الأفكار ومدى صِدقها. والمقياس الذي يحكم به الإنسان هو «المنطق» أي العقل العام. وقد وضع الله قَبَساً من هذا المنطق في كل إنسان، وأعطاه القدرة على استقبال المنطق

---

٣٥ يرى علماء النفس الوجوديون أن ما يُميز الخبرة الإنسانية ثلاثة أمور هي «الخوف من الموت» و«المسئولية» و«الإرادة» وكلما تعامل الإنسان بشكل أصيل وبَنّاء مع هذه الأمور الثلاثة كلما كان أكثر صحة ونضوجاً.

٣٦ ومنها كلمة «مطانية» وهي سجدة يقوم بها الإنسان للتعبير عن توبته وتراجعه عن الخطأ

٣٧ الميتافيزيقيا Metaphysics تعني «الفوق طبيعيَّات»

٣٨ بالمثل كلمة Paranoia أي الشك تعني حرفياً «عقل مواز» يجعلنا نفسر الأمور تفسيراً آخر بخلاف التفسير البسيط، وكأننا لنا عقل آخر.

٣٩ إنجيل لوقا ١٢: ٥٧

٤٠ «ولماذا لا تحكمون بأنفسكم ما هو الصواب» (انجيل لوقا ١٢: ٥٧ «الترجمة العربية المُبَسَّطة)

واستقرائه. صحيح أن لكل إنسان «مَنطِقَهُ الخاص» ومعتقداته الشخصية، لكن يكون الإنسان حكيماً ومنطقياً، كلما اقترب «مَنطِقُهُ الخاص» من «المنطِق العام».

كيف نعرف هذا المنطق العام؟

عندما يتناقش اثنان، فهما في واقع الأمر يحتكمان إلى حَكَم واحد، وهو المنطق. وكل منهما يريد أن يثبت للآخر أن أفكاره (منطقه) هو الأقربُ للمنطق العام. ولعل أنقى صور المنطق العام هو الحساب. فالعمليات الحسابية هي الحق المطلق الذي لا يختلف عليه اثنان مهما كانت خلفياتهم العرقية أو الدينية أو الثقافية حيث أن ١ + ١ = ٢ في كل مكان. ليس الحساب فقط هو المنطق الواضح، ولكن هناك بعض الافتراضات المنطقية التي لا يمكن لأحد أن يختلف معها. مثل أن المستقبل لم يأت بعد، وأنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يقرأ أفكار إنسان آخر، أو أن الزمن لا يعود للوراء، ولا يستطيع إنسان أن يتواجد في مكانين في نفس الوقت، إلخ. لكن ليس المنطق هكذا دائماً واضحاً وضوح العمليات الحسابية. لذلك علينا أن نكتشف أين المنطق في كل موقف، وهو ليس أمراً سهلاً دائماً.

نؤمن نحن المسيحيين أن هذا العقل العام «لوجوس»[٤١] (الكلمة)(المنطق) قد «صارَ جَسَداً وحلَّ بيننا» في صورة الإنسان يسوع المسيح. لهذا نؤمن أن المسيح هو المُذخَّر لنا فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة والعلم،[٤٢] وأن فكر المسيح هو نفس الفكر الذي خُلِق به العالم[٤٣] وبه يسير، أي أن فكر المسيح هو فكر الله ــ وهو المنطق متجسداً.

نؤمن نحن المسيحيين أن «المسيح» هو «المنطق» مُتَجَسِّداً.

٤١ والذي منه تأتي الكلمة الإنجليزية Logic أي منطق،والمنطق (نُطق) و الكلام شئ واحد.

٤٢ رسالة بولس الرسول لأهل كولوسي ٢: ٣

٤٣ رسالة بولس الرسول لأهل أفسس ٣: ٩، كولوسي ١: ١٦

ونؤمن نحن المسيحيين أيضاً أن الإنسان مخلوق على صورة الله وإذا أَخْلَصَ في طلب الحقيقة، يستجيب له الله في ضميره، أو ما يمكن أن نُسَمِّيه «الناموس الداخليّ» للإنسان الذي يقبل الأفكار أو يشتكي ويحتجّ عليها.[٤٤] هذه القدرة على الاحتكام للمنطق والضمير هي التي جعلت بولس الرسول يمتدح أهل بِيْرِيّة ويصفهم أنهم «أشرف» من أهل تسالونيكي لأنهم بنشاط فحصوا الكتب وسألوا أنفسهم ذلك السؤال الذهبيّ: «هل هذه الأمور هكذا؟» لقد حاولوا أن يحكموا بالحق من قبل أنفسهم مُستَخدمين المنطق الذي يقول، على سبيل المِثال، إنه إن كانت كل نبوات العهد القديم عن المسيح، والتي تكلَّم بها أنبياء قبل مئات السنين قد تحققت في يسوع وبشكل دقيق جداً لا يُمكن أن يكون ليسوع الناصريّ يَدُ في تحقيقها، مثل مولده وصلبه بين لِصّين وثقب يديه ورجليه، فأغلب الظن هو المسيح بالفِعل، وإن كان المنطِقُ يحكُم بأن القبر الفارغ، وعدم استطاعة اليهود الإتيان بجسد يسوع لوأد الدين الجديد في المهد، وتحوُّل تلاميذه من الخوف والاختباء إلى الشجاعة والمجاهرة، كلها دلائل منطقية لقيامة المسيح، فهو قد قام بالفعل، وإن كان قد قام، يكونُ كلُّ ما قاله عن نفسه حقيقيّاً.

إننا بالمثل، ينبغي ألَّا نفكر إلّا في كل ما هو حقٌّ من جهة أنفسنا، ومن جهة الآخرين، ومن جهة الأمور الهامة التي ينبغي أن نَتَّخِذ قراراتٍ بشأنها. هل نفترض في أنفسنا ما هو ليس حقيقتنا؟ وهل نفترض في الآخرين ما لا نمتلك عليه الدليل؟ أو نُصدِّق كلاماً غير مُدَعّم بالأدلة العملية الموضوعية؟ من الطبيعي أن تكون لدينا انطباعات واستنتاجات وفقاً لخبراتنا وحدسنا، وربما يَصْدُق هذا الحدس كثيراً أو قليلاً، لكننا مهما كان، ينبغي أن نحافظ على هذه الانطباعات في خانة «الافتراضات» ولا ننقلها إلى خانة «الأحكام» إلا بعد أن تتوافر لدينا الأدلة.

---

٤٤ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٢: ١٤، ١٥

كل ما هو جليل

عندما نفكر في كل ما هو جليل ونبيل، فإننا نَتَرَفَّعُ عن الأفكار الوضيعة التي من المحتمل أن تدخل «سماء» وعينا. العالم حولنا موبوءٌ بالأفكار الوضيعة ولأنها كثيرة وشائعة، يمكن ألّا ننتبه إلى وضاعتها ونعتبرها أفكاراً معقولة ومَقبولة. من هذه الأفكار على سبيل المثال، أفكار البحث عن المصلحة على حساب الآخرين واستغلالهم، أو أفكار الخداع والنفاق والمراءاة بحيث نقول شيئاً ونحن نضمر شيئاً آخر، ربما نكشف عنه في وقت لاحق، عندما تكون الظروف ملائمة بالنسبة لنا. من المقبول ألا نقول كل ما نفكر فية لكن من المقبول ان نقول عكسة. من الأفكار الوضيعة أيضاً الفكر الذي يقول أن «الغاية تُبَرِّرَ الوسيلة وتُمَرِّرَها». على العكس من ذلك، فإن الفكر «الجليل» يهتم ليس فقط بالغاية، بل أيضاً بالوسيلة التي يتِمُّ بها تحقيقُ هذه الغاية، مؤمناً أنه لا توجد غايات نبيلة يمكن أن تحققها وسائل وضيعة، ولا يبرر استخدام الأساليب الوضيعة، أن الآخرين يستخدمونها، ولا يمكن المنافسة معهم بدون تَبَنِّي نفس تلك الأساليب، وذلك في مجال المنافسة الاقتصادية أو السياسية على سبيل المثال.

لكي نكونَ قادرين دائماً على تمييز هذه الأفكار ينبغي أن «نغمس» فكرنا باستمرار في كلمة الله التي هي رحيق المنطق الإلهي، سواء من خلال الوصايا المباشرة الموجودة في الكلمة المقدسة، أو من خلال التَمَثُّلِ بفكر وسلوك رجال الله في كل العصور، كما يوصينا بولس الرسول نفسه في هذه الفقرة (عدد ٩)، كما ينبغي أيضاً أن نكون في حالة «حوار» مستمر مع المسيح الحيّ الذي هو نفسه، «الكلمة» والتَجَسُّد الأزلي والأبدي لمنطق الله وعقله. وذلك حتى نستطيع بمعونة روح الله أن «نُجَسِّدَ» نحن أيضاً هذه الأفكار في سلوكياتنا وعلاقاتنا اليومية، أي أن يتصوَّر المسيح فينا.

ولعل من أهم السمات في طبيعة فكر المسيح، التي إذا تبنيناها وتصوَّرت فينا، يمكننا بسهولة أن نحكم على الأفكار، أن المسيح لم يفكر من أجل نفسه أبداً، وإنما من أجل الآخرين، ولم يعش مُطلقاً لتحقيق ملكوته الشخصي وإنما ملكوت الله. وإذا تأملنا

في كل هذه الأفكار غير النبيلة سوف نجد أنها كلها تدور حول الرغبة المحمومة في المكسب المادّي أو المعنوي والتفوق على الآخرين. عندما نعيش حياةً من عدم الانحصار في النفس أو الهَوَس بها، كما عاش يسوع، فسوف يكونُ من السهلِ جداً أن ندرك دخول مثل هذه الأفكار الوضيعة إلى سماء وعينا ونتخلص منها أولاً بأول، لأنها عندئذ ستكون أفكاراً غريبة ومن السهل اكتشافها.

كل ما هو عادل

عندما يتكلم بولس الرسول عن كل ما هو «حقّ» فهو يقصد ارتباط الأفكار بالواقع، وعندما يتكلم عن كل ما هو «جليل» فهو يقصد ارتباط الأفكار بالأخلاق. أما عندما يتكلم عن كل ما هو «عادل» فهو يقصد ارتباط الأفكار بالبِرّ، أي بالحُكم العادل. تكلم يسوع عن الحُكم العادل في حواره مع الكتبة والفريسيين في أورشليم وذلك عندما اتَّهَموه أنّه يُضِل الشعب ويشفي في السبت وأن به شيطاناً. وفي سياق حديثه معهم قدم قاعدة هامة جداً ينبغي أن نتبناها دائماً في تفكيرنا. قال يسوع «لاَ تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ بَلِ احْكُمُوا حُكْمًا عَادِلاً».[٤٥] الحُكم حسب الظاهر، أي بحسب الانطباعات المباشرة، غالباً ما لا يكون حُكماً عادلاً بل ظالماً. وبولس الرسول هنا بالمثل يوصينا ألّا نَتَسَرَّعَ في إصدار الأحكام على المواقف وعلى الناس بحسبما يبدو في الظاهر. لأن الظاهر كثيراً ما يكون خادعاً. ترتبط مفاهيم أخرى بمفهوم العدل في الكتاب المُقَدَّس مثل «البر» أو «الاستقامة». والاستقامة تعني أن تكون النَعَمُ نعماً في كل الأوقات، واللاءُ لاءاً دائماً. هذا الكلام المستقيم والسلوك المستقيم ينشآن من التفكير الثابت أي «المُمَكَّن» بحسب نبوة إشعياء[٤٦]. هذا الثبات والتمكين لا ينشأ من جمود في التفكير، وإنما من كون التفكير مؤسساً على العدل والبر فلا يتغير طمعاً في مصالح أو خوفاً من أضرار.[٤٧]

---

٤٥ إنجيل يوحنا ٧: ٢٤

٤٦ إشعياء ٢٦: ٣

٤٧ مزمور ١٥

الأفكار الطاهرة

بعد أن تكلم بولس الرسول عن علاقة الفكر بالواقع، وبالسموّ الأخلاقي، وبالحُكم العادل، يتكلمُ بعد ذلك عن علاقته بالخطية. الأفكار الطاهرة، التي يصفها بولس الرسول أيضاً أنها أفكار «الفضيلة» والأفكار «المستَحِقَّة للمدح»، هي الأفكار الخالية من الخطية. الخطية هي في الأساس فكرة تُلقَى في رَحِم الذهن فتُخصِّبه، فيَحبَل بالشهوة ثم يلد الخطية.[٤٨] إذاً فالخطية هي في الأساس فكرة غير طاهرة.[٤٩]

يصف المزمور السادس والثلاثون[٥٠] **السُلَّم النازل نحو الخطية** في سبع خطوات سابقة على فعل الشر. الخطوة الأولى هي ألا يكون خوف الله أمام العين. فقبل أن تغزو أفكار الخطية الذهن يجب أولاً تخليته من التفكير في الله، حيث أن شَغلِ الفِكر بالله والتواصل المستمر معه هو أقوى أشكالِ الوقاية من الخطية، فالقلب عندما يشبع بالعلاقة الحميمة مع الله، يفقد المُبرِّر الأساسي للخطية، وهو محاولة طمأنة القلب أو إشباع جوعه، أو ملء فراغِه. أما الخطوة الثانية فهي أن يقوم الإنسان بتَمَلُّق نفسه، أي يبدأ في الكَذِب على نفسه و إيجاد مُبَرِّرات لنفسه لفعل الشر. ربما يكون ذلك بتضخيم احتياجاته، أو الربط بين هذه الاحتياجات وبين الخطية، وكأن الخطية هي الطريقَة الوحيدة لتسديد هذه الاحتياجات أو المبالغة في تقدير الضغوط الواقعة عليه والتي تُقَلِّلَ من قدرته على مقاومة الخطية. ربما يكون «التملّق» أيضاً في صورة التصغير من عاقبة الخطية أو ضررها على النفس والآخرين. هذه الأفكار بدورها تؤدي للخطوة الثالثة وهي كلام إثم وغش، فالأفكار غير الحقيقية وغير الطاهرة وغير الجليلة وغير العادلة، تؤدي بالطبع إلى كلام يتصفُ بنفس هذه الصفات، سواء كان هذا الكلام مُوجّهاً للآخرين أو للنفس. بعد ذلك نلاحظ الدخول في الخطوتين الرابعة والخامسة وهما عدم التعقل في السلوك، والكَفُّ عن فعل الخير

---

٤٨ رسالة يعقوب ١: ١٤، ١٥

٤٩ إنجيل مرقس ٧: ٢١- ٢٣

٥٠ مزمور ٣٦: ١-٤

كعلامتين أوَّليَّتين على السير في طريق الخطية. بعد ذلك تبدأ الخطوة السادسة وهي أن يبدأ الإنسانُ بالتفكير في الإثم على مضجعه. أي يبدأ في ممارسة الإثم على مستوى الخيال وأحلام اليقظة، فيتَصَوَّر نفسه وهو يفعل الاثم ويستدعي بخياله اللذة التي سوف تنتج عن هذا الإثم. هذا يقوده بعد ذلك للخطوة السابعة والأخيرة وهي أن يقف في طريقٍ غير صالحٍ، أي يضع نفسه في المكان الذي فيه تكون الخطية أكثر احتمالاً، ويخدع نفسه بأنه فقط سوف «يقف» ولن «يسير». على سبيل المثال، سوف يذهب إلى الأماكن التي يشربون فيها الخمر لكنه لن يشرب، أو سوف يدخل للمواقع الإباحية فقط «لإلقاء نظرة عابرة»، في حين أنه يجب أن يهرب من هذه الأماكن[٥١] كما يفعل «إنسان المزمور الأول» المكتوب عنه أنه في طريق الخطاة «لم يقف». عندما يصل الإنسان إلى هذه النقطة تصبح الخطية على مرمى حجر وعندئذ لا يرفض الشرّ.

لهذه الأسباب فإن مقاومة الخطية يجب أن تبدأ في أن يرفض الإنسان أن يحتفظ في ذهنه إلا بالأفكار الطاهرة. بالطبع الأفكار غير الطاهرة سوف تأتي، وربما لا نستطيع أن نمنعها أن تأتي، لكننا بالتأكيد نستطيع أن نمنعها أن تبقى في أذهاننا ونستطيع أن نرفضها ونطهر أنفسنا منها أولاً بأول.[٥٢]

تبدأ مقاومة الخطية بأن يرفض الإنسان أن يحتفظ في ذهنه إلا بالأفكار الطاهرة.

كل ما صيته حسن

تخيّل لو استطاعَ من حولنا أن يعرفوا ما نُفَكِّرُ فيه. غالباً ما سنشعر بالإحراج، لأن الأفكار التي نفكر بها كثيراً ما لا تكونُ مصدرَ فخرٍ لنا. إحدى الطرق لتنقية فكرنا إذاً، هي أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: «هل تُحبُ أن يعرفَ الآخرون ما تُفَكِّر

٥١ رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس ٦: ١١، والثانية ٢:٢٢

٥٢ رسالة بولس الرسول الأولى تيموثاوس ٥: ٢٢، والثانية ٢: ٢١، وسالة يوحنا الأولى ٣: ٣

فيه الآن؟» فنَتَوَقَّف عندئذ عن التفكير فيما نخجل أن يعرفه الآخرون. لهذا السبب فإن ممارسة «الاعتراف» تُدَرِّبنا أن نكونَ مستعدّين دائماً أن يعرفَ الآخرون، ليس فقط ما نَفعَلهُ سراً، بل ما نُفَكّر فيه سِرّاً أيضاً. لم يخجل يسوع من أن يشارك تلاميذه بالأفكار التي جَرّبه بها إبليس، سواء بأن يُحَوِّل الحجارةَ إلى خبزٍ ليأكلَ، أو أن يقفز من على جناح الهيكل ليثبت أنه ابن الله، أو أن يستجيب لشهوة المال والسلطان. لقد كان يسوع مستعداً أن يواجه بكل حزم أيَ فكرةٍ خاطئةٍ يُجَرِّبه بها الشيطان. ولأن الأفعال دائماً ما تبدأ بأفكار، فالأفعالُ التي نخجل منها ماهي إلا نتيجة لاستجابتنا للأفكار التي نخجل منها.

كل ما هو مُسِرّ (إيجابي)

هل الوصية بالتفكير الإيجابي نوعٌ من الإنكار وتجنب مواجهة الأمور السلبية في الحياة؟ بالطبع لا، فالفقرة الكتابية تبدأ بمواجهة الحقيقة (كل ما هو حق) سواء كان سلبياً أو إيجابياً. التفكير الواقعيّ يرى الصورةَ الكاملة بما فيها من نورٍ وظلال، لكن التركيزَ على الإيجابي أكثر من السلبي، أقرب للواقع لأن الواقع يقولُ أن الإيجابي أكثر من السلبي، وإلّا كانت الحياة قد توقفت منذ زمنٍ بعيد. مهما كانت درجة انتشار الأمراض، فأعداد الأصحاء دائماً أكبر من أعداد المرضى، ومهما ازدادت معدلات الحوادث فأعداد السيارات التي لا تنقلب أكبر جداً من أعداد السيارات التي تنقلب، والقطارات التي لا تحيد عن القضبان أكثر من التي تحيد، والطائرات التي تسقط أقل كثيراً من التي لا تسقط. التفكير الإيجابي إذاً واقعيّ. وفضلاً عن أنه واقعي، فالتفكير الإيجابي (المُسِرّ) أيضاً يُحَفِّز المخ. الأبحاث السلوكية الحديثة تقول أن المخ الإنساني يتحرك نحو المجازاة بقوة أكبر من التي يتحرك بها هروباً من الألم. التفكير الإيجابي يشحَذ طاقات الإنسان ويدفعه للعمل والإنتاج. أما الفكر السلبي فيبعث على الحزن واليأس والخمول.

وكل ما تعلّمتموه وتسلّمتوه مني فافعلوه

ليس التعليم فقط ولكن السيرة أي أسلوب الحياة والشخصية والاختيارات الأخلاقية.

بعد الوصايا المتعلقة بالفكر، تأتي بشكل منطقي الوصية بالعمل؛ «فافعلوه». نفس هذا التسلسل نجده أيضاً في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، التي يقول فيها أنه بعد هدم حصون الظنون واستئسار كل فكر، يأتي دور الطاعة السلوكية للمسيح، التي يمكن عندئذ أن تكتمل.[٥٣]

نلاحظ أيضاً التوازن بين التعليم (ما تعلّمتموه) والتدريب (ما تَسَلّمتموه). هنا التسليم يشير إلى التلمذة من خلال تَمَثُّل النموذج السلوكي المُعاش الذي عاشه بولس الرسول. وهو يؤكد على أهمية هذا التَمَثُّل في أكثر من موضع. ففي رسالته الأولى لأهل كورنثوس يقول: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ».[٥٤]

وفي الرسالة الثانية لأهل تسالونيكي يقول: «إِذْ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يُتَمَثَّلَ بِنَا... بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا».[٥٥] ويقول في رسالته الثانية لتيموثاوس:«وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ تَعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي، وَاضْطِهَادَاتِي، وَآلاَمِي».[٥٦] ليس التعليم فقط ولكن السيرة أي السلوك وأسلوب الحياة والشخصية والتوجهّات والاختيارات الأخلاقية. للأسف تقلّصت التلمذة في الكنيسة المسيحية، واقتصرت على التعليم في أغلب الأحوال، فصرنا عقولاً محشوة بكل الحقائق التي لا تُغيّر قلوبنا ولا شخصياتنا ولا سلوكياتنا، لأننا في ذلك نحتاج إلى مثال وقدوة عملية معاشة نعيشها. لقد تَجَسَّدَ المسيح لأننا

٥٣ ٢كو ١٠: ٣-٦

٥٤ ١كو ١١: ١

٥٥ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل تسالونيكي ٣: ٧، ٩

٥٦ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٣: ١٠، ١١

نحتاج لأن نرى ونشاهد بعيوننا ونلمس بأيدينا، كلمة الحياة.[٥٧] وعندما صعد المسيح ترك روحه في كل واحد فينا لكي تكون الكنيسة، لا «جامعة» المسيح، ولا «كُلّية لاهوت» المسيح، وإنما «جسد» المسيح. ولكي تكون جماعة المسيح، جسداً للمسيح، فهذا لن يتحقق إلا بالعلاقات الحميمة بما فيها من مشاركة واعتراف وتَمَثُّل الصغير بالكبير والمُنضَمّ حديثاً بالمُتَقَدِّم في الإيمان.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١- يمكن للأفكار الخاطئة أن تهاجم وعي الإنسان دائماً، لكن لدى الإنسان القدرة أن يُنَقِّي فكره بصفة مستمرة.

٢- النمو الروحي يستلزم ممارسة سلطان الإرادة على الفكر، فيختار الإنسان ما يحتفظ به في ذهنه به من أفكار.

٣- مقاييس الفكر السليم هي أن يكون واقعياً، وأخلاقياً، وعادلاً وخالياً من الخطية وإيجابياً.

٤- الفكر السليم ضرورة للسلوك السليم.

٥- التلمذة للمسيح ليست فقط «تعليماً» وإنما أيضاً «تسليماً»، من خلال القدوة الشخصية الملموسة والمرئية.

---

٥٧ رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ١

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

فيما يلي بعض الاقتراحات لتدريب التفكير في كل ما هو حقٌ، وجليلٌ، وعادلٌ، وطاهرٌ، ومُسرّ، وصيتُهُ حسن.

- *كل ما هو حقّ.* في كُل مَرّة تشعر بالضيق، اسأل نفسك: ما هي الفكرة التي تُشعِرني بالضيق؟ ما هو الدليل عليها؟ عندما لا يكون هناك دليلٌ، ضع الفكرة «بين قوسين» حتى يظهر الدليل، وإن لم يظهر، فاطرد الفكرة تماماً من ذهنك حتى لا تُفَكِّر إلّا في كل ما هو حَقّ.

أمثلة لأفكار كثيراً ما ترد لأذهاننا

فيما يتعلق بتقييم النفس: أنا أستطيع..... أنا لا أستطيع..... أنا مُستَحِق..... أنا غير مُستَحِقّ.....

فيما يتعلق بالعلاقات مع الآخرين: هو يقصد.... هي تريد..... هو يَظُنّ أنني..... هي تراني.....

فيما يتعلق بالمستقبل: سوف يحدث..... سوف لن يحدث..... سوف يفعل..... سوف لن يفعل .....

فيما يتعلق بالله: الله يعاقبني بـ..... الله يريد..... الله لا يريد..... الله أراد..... الله فعل.....

- *كل ما هو جليل.* من الممكن أن تأتي لأذهاننا أفكار وضيعة. مثل الرغبة في موت شخص أو اختفائه أو فشله، أو الرغبة في تشويه سُمعة شخص، أو أخذ وظيفته. ليست الخطية أن تأتي إلينا مثل هذه الأفكار، وإنما الخطية هي أن نُبقيها في أذهاننا، والأسوأ أن نتأملها ونجتَرَّها والمصيبة أن نُنَفِّذَها. من المفيد أن نعترف لأنفسنا بهذه الأفكار ونطرُدَها. إذا تكررّت، ربما يكون من المفيد أن نعترف بها لشخص آخر، دون ذكر أسماء أو تفاصيل حياة أشخاصٍ آخرين.

• *كل ما هو طاهر.* دَرِّب نفسك على التعامل مع أفكار الخطية بنفس طريقة الأفكار الوضيعة. بالاعتراف بها لنفسك وطَردِها، والاعتراف بها لشخص آخر إذا تكرَّرت أو لم تستطع التَحَكُّم فيها. الأفكار الجنسية من أشهر الأفكار القَهرية[٥٨] غير النَقِيَّة التي تنتابنا كثيراً.

• *كل ما هو مُسِرّ.* الأفكار الإيجابية ليست إيهام النفس بإيجابيّات غير موجودة، بل هي تذكيرٌ للنفس أن الله «ضابطُ الكُلِّ» وسوف يفعل كل شيء حَسناً في النهاية، حتى إن شعرنا أحياناً أن الخير يتأخَّر والشر يسود. عندما تأتي الأفكار السلبية، حاول أن تتعامل معها بالاستراتيجيات التالية:

- إن كانت الفِكرة عن المستقبل. ذَكِّر نفسك أن المستقبل لم يأت بعد وليس منطقياً أن نفترض وقوع شيء لم يقع بعد.

- ذَكِّر نفسك أن الأحداث السلبية تحدث، وتذهب ونستطيع على المدى البعيد تحَمُّلها.

- ذَكِّر نفسك أن هناك «أساساً» صَلباً قد بُنِيَت عليه حياتك وهو «محبة الله في يسوع المسيح» وأنه لا شيء يُمكن أن يحدث في هذا العالم يستطيع أن يفصلك عن هذه المحبة.[٥٩]

---

٥٨ الأفكار المُلحَّة التي نشعر كما لو كُنّا «مقهورون» أن نفكرَ بها ويبدو طردها والتحكم فيها صعباً.

٥٩ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٨: ٣٥

الفصل الخامس

احسبوه

تغيير المنظور يُغَيِّر كل شيء

اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ. (رسالة يعقوب ١:٢).

المنظور Perspective في الهَندسة، هو ذلك «المنظر» الذي يتغيَر بتَغَيُّر المكان الذي ننظر منه إلى الشيء، فعندما ننظر مثلاً إلى شكل هَرمي من الجانب يبدو المنظور مثلثاً، بينما إذا نظرنا إليه من أعلى، يتغير المنظور ويصيرُ مربعاً، بالرغم من أننا في المَرَّتين ننظر إلى نفس الشيء وهو الهَرم. هذا بالنسبة للهندسة، أما في الفلسفة والفِكر، فالمنظور هو الطريقة التي ننظر بها للأمور، والتفسير الذي نُفَسِّر به المواقف، وهو أيضاً يؤثر بشكلٍ كبيرٍ على حُكمنا وبالتالي على مشاعرنا، وربما على سلوكياتنا تجاه المواقف والأحداث والأشخاص. يُمكن أن يحدثَ شيءٌ واحدٌ لأكثر من إنسان، ويكون ردّ الفعل مختلفاً من شخص لآخر وذلك تبعاً لمنظور كل منهما لنفس الشيء الذي حَدَث. على سبيل المثال، يمكن أن يُكَلِّف مديرُ أحدَ الموظفين بعملٍ إضافي فيحزن، ويكلِّف موظفاً آخر فيفرح. الأول حزِن لأنه توقع الفشل وربما الفَصل من العمل، والثاني فرِحَ لأنه توقع النجاح والترقية. الأول قد «حَسِبَهُ» فخاً للإيقاع به، والثاني «حَسِبَهُ» فرصةً للارتفاع إلى درجة أعلى في السلم الوظيفي.

احسبوهُ كلَّ فرحٍ

يقدم ملكوت الله دائماً منظوراً مختلفاً تماماً للعالم وللأشياء. وقد كان تعليم المسيح، وبالذات من خلال أمثال ملكوت السموات، يدورُ حول شرح ذلك المنظور المختلف، وتلك الرؤية الأُخرى للعالم. ففي مَثَل الابن الضال، كان الابن الأكبر ينظر لما «فَعَلَهُ» أخوه الأصغر، أما الأب، الذي يمثل منظور الملكوت، فقد كان ينظر إلى «مصير» ذلك الابن. لقد كان ذلك الأب يظنّ بعد أن تأخر رجوع ابنه، أنه قد مات، ثم اكتشف أنه حَيٌّ يُرزَق.

وفي مَثَل الفعلة في الكَرم، كان فعلةُ الساعة الأولى من النهار ينظرون إلى «استحقاقهم» أن يتقاضوا أكثر من الذين عملوا وقتاً أقل، أمّا صاحب الكرم، الذي كان يُمثِّل منظور الملكوت، فكان ينظر إلى «احتياج» الأسرة التي تنتظر عائلها في آخر النهار وتحتاج إلى دينار لتأكل، سواء كان عائلُها قد عَمِل ساعة واحدة أم عَمِل النهار كُلّه.

وفي مثل الوَزَنَات، لم يُدرك الذي أخذ الوزنة الواحدة أن صاحب المال لا يُحاسبُ على «الكَمِّ المُطلَق» لما يكسبه وكيله، وإنما ينظر إلى «نِسبَة الربح» وكَمّ العمل والاجتهاد، ولو كان قد أدرك ذلك لعَلِم أن لديه فرصة أعظم من الذي أخذ خمس وزنات، حيث أنه يستطيع أن يُحَقِّقَ نفس نسبة النجاح بأن يكسب وزنةً واحدةً فقط.

إنه المنظور ـــــ لقد نظر هؤلاء إلى الاستحقاق والإنجاز، أما ملكوت الله فينظر إلى الشخص وتَوَجُّهاته الروحية كالثقة والرجاء والإيمان والمحبة، وإلى اجتهاده ورغبته في العمل، والتي تُعَبِّر عنها سلوكياته وعلاقاته. بنفس الطريقة ينبغي أن ننظر إلى التجارب والامتحانات التي تحدث لنا، فلا نَنظُر كثيراً إلى ما يَحدُثُ من أحداث، ولكن ننظر إلى التأثير الذي يُمكِن لهذه الأحداث أن تُجرِيه في شخصياتنا

الروحية الأبدية. ولأن ذلك التأثير سوف يتوقف على التَوَجّه الذي سوف نتعامل به مع هذه الأحداث، لذلك فإن تَوَجُّهنا تجاه الأحداث والتجارب، هو الأهم من التجارب نفسها. هل سنتساءل: «لماذا حَدَثَ ما حَدَثَ؟» أم سنتساءل: «ما هي أفضل طريقة للتجاوُب مع ما حَدَثَ؟» وذلك لجعله أكثر فائدة من الناحية الأبدية.

في واقع الأمر يتوقف منظورنا للأشياء، على رؤيتنا العامة لمعنى وجودنا هنا على الأرض والهدف منه بشكل عام. هل إيماننا بالله مجرد وسيلة لجعل حياتنا هنا على الأرض أفضل؟ أم أنه إيمانٌ يُغَيّر نظرتنا للوجود ويجعل معنى الوجود الأرضي، ليس كما نشأنا لنعتقد، هو أن نُثمِرَ ونَزدَهِرَ هنا على الأرض، ولكن لكي تنمو أرواحنا وتتطور.[60] هذا النوع من الإيمان يجعلنا ننظر للحياة هنا على الأرض بوصفها «برنامجاً تدريبياً به تتدرَّبُ أرواحُنا الأبديَّة لتتَّخذَ الاختياراتِ الروحيَّةَ السليمة، ومن ثَمَّ تتشَكَّلُ وتصيرُ أكثرَ لياقة لكي تملِكَ مع الله إلى الأبد». في هذه الحالة، فإننا إذا استطعنا أن نرى أن التجارب يمكن أن تساهم في ذلك البرنامج التدريبيّ، فإننا عندئذ ننظر إليها نظرةً جديدةً، ونتحملها بصبر، كما يتحمَّل الرياضي التدريبات التي يعلم أنها مفيدة له في ميدان الملعب الحقيقي الأكثر أهمية، بل يمكن أيضاً أن نفرح ونحتفل بها.

وإذا استطعنا أن نرى أن التجارب يمكن أن تساهم في ذلك البرنامج التدريبيّ، فإننا عندئذ ننظر إليها نظرة جديدة، ونتحملها بصبر، بل يمكن أيضاً أن نفرح ونحتفل بها.

رُبما يسألُ سائلٌ: ما الدليل على ذلك؟ في واقع الأمر أنا لا أُحِب أن أتخذَ فقط من الآيات الكتابية دليلاً وبُرهاناً، ذلك لأنني أؤمن أن إيماننا المسيحي، ليس إيماناً بكتاب، بقدر ما هو إيمان بشخصٍ تاريخيٍ عاش، وعَمِلَ، وعَلَّم، ومات، وقام من بين الأموات. لذلك فإن الدليل «المَسيحيّ» على صِدق هذا الأمر هو في حياة

60 Alexander Solzhenitsyn, *Cancer Ward*, (N. Y: Ferrar, Straus and Giroux, 1968)

«المسيح» نفسه ـــــ ذلك الذي نحن مدعوون لأن نتَّبع خطواتِه،[٦١] ونتغير إلى صورته. فيسوع الذي قَدَّم في بستان جثسيماني، بصراخ شديد ودموع، طلباتٍ وتضّرعاتٍ للقادر أن يُخَلِّصَهُ من الموت، وتعلم الطاعة مما قد تألم به،[٦٢] والذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي.[٦٣] هذا أقامه الله أمام شهودٍ كثيرين[٦٤] حاملاً في جَسَدِه المُمَجَّد آثار التجارب التي قد احتملها في ذلك الجسد[٦٥] وارتفع بيمين الله[٦٦] بهذا الجسد، وأُعطِيَ اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسمه كل رُكبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض.[٦٧] فهلّا سألتَ نفسكَ، ما هي العلامات التي سوف تحملها في جسدك، أو في شخصيّتك، كدليل، أو«ختم شهادة» اجتيازك بنجاح، البرنامج التدريبي الذي خُضته هنا على الأرض؟ وهل ستَحسِبُ هذا فَرَحاً؟

تجارب متنوعة

بكلمة «مُتَنَوِّعة» يفتح الوحي الباب أمام كل أنواع التجارب في كل نواحي الحياة. ربما تكون في صورة أمراض وإعاقات في الجسد أو النفس، تصيبنا أو تصيب من نُحِب. ربما تكون أيضاً شدائد وضيقات اقتصادية، أو صعوبات في العمل، أو عدم وجود عمل من الأساس. ربما تكون التجارب في دوائر العلاقات المختلفة، في الزواج والأسرة والأبناء؛ من تأخر الزواج، أو الحرمان منه تماماً، إلى الزواج غير المُوَفَّق، إلى الحرمان من الأطفال، إلى أمراض واضطرابات تصيب الأطفال. ربما تكون هناك أيضاً مخاوف واضطهادات في المجتمع وعدم

٦١ رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ٢١

٦٢ الرسالة إلى العبرانيين ٥: ٨

٦٣ الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ٢

٦٤ أعمال الرسل ٢: ٣٢

٦٥ إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٧

٦٦ أعمال الرسل ٢: ٣٣

٦٧ رسالة بولس الرسول لأهل فيلبي ٢: ٩

استقرار سياسي واجتماعي.

إننا عندما نقع في هذه التجارب المتنوعة، فمن الطبيعي أن نحزن ونتألم، وما يزيد من صعوبة هذه التجارب وألمها، أننا نتساءل: لماذا؟ لماذا يحدث هذا؟ ولمصلحة من؟ وما الهدف؟ عندما نمر في صعاب نعرف سببها، أو على الأقل نعرف الهدف منها، فهذا يعطينا قدرة أكبر على احتمالها. لكن الصعوبة الكبرى تكمن في تحمّل التجارب التي لا يبدو لها مَنطِقٌ يمكن قبوله. لماذا يولد طفلٌ معاق؟ ولماذا تنتهك طفلة في عمر الزهور من أقرب الناس لها؟ لماذا نُقَدِّم كل شيء في العلاقات ولا نحصل إلا على الجرح والإهمال؟ لماذا نطلب احتياجاتنا المشروعة ولا نحصل عليها؟ لماذا نزرع كثيراً ونحصد قليلاً؟ لماذا ينتصر الشَرّ؟ ولماذا يحسب الضلال نفسه حقاً، ويتأخر ظهور الحق؟ لماذا؟ نعلم أن الشرّ ليس إرادة الله، لكن لماذا يسمح الله به أحياناً؟ ولماذا يسمح به في حياة من يحبّونه ويعيشون من أجله؟ الردّ اللاهوتي التقليدي المعروف، هو أن الشرّ في العالم موجودٌ بسبب السقوط والخطية التي وُجِدَت بدورها لأن الله أعطى للإنسان حُريّة الاختيار. لكن هذا الرد، بالرغم من صِحَّته لاهوتياً وكتابياً، إلا أنه لا يشفي غليل من يجتاز، هو نفسه، التجربة.

لذلك فإن الإضافة التي يريد أن يضيفها الوحي هنا في رسالة يعقوب، وفي أماكن أخرى، هو أن الله، وإن كان لا يُحب الأمراض والفقر والعوز والظلم والمعاناة، ويتألم فيها معنا بل وأكثر، لأن من يُدرِك أكثر، يتألم أكثر، إلا أنه دائماً ما يَتَدَخَّل، وتَدَخُّلُه هذا ليس بالضرورة، في صورة حمايتنا من التجارب فلا تحدث، أو رَفْعِهِ للتجارب وإزالتها، هذا بالطبع يحدث أحياناً، لكن ما يحدث بنسبة أكبر،[٦٨] هو أنه يتدخل فيها بنعمته، لكي يساندنا فيها، ويحوّلها من شرّ

68 Philip Yancey, *Prayer, Does It Make Any Difference?* (Grand Rapids: Zondervan, 2006), p. 266

لا معنى له، إلى تدريباتٍ تعطي الذين يتدربون بها، سماتٍ شخصية،[٦٩] تجعلهم قادرين على الحياة بشكل أعمق هنا على الأرض، وتعطيهم مجداً أثقل[٧٠] في الحياة الأبدية. وبالطبع هذا «التحويل» لن يحدُث إلّا عندما نقوم نحن أيضاً «بتحويل» منظورنا لهذه التجارب، فنراها كفُرَصٍ للنمو، وليس فقط فشلاً وإحباطاً.

هذا المنظور للتجارب لن نستطيع أن نُدرِكه ونحن ناظرون أكثر إلى الأشياء التي «تُرى»[٧١] مثل أجسادنا، وأجساد أحبابنا، واستقرارنا الوظيفي، والسياسي والاجتماعي، وعلاقاتنا المختلفة. هذه الأمور بالطبع مُهِمّة، لكن الأهم منها، هو الأشياء التي «لا تُرى»؛ مثل طُرُق تفكيرنا، وأولوياتنا، ومبادئنا، واختياراتنا الأخلاقية، ومواقفنا من الآخرين، حُباً وكُرهاً، قبولاً ورفضاً، لأن هذه الأشياء التي لا تُرى، تعكس شخصياتنا الروحية التي سوف تبقى إلى الأبد بعد أن تفنى أجسادنا، و يفنى كل ما هو متعلقٌ بها من أنشطة وعلاقات مَبْنِيَّة على ذلك الوجود الجسدي. إن هذا الذي لا يُرى، هو إنساننا الداخل، الذي يتجدّد يوماً فيوماً، أما إنساننا الخارج وكل المُرتَبط به، فهو يفنى يوماً فيوماً وتقل أهميّته مع مُضِيّ السنين.[٧٢] لذلك فان آهم استعدادات للتجارب التي تاتي ان تكون مكوناً متعلقة اكثر بما لا تستطيع التجارب ان تزعزعه.

---

٦٩ الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ١١

٧٠ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٤: ١٦ – ١٨

٧١ نفس الفقرة السابقة

٧٢ نفس الفقرة السابقة

عندما نُدرِك أن هذه التجارب، عندما نحتملها مع الله، سوف تصنع لنا أكثر فأكثر ثِقَل مجدٍ أبدياً، فإن شعورنا بعبثيّة هذه التجارب يتناقص، وبالتالي نستطيع أن نحتملها بصورةٍ أفضل، بل وربما نراها خفيفة في ضوء ثِقَل المجد الأبدي، ووقتية، بالمقارنة بطول الحياة الأبدية.

ليست الروحانية ممارسات، أو عقائد، وإنما هي نظرة للحياة، تجعل الروحيّ دائماً سابقاً وأهم من الجسديّ.

وربما ما يجعلنا أكثر قدرة على تصديق ذلك، هو أننا نرى «عَربوناً»»[٧٣] لذلك في حياتنا الحاضرة من نضوج وقدرة متزايدة على تحمل الصِعاب، واستيعاب أعمق للبَشر وأحداث الحياة. وليس ذلك فقط، بل نحن نعرف أن الرجاء الأبدي لا يُخزى بسبب «عربون الروح القدس» الذي كُلما كُنّا نحتمل، نجده يسكُبُ في قلوبنا مَحَبّةً[٧٤] وحميمية متزايدة مع الله، واستمتاعاً أكثر بالحياة في عالمه.

مرة أخرى، كل هذا لن يحدث، إلا عندما نُغَيّر من البؤرة التي ننظر بها إلى وجودنا الإنساني بأكمله. هذه باختصار هي الروحانية، فليست الروحانية ممارسات، أو عقائد، وإنما هي نظرة للحياة، تجعل الروحيّ دائماً سابقاً وأهم من الجسديّ. ربما تأتي لحظات نفقد رؤية كل هذا، وذلك لأن البؤرة تغيرت والعدسة تحرَّكَت، لذلك فإن جهادنا الروحيّ المستمر، هو أننا، بنعمة الله، نستعيد هذه الرؤية كلما فقدناها ونُعَمِّقُها كلما تَسَطَّحَت.

امتحان الإيمان

كل اختبار أو امتحان دراسي اجتزنا فيه في حياتنا، كان يَعِدُ بنتيجة. ربما تكون هذه النتيجة اجتياز سنة دراسية، أو الحصول على «شهادة» تُمكِّننا من ممارسة عمل ما، أو تُسَهِّلُ لنا «ترقيةً» في أعمالنا، أو تعطينا «رُخصة» لممارسة ما لا

٧٣ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٥: ٤-٥

٧٤ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٥:٥

نستطيع ممارسته بدونها. إذا كان الأمر كذلك، فما هي «شهادة» اجتياز امتحان الإيمان الذي ندخل فيه بسبب تلك التجارب المتنوعة؟ يجيب الرسول يعقوب قائلاً أن هذه الشهادة هي «الصبر» وهو بذلك يتفق مع الرسول بولس الذي يقول أن الضيق يُنشيء صبراً والصبر تزكية، والتزكية رجاء.[٧٥] التزكية هنا هي الشهادة، أو بحسب تعبير الترجمة العربية المُبَسَّطة؛ «بُرهان القوّة»، تماماً كما أن الشهادة هي بُرهان أن صاحبها قد اكتسب المعرفة أو المهارة المطلوبة. والرجاء هنا هو رجاء النموّ الروحي، الذي له موعد الحياة الحاضرة والعتيدة[٧٦] أيضاً. ويكتب دالاس ويللارد عن هذا النمو ما يلي:

> إن عنصراً أساسياً في هذا التدريب هو أن تكتسب خبرة أن ننتظر الله لكي يتحرك ولا نقفز نحن ونفعل الأمور بأيادينا. ومن خلال خبرة الانتظار هذه تظهر سماتٌ شخصية لا تُقَدَّر بثمن في عينيّ الله، إنها الشخصية التي يستطيع الله أن يُمَكِّنَها أن تفعل ما تريد[٧٧] (لأنها عندئذ سوف تريد كل ما هو صالح).

ومن المهم أيضاً أن نُدرِك أن الصَبر ينتج، ليس من التجربة في حد ذاتها، وإنما من احتمالنا لها. واحتمالنا لها بطبيعة الحال يتناسب أيضاً مع ثِقَلِها، فإن احتمالاً قليلاً لحِمل ثقيل، ربما يكون أكبر قيمةً من احتمالٍ كبير لحِمل خفيف. أي أنَّ من أصابته مُصيبة كبيرة، واحتمَلها بشرف، لكنه من حينٍ لآخر يتذمر ويفقد الرؤية، فهذا يَتَفَهَّمُه الرب، لأنه يُدرِكُ أن الحمل ثقيل. فكما فهمنا من مثل الوزنات الذي ذكرناه سابقاً، أن التقييم العادل للمتاجرة بالوزنات ينبغي أن يضع في اعتباره رأس المال المُعطَى. فَمن يُعطَى كثيراً يُطالب بكثير، ومن يحتمل ضيقات شديدة، فإن الله يُدرِك ويَتَفَهَّم أيضاً صعوبة ما هو فيه. لذلك لا ينبغي أن نُقارن

٧٥ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٥: ٣

٧٦ رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس ٤: ٨

77 Dallas Willard, *The Divine Conspiracy. Rediscovering Our Hidden Life in God.* (N.Y. : Harper Collins, 2005) p. 251 المكتوب بين القوسين لكاتب هذا الكتاب

بين الصبر الذي يُبديه من يتعرض لضيقات محدودة مثل تأخر ترقية، أو فُقدان بعض المال، والصبر الذي يُبديه إنسان تعرض لتجارب شديدة مثل أم فقدت الأبناء في ريعان الشباب، أو شابٍ فقدَ بصَره، أو شابّة تَعَرَّضت للاغتصاب، أو غير ذلك من التجارب المُرَوِّعة التي يتعرض لها البشر أحياناً. إننا إذا توقعنا صبراً كاملاً من مثل هؤلاء، نكون غير عادلين، تماماً كمن يطالب من أُعطي وزنة واحدة أن يكسب خمس وزنات.

هذا الصبر لا يَنتُجَ فقط من احتمال التجارب التي تأتي إلينا دون أن نختارها، ولكنه يأتي أيضاً عندما نأخذ على عاتقنا ممارسة التدريبات الروحية المختلفة التي نضبط أنفسنا فيها بشكل مقصود ومُرَتَّب لكي نُنَمِّي تلك السمات الشخصية في أنفسنا. ولعل تدريبات الامتناع،[٧٨] مثل الصمت والوحدة والصوم والبساطة والسرية هي الأكثر تحقيقاً لفضيلة الصبر والانتظار والاحتمال. إنها التدريبات التي بها نتدرب أن نقول «لا» لردود أفعالنا التلقائية المعتادة، ولميلنا الشديد أن نقفز ونفعل الأشياء بأيدينا لكي نحلّ المشكلات التي تواجهنا.

- عندما نجوع، فنحن بشكل تلقائي، نأكل. أما عندما نمارس الصوم ونتدرّب عليه ونتمرَّس فيه، فإننا نُصبِح قادرين أن نوقفَ، لفترة محدودة، هذا البرنامج التلقائي، ونقول لجسدنا: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله».[٧٩] والأهمُ أننا نقول لجسدنا: «ليس كل ما تشعر به تفعله، تَعَلَّم الصبر».

- وعندما تأتينا فكرة سريعة، فنحن تلقائياً نُعَبِّر عنها، إما بالكلام أو بالكتابة، خاصة في المواقع الاجتماعية التي تجعلنا قادرين أن نُكلِّم آلاف الناس طوال اليوم، ربما لندافع عن أنفسنا، أو نوضح وجهة نظرنا، أو نفتخر

٧٨ دالاس ويللارد، التدريبات الروحية (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٢) الفصل السابع.

٧٩ إنجيل متى ٤: ٤

بذكائنا وحكمتنا. لكننا عندما نمارس تدريب الصمت، فإننا نتدرّب على توقيف هذا البرنامج التلقائي ونترك الأمر في يد الرَبّ.

- وعندما نشتهي شيئاً، لدينا المال لشرائه، فإننا نسرع باقتنائه مُبرِّرين ذلك لأنفسنا بتَعَدُّدِ إمكانياته وفوائده. لكننا عندما نمارس تدريب البساطة والتَقَشُّف، فإننا نَمنع أنفسنا من ذلك، ونكتفي بما لدينا من أشياء أخرى تفي بالغرض وتسدد الاحتياج.

امتحان الإيمان الحقيقي هو دائماً أن نصبر ونثق بالله، أن يفعل هو الصالح بطريقته وفي توقيته، وألا نفعل إلّا ما نحن متأكدون أن الله يريدنا أن نفعله في ذلك الوقت وبتلك الطريقة. يعكس المزمور السابع والثلاثون هذا الجانب المحوري في الإيمان بالله، لذلك نجده يستخدم مجموعة من الأفعال التي تشير للصبر مثل؛ «اتَّكِل» و«اسكُن» (السكينة) و«سَلِّم» و«انتظر» و«كُفَّ» و«حِد» و«اترُك».

العمل التامّ

ثم يوصي الرسول يعقوب قارئيه أن يتركوا الصبر يعمل عمله التام. الصَبر بطبيعته، يحتاج للوقت لكي يعمل. وهو ليس وقت انتظارٍ سلبيّ، وإنما هو وقتٌ نمارس فيه التدريب على احتمال المشقات والضيقات، سواء التي تأتي إلينا من الحياة في هذا العالم، أو التي نضعها على أنفسنا طوعاً لأننا أردنا اقتناء الصبر والنضوج أكثر من أي شيء آخر. وكلمة «تامّ» المُستخدمة، وهي باليونانية Teleion تعني الانتظار حتى حدوث الغاية المرجوّة. والغاية المرجوّة هي تَغَيُّرنا إلى صورة المسيح. في كثير من الأحيان نتعجب عندما نطلب من الله أمراً ونحن نعلم أنه صالح، وبحسب مشيئته المُعلَنة، لكنه يتأخر، أو لا يفعله مُطلقاً. السبب هو أن هناك مشيئة لله من نحونا، وهي أهم من أي مشيئةٍ أخرى، ألا وهي نُمُوُّنا، فالله كما يقول ريك وارين Rick Warren، مهتَمّ بقداستنا أكثر من سعادتنا

وبشخصياتنا أكثر من راحتنا.[٨٠] وعندما تكون هذه الرغبة هي أيضاً أول وأهم رغبة لدينا، فعندئذ نكون قد وضعنا أقدامنا على أرض الحياة الروحية الصَلبة الصاعدة إلى أعلى.

لا يعني الصبر والمثابرة أن نتقدم خطوة للأمام كل يوم، بل أن تكون المُحَصِّلة النهائية هي التقدم للأمام نحو هذه الغاية.[٨١] قد تأتي أيام نتوقف، بل وتأتي أيام أيضاً نتقهقر للخلف. في هذه الأيام علينا أن ننسى ما هو وراء ونمتد إلى الأمام مرة أخرى. إذا تقدّمت ثلاث خطوات ثم رجعت خطوتين، فأنت قد تقدَّمت خطوة، وإذا تقدمت خطوتين ورجعتهما، فأنت على الأقل لم تتقهقر للخلف، وإن تقهقرت للخلف، فأنت لم تقع، وإن وَقَعتَ، قم فأنت لم تَمُت بعد.

يحكي ريتشارد فوستر عن رقصة كان يمارسها المسيحيون الأوائل وهم يُرَنِّمون ترانيمهم المختلفة. في هذه الرقصة كانوا يُشَبِّكون أذرعهم معاً ويأخذون ثلاث خطوات للأمام، وخطوة للخلف. وكانوا بهذه الرقصة يُعلِنون انتصار المسيح على الشر الذي في هذا العالم مشيرين إلى أن هذا الانتصار يُحَرِّكنا للأمام ولكن ليس بدون انتكاسات وسقوط وقيام.[٨٢]

غير ناقصين

لا تعني هذه العبارة الكمال الخالي من أي ضعف أو خطأ، لكن ما يقصد الرسول يعقوب هنا أن يقوله، هو أن الصبر على التجارب هو قمة النضوج الإنساني. نفس الأسلوب يتَّبِعه يعقوب عندما يتكلم عن القدرة على لَجم اللسان واصفاً

80 God is more interested in your holiness than your happiness and in your character than your comfort. http://lastlightband.com/documents/PS05_08-DCowart.pdf

٨١ رسالة بولس الرسول لأهل فيلبي ٣: ١٣

82 Richard Foster, *Prayer. Finding the Heart's True Home,* (San Francisco: HarperOne, 2002) p.

من يستطيع التَحَكُّم في كلامه أنه رجلٌ كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً[٨٣] وذلك لأن ضبط اللسان أمر صَعب يقول عنه أيضاً أن أحداً لا يستطيع أن يذلِلُه.

هُنا أيضاً مُقابلة بين طريقة التفكير التي اعتدناها في حياتنا وتَرَبَّينا عليها في هذا العالم، وهي أن الإنسان يكون تاماً كاملاً، عندما يُحقِّق الوظيفة والأسرة والأولاد. الشَقّة الفاخرة، والشاليه والسيارة الحديثة. فتكون عندئذ احتياجاته مُسَدَّدة، وأحباؤه بخير، وماله وفيراً، وعمله ناجحاً، وكل من حولَه يُحِبّونه. بحسابات العالم، هذا هو الإنسان الذي يستطيع أن يقول عن نفسه أنه «لا ينقصه شيء». أما ما يريد الرسول يعقوب هنا أن يقوله، هو أن التمام والاكتمال من منظور الله، هو قدرة الإنسان على الصبر والاحتمال، والتَوَجّه الإيجابي في الحياة، بالرغم من عدم تسديد تلك «الخانات» الذي يشعر كل إنسان في العالم أن عليه أن يُسَدِّدَها لكي يكون كاملاً غير ناقصٍ في شيء.[٨٤]

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١- على إنسان الملكوت أن ينظر للأمور من منظور آخر جديد.

٢- هذا المنظور يرى الحياة الأرضية كبرنامج تدريبي للحياة الأبدية في السماء.

٣- التجارب التي تؤدي إلى النموّ الروحي في حياة الإنسان، أمرٌ يُحسَب فرحاً.

٤- هذا النمو الروحي مُفتاحه هو الصَبر والثقة بالله في وسط التجارب

---

٨٣ يعقوب ٣: ٢

٨٤ رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ١٧

المختلفة.

٥- هذا الصبر ينبغي أن يأخذ مساره ومجراه في حياتنا حتى يُثمِر فينا النضوج الذي يتمناه الله لنا.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

فيما يلي بعض الاقتراحات لتدريبات بشأن تغيير المنظور للأشياء والمواقف. يمكن أن تستغلّ المواقف التالية لتمارس تدريب «تغيير المنظور»:

- فُرصة كانت سانحة ثم ضاعت
- تأخير لا معنى له

نحن نميل دائماً لإيجاد معنى للأحداث ولكي نُحافظ على مزاجنا ورؤيتنا «الإيجابية» للأمور، نميل لأن نجعل المعنى دائماً إيجابياً، وشعارنا في ذلك: «لعله للخير»، والخير الذي دائماً ما نفكر فيه غالباً ما يكون أن الفرصة التي ضاعت لم تكن جَيّدة من الأساس، أو لعلها قد حَمَتنا من خطر. رُبما يكون هذا هو الحال بالفعل، لكن ليس بالضرورة، فربما تكون الفرصة التي ضاعت فرصة جيدة فعلاً، لكن «فُرصة» أن نتعلَّم الصبر والتقوى والمرونة، هي دائماً أفضل.

في حياتنا اليومية، عشرات الفُرَص لكي نتعلم الصبر والتسليم:

- شخص أخذ دورك في الطابور

في مثل ذلك الموقف، سوف تجد «جَسَدَك» حتى وإن لم يرد أن «يُزاحِم»، فعلى الأقل يغضب ويريد أن يأخذ حَقَّه. في مثل هذا الموقف من الممكن، أن تحسب الأمر «فُرصةً» لتَعَلُّم الصَبر (لكن يجب أن تكون متأكداً، قبل أن تترك حَقَّك، أنك

تستطيع أن تأخذه وأنك لا تتركه خوفاً أو سلبية[٨٥]. عندما تترُك حَقّاً تستطيع أن تأخذه لكي تُدرِّب نفسك على الصبر والاحتمال والمحبة، فهذا صبرٌ يكون له «عَمَلٌ تامّ» لأجل النضوج والمَنفعة. ولكي تَختبر نفسك إن كنت قد تركت حقك عن طيب خاطر، أم لا، جَرّب أن «تَنظُر إلى ذلك الشخص وتُحِبَّهُ».[٨٦] إن لم تستطع، فعندئذ، ربما يكون من الأفضل أن تأخذ حَقَّك وتعاتبه[٨٧] بلُطف. ربما بعد عِدّة مرات من التدريب، يأتي الوقت الذي فيه تترك حقك مسروراً.[٨٨]

أمثلة اخري:

- شخص انحرَفَ تجاهك بالسيارة، أو دفعك أثناء ركوب المترو.
- شخص قال لك كلمة مُهينة.
- صديقة تَعَرَّفت على خطيبِك وأَخَذَتهُ منك.
- شخص احتال عليك وأخذَ وظيفتك.

---

٨٥ أوسم وصفي، *صِحَّة العلاقات* (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجلية، ٢٠٠٤-٢٠١١) ص. ٢٣٣- ٢٣٨

٨٦ إنجيل مرقس ١٠: ٢١

٨٧ إنجيل متى ١٨: ١٥

٨٨ رسالة بطرس الرسول الثانية ٩: ٧

الفصل السادس

عَالِمِينَ

حقيقة واحدة تصنع كل الفرق

وَلكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ للهِ لاَ مِنَّا. مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا. لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِمًا لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. إِذًا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلكِنِ الْحَيَاةُ فِيكُمْ. فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوب:«آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ»، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا. عَالِمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ. لأَنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَكُونَ النِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِالأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللهِ. (رسالة كورنثوس الثانية ٤: ٧- ١٥).

هذه الفقرة من الأصحاح الرابع من رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، تصف حالة من «إصرار الإيمان» الذي يظهر في صورة تَحَمُّل الكثير من ألوان المعاناة في صبر. هذا الإيمان المُصِرّ ليس مبنياً على قوة اقتناع بشري بعقيدة، ولا يُغَذِّيه إحساس بالكرامة يرفض التراجع عن قرار أو التزام، إنه ببساطة إيمانٌ مبنيٌ على العلم بحقيقة واقعة رآها المؤمنون رؤي العين ولمسوها بأيديهم،[٨٩] وتحقَّقوا منها وشهدوا عنها، بل واستُشْهِدوا من أجلها لأنهم لم

٨٩ إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٧

يقدروا أن يكتموا الشهادة عَمَّا رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم.[٩٠]

عالمين

هذه الكلمة هي حجرُ الأساس الذي قد بُني عليه الإيمان بالمسيح، فالإيمان المسيحي ليس مُجَرَّدَ إيمانٍ بفكرةٍ مُقْنِعة، ولا أملٍ مُنتظر، ولا مَنْهجٍ مقبول، بل هو الإيمانُ بخبر معلوم، وحَدَثٍ قد تمَّ ببرهان مَنطِقيّ لا يعتريه الشك.[٩١] هذا الحَدَث هو «قيامةُ المسيح»، وهو حدثٌ من شأنه إعطاء فهمٍ جديدٍ لكل ما مضى من تعاملات الله مع الإنسان، ومعنى جديدٍ لمآل الإنسان ومستقبل علاقته بالله وبنفسه وبالعالم.

هذا الوجود الجديد، هو «النواةُ الصَلبَة» التي أصبحت موجودة داخل المؤمنين، والتي جَعَلَتهُم يحتملون ما لم يستطيعوا من قبل احتماله.

لقد قام المسيح وصارة باكورة الراقدين، أي أنه أصبح باكورة حصادٍ جديد، فيه يقوم الراقدون في الإيمان، إلى حياة جديدة، ومستوى جديد من الوجود يغلِب بالطبيعة كل المستويات السابقة. هذا الوجود الجديد،[٩٢] هو «النواةُ الصَلبَة» التي

٩٠ أعمال الرُسل ٤: ٢٠

٩١ أوسم وصفي، ماهر صموئيل، *معرفة الله والنفس* (عَمَّان: أوفير، ٢٠١٣) ص١٨٢.

٩٢ يفترض علماء النفس الوجوديون أن «الخوف من الموت» هو المُحَرِّك لكل الأمراض والاضطرابات النفسية، وبالتالي فإن الإنسان عندما «يعلم» أن الموت لم يعد يُمثّل «الوحدة» والنسيان» و«الترك» الذي كان يمثله، فإن الخوف من الموت يتضاءل ومعه تتضاءل فُرص الإصابة بالأمراض والاضطرابات السلوكية. لذلك فإن المسيح عندما قد أبطل الموت بقيامته، فهو لم يُنر فقط الخلود، بل قد أنار الحياة الحاضرة أيضاً (تيموثاوس الثانية ١: ١٠) حيث أن هؤلاء العلماء يرون أن الإنسان لكي يتغلب على الخوف من الموت يستخدم استراتيجيات سحرية تجعله يعتقد أنه شخص «خاص» لن يقترب منه الموت، وذلك بتمجيد نفسه بالمبالغة في الإنجاز والإنتاج والمال وغيره، أو بالالتصاق المبالغ فيه بالآخرين. هذه الاستراتيجيات كما نلاحظ تقوم «بتأليه» الإنسان، إما لنفسه، أو لغيره من البشر. أما ذلك الإيمان «التاريخي، الموضوعي» بحياة بعد الموت، فهو يحرِّر الإنسان من محاولات خلق «أبدية» هنا

أصبحت موجودة داخل المؤمنين، والتي جَعَلَتهُم يحتملون ما لم يستطيعوا من قبل احتماله، وما لم يستطع معاصروهم أن يحتملوه، فأصبحوا شهادة قوية في جيلهم، جعلت أعظم إمبراطورية في عصرهم، تنحني أمام تلك الخليقة الجديدة التي أصبحوا يُمَثِّلونها.

لم يتعرض المسيحيون للاضطهاد فقط لأنهم لم يُكرِموا الآلهة الوثنية ولم يدعوا الإمبراطور «رَبّاً»، ولكن أيضاً لأنهم عاشوا حياةً مستقيمة، كانت مُنَفِّرة للرومان الذين كانوا يعيشون حياة أخلاقية مُنحَلّة. لقد سَجَّل الكُتَّاب غير المسيحيين تعليقاتهم على الحياة الأخلاقية السامية التي عاشها المسيحيون الأوائل. فكتب أحدهم ويُدعى: «بلايني» Pliny تقريراً عنهم للإمبراطور قال فيه: «إنهم ملتزمون بعهد صارم، ألا يفعلوا أيّ شرور، أو يقوموا بأي نصب أو سرقة، أو زنى، ولا يُغَيِّروا من أقوالهم ليحصلوا على مكاسب، وألا يتوانوا عن أداء الأمانة التي يؤتَمَنوا عليها».[٩٣]

كان كل هذا لأن هؤلاء المؤمنين كانوا «عالمين» بالمسيح الذي قام من بين الأموات «وموقنين» أن الذي غلب الموت من أجلهم، هو نفسه، ساكنٌ فيهم، وقادرٌ أن يحفظ ودائع حياتهم الحاضرة والأبدية إلى اليوم الأخير.[٩٤] لقد كانت قيامة المسيح معرفةً يقينية بالنسبة لهم، بل وماثلة أمامهم دائماً. فلم تكُن قيامة المسيح فقط مُثبَتة منطقياً، بل كان الإيمان بها، يُغيِّر الحياة تغييراً وجودياً عميقاً يمنحُ شجاعة عجيبة قادرة على تغيير العالم

عندما يتَّحِد البرهان المنطقي، بالبرهان العملي التطبيقي، فثمة «الحقيقة».

على الأرض بتأليه نفسه أو الآخرين أو الأشياء المادّية. تلك المحاولات التي كثيراً ما تؤدي لاضطرابات نفسية وسلوكية، مثل إدمان العمل أو النرجسية أو العلاقات الاعتمادية الإدمانية.

93 Alvin J. Schmidt, *How Christianity Changed the World*, (Grand Rapids: Zondervan, 2004) p.27

٩٤ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ١: ١٢

وإخضاع أعتى الممالك، مما يبرهن، مرة أخرى، أن الذي قام، لا زالَ حَيّاً في تلاميذه يغلب فيهم الشرور، قبل أن يأسر العالم بهم بلا نُقطة دم واحدة. لذلك يُمكننا أن نقول أنه عندما يتَّحِد البرهان المنطقي، بالبرهان العمَلي التطبيقي، فثمة «الحقيقة».

لم تُثبت قيامة المسيح فقط صِدق المسيح، ولكنها أثبتت صِدق الحياة الروحية بجملتها، وحقيقة الأبدية والحياة بعد الموت. لقد كان البشر دائماً يتساءلون عَمّا إذا كانتْ «الحياة الأُخرى» هذه حقيقة، أم وهماً صنعناه لأنفسنا لكي نحتمل الحياة الحاضرة. حتى الصدُّوقيون المؤمنون بالتوراة (ومنهم الكثير من الكهنة في ذلك الوقت)، لم يؤمنوا بحياة بعد الموت. وقد كان الاحتجاج الذي يحتجَ به كل من لم يؤمن، أو من كان يتشكك في حقيقة الحياة بعد الموت، هو: «وهل ذهب أحدٌ إلى هُناك وعاد ليخبرنا؟!». لذلك فإن الرسول بولس يُجيب قائلاً: «نعم. لقد ذهب المسيح إلى هناك وعاد ليخبرنا» وليس فقط لكي يخبرنا أن هذه الحياة موجودة «هُناك» كمكافأة، بل أن هذه الحياة قد «اخترقت» حياتنا الحاضرة، وتستطيع أن تغيرها هنا والآن.

- لأن المسيح قام والموتى يقومون، فنحن لا نأكل ونشرب وننغمس في الحياة الأرضية وكأنها كل ما نملك.[٩٥]

- لأن المسيح قام والموتى يقومون، فنحن نحترم أجسادنا ولا نستخدمها في الزنى لأن الربَ سوف يقيم هذه الأجساد.[٩٦]

- لأن المسيح قد قام والموتى يقومون، فنحن لسنا مديونين لهذا «المستوى» من الحياة، لأن هذا المستوى سوف تتم «ترقيَتُهُ». فلنعش من هُنا بحسب هذه الترقية لأنها مصيرنا النهائي.[٩٧]

٩٥ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ١٥: ٣٢

٩٦ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٦: ١٤

٩٧ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٨: ١١

- لأن المسيح قد قام والموتى يقومون، فنحن مستَعِدّون لأن نخاطر بحياتنا الأرضية، في سبيل حياتنا السماوية، وحياة الآخرين السماويّة.[٩٨]

كما يقول بولس الرسول في الأصحاح الخامس من رسالته الثانية لأهل كورنثوس (الأصحاح التالي للأصحاح المأخوذة منه الفقرة التي يدور حولها هذا الفصل)، فنحن كمن يعيش في خيمة مؤقتة، بينما يتمّ بناء قصر عظيم له في مكانٍ أرقى. عِندما يُدرِك ساكن الخيمة هذه الحقيقة، سوف لا يكون مهتماً كثيراً بحالة الخيمة، بقدر ما سيكون مهتماً بنوعية حياته هو، وهو يسكن تلك الخيمة، لأن هذه الحياة هي الشيء الوحيد الذي سوف يأخذه معه إلى القصر، لكي يكون هو أيضاً «راقياً» ليليق بالحياة في المكان الأرقى.

آمنت لذلك تكلمت

الإيمان الحقيقي لا يُمكن أبداً أن يُستَخدَم لممارسة الإنكار لأي حقيقة مها كانت مُقلِقَة أو مؤلمة.

ثم يؤكد الرسول بولس أننا، ونحن مؤمنون وعالمون بحقيقة القيامة والحياة الأبدية، نتكلمُ أيضاً بصِدقٍ وبدون إنكار، عن حقائق الحياة الحاضرة مهما كانت. إن إيماننا، كما سبق وذكرنا أكثر من مرة، هو إيمانٌ بحقائقَ ووقائعَ، فلا يُمكِن أبداً أن يُنكر أي نوع من الحقائق. وليس تَعَلُّقنا بالحياة الأخرى محاولة للهرب من متاعب الحياة الحالِية وسلبياتها، إلى عالم غيبيّ. نحن لا نهتمّ بحقائق الحياة الأبدية أكثر من الحياة الحاضرة لأننا قد فشلنا في التعامل مع هذه الحياة، وإنما بسبب الفرق بين «طبيعتيّ» هاتين الحياتين. فمن المنطقي أن نهتم بالبناء أكثر من الخيمة، وبالأبدي أكثر من الوقتي، ذلك دون أن نُهمِل الوقتي[٩٩] أو نُنكر ما يحدث لنا فيه. وعندما نتكلم عَمّا نعانيه

---

٩٨ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ١٥: ٣٠

٩٩ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٥: ٤

في هذه الحياة بكل الصدق والصراحة فهذا أيضاً نابعٌ من الإيمان بأن الخليقة الجديدة، ليست فقط تُمَكِّنُنا من الحياة في العالم الجديد، ولكن تجعلنا نتحمّل هذا العالم أيضاً.[١٠٠]

أول خطوة للتعامل مع المشكلات النفسية والعلاقاتية سواء كانت حاليّة أم قديمة هي الكلام عنها. لكي نتكلم نحن بالطبع نحتاج لمن يسمعنا. نحن نحتاج لبيئة آمنة لكي نتكلم فيها، دون أن نتعرض للّوم والإدانة. في رسالته الثانية لكنيسة كورنثوس، نلاحظ كيف كان بولس الرسول يشعر بمعاناة نفسية شديدة نتيجة المشكلات الحادثة في علاقاته ببعض الأشخاص في هذه الكنيسة التي أسَّسَها. لم يجد بولس الرسول أي حرج أن يعبِّر عما بداخله من ألم وحيرة، وفقدان الأمل في النجاة[١٠١] حيث يقول: «فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا، أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً». ويواصل في الأصحاح الرابع في الفقرة موضوع هذا الفصل، كلامه عن المزيد من المعاناة النفسية. وفي العدد الثالث عشر من هذا الأصحاح، يقدم بولس المبرر «اللاهوتي» لكونه قد فتح قلبه بهذه الصراحة أمام أهل كورنثوس فيقول: «فإذ لنا روح الإيمان عينه، حسب المكتوب: «آمنت لذلك تكلمت»، نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً». السبب الذي يسوقه الرسول بولس لكونه قد تكلم وباح بحقيقة ألمه وصراعه هو أنه «يؤمن» وأن هذه هى نفس روح إيمان كاتب المزمور المائة والسادس عشر الذي اقتبس منه، والذي يقول:

- «آمنت لذلك تكلمت: أنا تذللت جداً. أنا قلت في حيرتي : «كل إنسان كاذب!».[١٠٢]

- «حَفِظْتُ إيماني حتى حين تَكَلّمتُ وقلتُ: «قد تَحَطَّمتُ جِدّاً.» وفي اضطرابي وإحباطي قُلتُ: «كُل البشر كاذبون».[١٠٣]

---

١٠٠ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٤: ١٣

١٠١ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ١: ٨

١٠٢ مزمور ١١٦: ١٠-١١ (ترجمة فان ديك - البستاني)

١٠٣ نفس الفقرة السابقة (الترجمة العربية المُبَسَّطة)

كاتب المزمور هُنا يُنَفِّذُ وصية كاتب المزمور الرابع الذي يقول: «تَكَلَّموا»[١٠٤] حتى وإن كان الكلام مليئاً بالمشاعر الحزينة والمضطربة، والمُبالَغة والتعميم (كل إنسانٍ كاذب). وأيوب، على سبيل المثال، في ألمه وحُزنه اعترفَ أن حالته النفسية الصعبة جعلت من كلامه لَغوا،[١٠٥] أي كلاماً غير دقيق وغير منطقي. بالرغم من أن الكلام ربما يكون لَغواً، إلا أنه يزيد من الوعي بالنفس، وهذه أول خطوة على طريق الحصول على صحة ونضوج نفسي وروحي متكامل للشخصية الإنسانية.

مُكتئبين في كل شيء. الترجمة الأدَقّ تقول: «نَتَعَرَّضُ للضغط من كل ناحية» ولعل الترجمة الحرفية لكلمة «اكتئاب» تشير إلى ما يحدُث في الإنسان نتيجة للضغوط. الكلمة الإنجليزية التي تُشير إلى الاكتئاب هي depression وترجمتها الحرفية، هبوط وانخفاض كنتيجة للضغط. يُعَبّر بولس هنا عن الضغوط التي يتعرض لها من كل ناحية والتي، كما أشرنا، قد عَبَّر عنها في مُستَهَلّ الرسالة، حتى أنها قال أنه قد تعرض لضغوط فوق الطاقة حتى «فقد كل أملٍ في البقاء على قيد الحياة» (١: ٨ الترجمة العَربية المُبَسَّطَة).

وبعد ذلك يكرر كلمة «مُكتئبين في كل شيء» مرة أخرى»[١٠٦] ويضيف الأسباب؛ فمن الخارج «خصومات» ومن الداخل «مَخَاوِف». أوليس هذا هو مُجمَل أسباب الاكتئاب في حياتنا؟ أفكار خوف من الداخل، ومشكلات في العلاقات في الخارج. وفي هذا المكان أيضاً يُعَبِّر، ليس فقط عن احتياجه لله في هذه الظروف، بل أيضاً عن احتياجه للبشر، أفراداً وجماعات فيقول: «لكِنَّ اللهَ الَّذِي يُعَزِّي الْمُتَّضِعِينَ عَزَّانَا بِمَجِيءِ تِيطُسَ. وَلَيْسَ بِمَجِيئِهِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي تَعَزَّى بِهَا بِسَبَبِكُمْ، وَهُوَ يُخْبِرُنَا بِشَوْقِكُمْ وَنَوْحِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ لأَجْلِي، حَتَّى إِنِّي فَرِحْتُ أَكْثَرَ».[١٠٧]

---

١٠٤ مزمور ٤: ٤

١٠٥ أيوب ٦: ١-٣

١٠٦ رسالة بولس لارسول الثانية لأهل كورنثوس ٧: ٥

١٠٧ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٧: ٦- ٧

مَتحيّرين. ربما نميل لأن نظُن أن شخصاً مثل بولس، ظهر له المسيح وكَلَّفه بمهمة عظيمة،[١٠٨] وسانده وصنع على يديه معجزات كثيرة،[١٠٩] لا تصيبه الحيرة أبداً، بل دائماً يعرف ما ينبغي أن يفعل. ليست هذه هي الحقيقة، كما يعترف بولس نفسه هنا وفي مواقع أخرى. ليس ذلك فقط، بل في بعض الأحيان، كان الرَبّ يفتح لبولس أبواباً للخدمة وهو يعرف أن الربّ هو الذي فتح هذه الأبواب لكنه لا يستطيع أن يدخل فيها وذلك بسبب ضعفه النفسي والروحيّ في ذلك الوقت.[١١٠] لم يجد بولس غضاضة في أن يُعَبِّر عن ضعفه وحيرته لأنه، كما استهلّ هذه الفقرة، يعترف أنه مُجَرَّد إناءٍ ضعيف من فُخَّار، أما كنز القوة غير العادِّية التي كانت تظهر عليه، فهي من الله وليست منه. [١١١] لم يخش بولس أن يُعَبِّر عن ضعفه أمام تلاميذه لئلا يضعف إيمانهم، فإيمانهم من البداية لم يكن ولن يكون، ببولس وإنما بالمسيح المُقام الذي استودَع قوَّته في بولس، وقادرٌ أن يستودعها في أي إنسان يشاء، مهما كان ضعف ذلك الإنسان.

مُضْطَهَدين. أما عن الاضطهاد الذي لاقاه بولس، فَحَدِّث ولا حرج. فقد صادف بولس بالذات كل ألوان الاضطهادات الجسدية والمعنوية. وبالرغم من ذلك فإننا نجد الآن مؤمنين مسيحيّين يقيسون مدى إيمان الإنسان ورضا الله عنه، بكم النجاح والثراء، والصِحّة، والكرامة التي يتمتع بها بين الناس!

مَطروحين. لقد طُرِح بولس أرضاً، بل ورُجِم حتى أنه مات (أو ربما كان في غيبوبة) لثلاثة أيام بعد أن رُجِم، ثم عاد للحياة، لأنّه كانت لا تزال هناك بقيّة في خدمته هنا على الأرض. أمّا عندما انتهت خدمته، مات شهيداً حيث قُطع رأسه في روما في عصر اضطهاد نيرون.

---

١٠٨ أعمال الرسل ٩: ١٥

١٠٩ أعمال الرسل ١٩: ١١،١٢

١١٠ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ١٢: ١٣

١١١ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٤: ٧

لكن

يتدخل الله في حياة المؤمنين، لكن بطريقة لا تجعل من الإيمان بالمسيح «صفقة» للحياة الخالية من المتاعب في العالم.

يتعرض المؤمنون لكل ما يتعرض له البشر في هذا العالم،[١١٢] ولا يتدخل الله دائماً بصورة معجزية لينقذهم منه، بل هو نادراً ما يفعل ذلك. ولو كان يفعل ذلك دائماً، لانتفى الإيمان من الأساس.[١١٣] فتخيل أن كُلَّ من يُعلِن إيمانه بالمسيح، يصبح ممن لا يعرفون الاحتياج، ولا تقربه الأمراض أو تصيبه المشكلات، وإذا جاءت فهي تذهب بصلاة قصيرة. عندئذ سوف يقف الناس بالطوابير على أماكن «النهضات الروحية» لكي يملأوا «بطاقات» الإيمان المجّاني بالمسيح، ليصبحوا مُحصَّنين من كل البلايا التي يتعرض لها البشر في العالم.[١١٤] تُرى، كيف سيكون شكل هذا «الإيمان» بالمسيح؟

لكن هذا لا يعني أن الله لا يتدخل في حياة المؤمنين به، لكن نوع تدخلّه يجب أن يكون بطريقة لا تجعل الإيمان بالمسيح يتحول إلى «صفقة» للحياة الخالية من المتاعب في العالم، أو تأمين شامل ضد كل مصاعب الحياة. لقد قال المسيح أن في العالم سوف يكون لنا ضيق، لكنه أوصانا أن نثق أنه قد غَلَب العالم. وهو يُعطينا

---

١١٢ من المثير للدهشة أن يقتبس البعض الآية الموجودة في سفر الخروج ١٥: ٢٦ «إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَتُصْغِي إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضًا مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ لاَ أَضَعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ» معتقدين أنها وعدٌ لكل المؤمنين في كل العصور،أنهم إذا عاشوا في مرضاة الرب، فسوف لا تقترب منهم الأمراض، متجاهلين سياقها وهو «الضربات» التي وضعها الربّ على المصريين ليخرج شعب إسرائيل من مصر بذراع رفيعة وليعرف المصريون قدرة الربّ «يهوة»

١١٣ جيمس دوبسون، *موقف الله من أمور عسرة الفهم*. (القاهرة: لوجوس، ١٩٩٥)

١١٤ رسالة بطرس الرسول الأولى ٤: ١٢

هذه «الغلبة» التي لا تُلغي ما في العالم من آلام،[١١٥]، ولكن الغلبة هي باختصار أنه قد صَنع لنا عالماً جديداً أفضل، سوف ننتقل للحياة فيه بعد فناء هذا العالم، بل و يمكن أن نعيش فيه هنا والآن، فنستطيع «روحياً» أن نتحمل بصبر ورجاء ما يحدث في حياتنا الحاضرة. هذا الإيمان هو «النواة» الداخلية الصلبة وغير المرئية التي تجعل المؤمنين الأتقياء يجتازون في كل نيران الحياة ويتأملون بها دون أن تحرِق أرواحَهم أو تُدَمِّر إيمانَهُم، بل تُمَحِّصهُ وتُنَقِّيه من شوائب الطفولة الروحية والتعلق بالقشور. هذا الإيمان هو الذي يجعل المؤمنين:

- يتعرضون للضغوط من كُل جانب، لكن لا ينسحقون تحت هذه الضغوط، بل يواصلون العمل والجهاد إلى آخر نفس.
- يُضطَهَدُون، لكن في نفس الوقت يشعرون بحضور الربِّ معهم، رُبما أكثر مما كانوا يشعرون قبل تَعَرُّضِهِم للاضطهادات.[١١٦]
- يتحيَّرون، ولا يدرون أي طريق يسلكون، لكنهم في نفس الوقت لا ييأسون من تدخل الله، حتى في «الهزيع الرابع» فيهديهم إلى مدينة سَكَن وسَكِينة.[١١٧]
- يُطرَحون ولا يهلِكون. والهلاك هنا ليس المقصود به الموت وإنما الهلاك الأبدي.

الاكتئاب والاضطهاد والحيرة، حقائق في هذه الحياة لا نُنكِرُها ولا نتوقع أن تختفي، لكننا نستقبِلُها بطريقة أخرى، ونتعامل معها من مُنطَلَق أننا قد أصبحنا نحمِلُ بالإضافة إلى«جِنسِيَّتنا» الأرضية التي تتأثر بكل هذه الأمور وتتألم، «جنسية» أخرى لا تؤثر فيها هذه الأمور. هذه الجنسية (المواطَنة) يشير إليها

---

١١٥ رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢: ١١

١١٦ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٤: ١٧

١١٧ مزمور ١٠٧: ٧

بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي، فيقول: «أما نحن فلنا جِنسِيَّة سماوية، ونحن ننتظر أيضاً أن يأتينا من السماء مُخَلِّص، هو الرب يسوع المسيح. وحين يأتي، سيُغَيِّر أجسادنا المتواضعة لتكون مثل جسده المجيد. وذلك بقوَّته التي يستطيع بها أن يُخضع كل شيء له».[١١٨]

حياة يُظهِرُها الموت

بعد هذه المُقابلات الأربعة، يُجمِلُ الرسول بولس المعنى اللاهوتي وراءها، وهو أننا في كل هذه، نحمل في الجسد «إماتة الرب يسوع المسيح» لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جَسَدِنا. ويُكرّر الفكرة مرة أخرى ولكن بصيغة أخرى فيقول أننا نحن الأحياء نُسَلَّم دائماً إلى الموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت. وهو بهذا يشير إلى أن الضغوط، والحيرة، والاضطهاد، والاستعداد الدائم للاستشهاد، هي بمثابة موتٍ مستمرٍ يعملُ فيه، وفيمن معه من الخدام، وهذا يؤول لبنيان الكنيسة، لأنه حين تظهر حياة وقوة يسوع في هؤلاء الخُدّام بالرغم من ضعفهم، فهذا يُشَجِّع إيمان المؤمنين ويبنيهم لذلك يقول مُعَقِّباً على ذلك: «إذاً الموت يعمل فينا، ولكن الحياة فيكم» هذا التعبير له صدى في رسالة أخرى عندما يقول: «أفرح في آلامي لأجلكم وأُكَمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة».

بشكلٍ عام، فإن مفهوم الموت الذي يؤدي للحياة، مفهوم محوريّ في العهد الجديد، وذلك بسبب «حَدَث يسوع» The Jesus Event الذي قدّم جسده للموت، ثم قام من بين الأموات في حياة أكثر مجداً وكرامة، لذلك فإن الآلام، والاضطهادات، بل والموت عندما يكون «في يسوع» أو«من أجل يسوع»، فإنه يكتسب، نفسَ نوعية ومآل آلام وموت يسوع، أي أنها آلامٌ تؤدي للمجد، وموتٌ يُفضي إلى الحياة.

---

١١٨ رسالة بولس الرسول لأهل فيلبي ٣: ٢٠- ٢١ (الترجمة العربية المبسطة).

لذلك السبب فإن كل المؤمنين بيسوع ينبغي ألّا يتمسكوا بالحياة الأرضية كثيراً، كما كانوا يتمسَّكون بها قبل إيمانهم، وهذا ليس لأنهم مكتئبين ولا يُحِبُّون الحياة، ولكن لأن هذه الحياة بالنسبة لهم قد أصبحت مثل «خيمة» لمن أصبح يعلم أنه يمتلك «بناءً» عظيماً. إننا لم نعد نعتبر الخيمة ثمينة، ليس لأنها في حد ذاتها بلا قيمة، وإنما هي لم تعُد ثمينة بالمقارنة ببناءٍ عظيم. وهذا البناء لا نتمنى الحصول عليه، بل نحن عالمون أننا قد حَصُلنا عليه بالفعل لأننا عالمون أن الذي أقام الرب يسوع سَيُقِيمُنَا نحن أيضاً بيسوع ويُحضِرنا معه.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١ - إيماننا المسيحي مبنيّ على حقيقة تاريخية معلومة وهي أن الله قد أقام يسوع المسيح، وسوف يقيم المؤمنين به إلى مستوى أعلى من الوجود والحياة.

٢ - هذا الإيمان يُغير تماماً طريقة تفكيرنا ونظرتنا للأمور بطريقة تجعلنا نواجه بصدق وأمانة كل ما يُصيبنا في هذه الحياة من ضيقات واضطهادات ومشاعر ومشكلات.

٣ - الإيمان المسيحي نواة داخلية صلبة تجعلنا نتعرض للضغوط ولا ننسحق تحتها.

٤ - هذه الضغوط تُظهر «المَعدَنَ» الداخلي لهذه الخليقة الجديدة مثل كنز ثمين موجود في إناء فخاري ضعيف.

٥ - كما أن موت المسيح بالجسد أظهر عظمته الحقيقية، فكل ضغطٍ، بل وموتٍ يتعرض له المؤمنون، يُظهر حياة يسوع التي فيهم ويبني الكنيسة.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

فيما يلي بعض الاقتراحات لتدريباتٍ عملية تساعدنا أن نواجه بصِدق وأمانة ما نشعر به في هذه الحياة، دون أن ننسحق تحته.

التأمل الكتابي. اقرأ المزمورين ٤٢ و ٤٣ واستخلص منهما أنواع المشاعر التي عَبَّر عنها كاتب المزمورين.

التأمل الكتابي. اقرأ أفسس ٤: ١٥ و ٤: ٢٥ هل الصِدق هو فقط «عَدَمَ الكَذِب» أم أن هناك مستويات أخرى للصِدق؟ (راجع أيضاً مرقس ٣: ٥ و ١٤: ٣٣-٣٤ و لوقا ٢٢: ١٥).

الاعتراف والشَركة. أكمل العبارات التالية في يومياتك الروحية. وفَكّر، من يمكن أن تشاركه بهذه المشاعر.

أرى نفسي .....

أنا خائف من .....

أشعر بالاحتياج .....

أشعر بالغضب من .....

//عبادة. اقض وقتاً من العبادة والتسبيح لله محاولاً أن تتجاوب مع هذه الحقيقة المجيدة، وهي أن المسيح الذي قام من بين الأموات، أقامك معه وأجلسك معه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان. استعن بهذه الفقرة الافتتاحية من رسالة أفسس بعد إعادة صياغتها كمايلي:

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيح

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الذي اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الذيْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ،

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ،

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ من أجل رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ من أجل عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ من أجل عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلّ.

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، والذي مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ

- مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الذي أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

الجزء الثاني

إنسان الملكوت

يؤمن أن الحياة الحقيقية تَمُرُّ من بَوَّابة الموت

الفصل السابع

قدِّموا أجسادكم

تغيير الفِكر موت مُستَمِرّ

إِذًا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟ أَشْكُرُ اللهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا! (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٧: ٢١- ٢٥).

فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. ٢ وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ. (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١-٢).

ربما يكون من الضروري جداً وضع هاتين الفقرتين من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية معاً بهذه الصورة، حتى نفهم ماذا يقصد الرسول عندما يطلب من المؤمنين في الأصحاح الثاني عشر أن يقدموا أجسادهم «ذبيحة حَيَّة». في الأصحاح السابع، أوضح بولس ما هو هذا «الجسد» الذي على المؤمنين أن يُقَدِّموه ذبيحة ويشير إليه بتعبيرات مثل «الناموس الآخر» أو «ناموس الخطية» أو «جسد الموت». إنه بالطبع لا يقصد جسد اللّحم والدم الذي يحمل نفوسنا وأرواحنا، ولا يقصد الرغبات الجَسَدِّية في حد ذاتها، مثل الرغبة في الأكل

والتَلَذُّذ به، أو الرغبة الجنسية وأهميتها. كما لا يقصد احتياجنا المشروع للراحةأو الترفيه، أو ارتداء الملابس أو العطور الجميلة. فماذا يقصد إذاً بالناموس الذي في الجسد؟

في الأصحاح السابع من رسالته لأهل رومية، يتكلم بولس الرسول بالنيابة عن المؤمن الذي قد سَلَّم قلبه للمسيح، وأخضع إرادته لناموس الله مقتنعاً به ومحاولاً أن يطيعه في حياته. هذا الإنسان يعاني، مثلما نُعاني كلنا بدَرَجات متفاوتة، من عدم استجابة جسده للأوامر التي تصدر من إرادته الراغبة في طاعة الله، وذهنه الذي يُصادِق الناموس أنه حسن. بل أكثر من ذلك، كثيراً ما يضغط هذا الجسد برغباته المتضخمة وشهواته المُبالغ فيها، على ذهنه، فيخادعه ويخاتله، ويضغط على إرادته فيحنيها أمام الخطية.

عندما ننال بصيرة من الله، نكتشف وجود «لوبي» لا يزال يعمل لصالح «النظام القديم» وهو متغلغل في كل أركان «الدولة» وله «عُملاء» باقون في العقل في صورة منطِق قديم مُشَوَّه لا يزال متحالفاً مع «قوى أجنبية» (العالم والشيطان)، وله أيضاً عملاء مُتَمركزون في صورة عادات و «برامج تلقائية» في مراكز أدنى من المخ.

الإرادة (القلب) هي المَلِك الشرعي على مملكة الإنسان، والذي لا يُمكِن تنفيذ قانون، إلا بتوقيعه وخاتمه. هذا الملك من المفترض أن يَحكُم من خلال «الدستور» الذي اختارت البلاد أن تتبعه (المنطق والناموس)، وينبغي أن تأتي لهذا الملك أو الرئيس، تقارير دورية من أجهزة المخابرات المختلفة (العقل[1]) لكي تُخبِرَه أولاً بأول بحقائق الأمور.

---

١ لا عَجب أن يُسَمّى جهاز المُخابرات، في الولايات المُتحدة مثلاً، وكالة «الذكاء» المركزية Central Intelligence Agency (CIA)

عندما تكون مملكة الإنسان خاضعة لملكوت الظُلمة، يكون المَلِك (القلب/الإرادة) متمرداً على الله، ولديه «منطق» خاصّ مُختلِف عن «المنطق العام» الذي هو عقل الله (لوجوس)، ويخضع لدستور مُشَوَّه مضاد لناموس الله، وتأتيه تقارير مخابراتية مُضلِّلة قادمة رأساً من مملكة الشيطان.[٢]

أما عندما يسمع ذلك الإنسان رسالة الملكوت ويقتنع بها بعقله وتخضع لها إرادته، فيسكنه روح الله الذي يخلق فيه كل رغبة لطاعة الناموس.[٣] لكنه يندهش أنه كلما أصدر أوامر للجسد لكي يُطيع ناموس الله في أفعاله وأقواله، فإنه يجد الجسد يعصى ولا يُنَفِّذ، وليس ذلك فقط بل ربما يضغط أيضاً على الإرادة فتوافق مُرغَمة على الأفعال القديمة المُعتادة، ويتواطئ العقل أيضاً فيَعرِض نفس التقارير المُخابراتية القديمة (أفكار ومعتقدات) تقول له أن الخطية هي «السعادة» أو هي «المصلحة العُليا للبلاد» أو على الأقل «لن تضر بالمصالح العُليا للبلاد» و رُبّما أيضاً لن تؤثر على علاقة «البلاد» الجديدة بالمسيح!

يظل هذا الإنسان يعيش حياة مزدوجة وصراعاً مؤلماً[٤] وعندما يعطيه الله تَبَصُّراً بحالته، كما نقرأ في الأصحاح السابع من رسالة رومية، فعندئذ يكتشف وجود «لوبي» لا يزال يعمل لصالح «النظام القديم» متغلغلاً في كل أركان «الدولة» وله «عُملاء» باقون في العقل في صورة منطِق قديم مُشَوَّه لا يزال متحالفاً مع «قوى أجنبية» (العالم والشيطان)، وله أيضاً عملاء مُتَمركزون في صورة عادات و«برامج تلقائية» في مراكز أدنى من المخ[٥] مربوطة بالجسد تُحَرِّكه بشكل سريع

٢ إنجيل يوحنا ٨: ٤٤

٣ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٧: ١٥، ١٦، ١٨ب ، غلاطية ٥: ١٧

٤ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٧: ٢٤

٥ هناك في المُخ مستويات من التحكم الإرادي. بعض الأنشطة مثل التفكير التحليلي المقصود Intentional Thinking تخضع تماماً لإرادة الإنسان، ثم بعد في مستوى أدنى، توجد الانطباعات المباشرة التي تقفز إلى وعينا تلقائياً Automatic Thinking وهي غير مقصودة لكن واعية. ثم هناك مستوى ثالث وهو التفكير اللاواعي تماماً، وهولا يحدث إلا أثناء الأحلام. نلاحظ أنه كلما كان

وتلقائي حتى يبدو أن الجسد يتحرك من تلقاء نفسه. هذا ما وَصَفه بولس الرسول في هذه العبارة البليغة: «حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي» (رومية ٧: ٢١) وكأن الأمر يصدر من الإرادة للجسد، لكن الجسد يبدو أنه يستجيب لبرنامج آخر يعمل تلقائياً خارج سيطرة الإرادة.

هذا «الطابور الخامس»[٦] يتعاظم تأثيره كلما ابتعدنا عن «الإدارة المركزية»، أي في الجَسد، الذي هو أبعد ما يكون عن الروح وأقرب ما يكون للعالم الخارجي ويتأثر به من خلال الأحاسيس الجسدية والنفسية المختلفة. هذا الكيان هو المقصود عندما يقول بولس «الجسد» أو«ناموس الجسد» «الناموس الآخر الكائن في أعضائي».

اسمح لي عزيزي القارئ أن أشارك معك هذه القصة الشخصية، لا لشيء

مستوى التفكير أكثر خضوعاً للإرادة كلما كان أقرب للمنطق، لذلك فإن التفكير أثناء الأحلام، كما نلاحظ هو الأبعد عن المنطق. ففي الأحلام نحن نطير، وننتقل من مكان إلى مكان، ويجتمع الأحياء مع الأموات معاً، وتحدث أحداث بلا تسلسل منطقي. المستوى الأدنى تماماً، هو ما يُسمى«الجهاز العصبي اللاإرادي» Autonomic Nervous System وهو الذي يتحكم في حركة الأمعاء وإفراز العصارات وغيرها، هذا الجهاز العصبي ليس لنا أي سلطان عليه، بل هي برامج تعمل تلقائياً.

يستخدم الكتاب المقدس تعبير «الروح» أو «روحي» ليصف كل ما هو «مستوى أعلى»، أي قريب من الإرادة الإنسانية (صورة الله فينا) وقادر على استقبال المنطق (عقل الله «اللوجوس») والخضوع لناموس الله. ويستخدم تعبير «الجسد» أو «جسدي» ليصف كل ما هو «مستوى أدنى» أي بعيد عن الإرادة الإنسانية وقريب من العالم، وهو بذلك «نقطة الضعف» لدينا، التي من الممكن أن يؤثر عليها العالم والشيطان.

لذلك فعندما يقول العهد الجديد «الجسد» لا يقصد بالضرورة اللحم والدم، لكن من الممكن أن يعني «المستويات الأدنى من الوجود» وهي الأكثر تعرضاً لتأثير العالم والشيطان. وعندما يقول الروح أو القلب، فلا يقصد بالضرورة الإرادة، بل في مرات يقصد الفكر، أو المشاعر، لكنه على وجه العموم يقصد «مستويات الوجود الأعلى من الجسد» وهي بالطبيعة أقرب إلى الله والعالم الروحي.

٦ يشير إلى تنظيم خائن واشتهر هذا التعبير للإشارة إلى خيانة بعض الأفراد وعمالتهم لدولة أجنبية أثناء الحرب

إلا لتوضيح كيف يكون ذلك الناموس الذي في الجسد، وكيف يمكن التعامل معه عملياً.

منذ عدة أيام كنت جالساً في إحدى المقاهي أقرأ في كتاب فرانك لوباخ رسائل ناسك معاصر.[٧] كتب لوباخ في إحدى رسائله لوالده وبالتحديد في الرسالة المؤرخة في السابع من أكتوبر سنة ١٩٣٠ مايلي: « انظر، أنا أشعر في أعماقي بمدى الفساد الذي نحن فيه كبَشَر، لا أستطيع أن أفهم كيف يحتملنا الله. لكن الله مثل يسوع، وسوف لن ييأس حتى يجعلنا نحن أيضاً مثله». أعجبتني الجُملة الثانية المليئة بالأمل والرجاء، لكنني لم أتعاطف كثيراً مع الجُملة الأولى التي تصف حالَنا بهذه الطريقة المأساوية.

ثم حدثت بعد ذلك بعض الأحداث في يومي، استخدمها الله لكي يوضِّح لي كيف أن الجملتين مرتبطتان ببعضهما تماماً، فلا يُمكِن أن نتعاون مع الله في الثانية إلا عندما نُدرِك حقيقة الأولى.

تركت المقهى وذهبت لأشتري شيئاً، وبينما كنت أنتظر البائع ليُعِدَّه لي، جائتني مكالمة تليفونية فرُحت أتحدث في التليفون، ولأن الشمس كانت ساخنة دخلت لأحتمي منها في مدخل إحدى البنايات. بعد دقائق جائني أحد رجال الأمن في هذا المبني وتكلم معي بطريقة لم تعجبني، ففوجئت، بشخصية أخرى تخرج مني، مختلفة تماماً عن تلك التي كانت تقرأ في كتاب لوباخ منذ دقائق ولا رغبة لها سوى التشبُّه بالمسيح. هذه الشخصية «الثانية» متكبرة متصلفة، تتكلم بتعالٍ وغضب.

أخذت ما كنت قد اشترتيته من البائع وتوجَّهت إلى عيادتي وأنا أشعر بصدمة وذنب شديدين من ذلك الذي خرج مِنِّي. الحقيقة أنني تقدَّمت

7 Frank C. Lubach, *Letters by a Modern Msytic* (Colorado Springs: Purposeful design, 2007)

في تشكيلي الروحي للدرجة التي تجعلني أشعر بهذه الصدمة وذلك الذنب. في الماضي البعيد لم أكن أشعر بصدمة مُطلقاً، وفي الماضي الأقرب كان ذلك«الجسد» ينجح في أن يُبَرِّر لي ما فعلت. أشكر الله أنه الآن قد ضَعُفَ بسبب التدريب، فأصبح لا يُجادل كثيراً، بل أصبح يضع «ذيله» بين ساقيه ككلبٍ ارتكب خطأً. بالطبع عندما أتوقف عن التدريب الروحي، يعود وينشط.

عُدت إلى عيادتي وأنا أُصَلّي تائباً وواعداً الربّ ألا يتكرر هذا مرة أخرى. وانغمست في عملي محاولاً أن أتناسى ما حدث. وبين الجلسات فتحت كتاب ديتريش بونهوفر تكلفة التلمذة[8] وقرأت في المقدمة التي كانت تتكلم عن حياة بونهوفر، فرأيت نموذجاً مناقضاً تماماً لما أنا عليه من الكبرياء والغضب، فقد كان بونهوفر مثالاً للهدوء والروحانية حتى وهو مُعتَقلٌ في أحد معسكرات العمل في ألمانيا النازية، لدرجة أن الحُرّاس كانوا يحبّونه ويعتذرون له أنهم سوف يضطرون لغلق الزنزانة عليه في المساء. تذكّرت ما فعلته لتوي مع «حارس» البناية، مع الفارق الشاسع بين نوعي الحُرَّاس.

رُحت أُفَكِّر محاولاً أن أُقَدِّم لنفسي تبريرات عن الحالة التي أنا فيها بالمقارنة ببونهوفر، مستخدماً ما لدي من «علم» بالشخصيات ورُحت أُفَكِّر في«الجانب الوراثي» من الشخصية وتساءلت: ألا تكون هذه فروقاً وراثية في الشخصية» تجعل من الممكن أن يصل البعض إلى هذا المستوى الروحي وغيرهم لا يصلون أبداً مهما حاولوا. فوجدت صوتاً بداخلي يردّ عليّ ليقول: ربما، لكن أنت تعلم أن السلوكيات والتدريبات تؤَثِّر أيضاً في هذه العوامل الوراثية، وأن هذه العوامل الوراثية ليست قَدَراً محتوماً وأن السلوكيات تجعل التطبيق الوراثي

8 Dietrich Bonheoffer, *The Cost of Discipleship* (N. Y.: Touchstone, 1959, 1995)

Gene expression إما أن يتأكد على مدار الأجيال، وإما أن يضعُف. هُنا تَذكَّرت أن ذلك الناموس الذي في جسدي، والذي سَمَح لي بما فعلت، ينبغي أن يُمات، ولا يكفي لإماتته فقط أن أصلي وأعد الربّ بالتصرُّف المختلف في المرة القادمة. يجب أن أفعل شيئاً والآن. يجب أن أنزل من عيادتني الآن وأذهب إلى حارس الأمن هذا. بالطبع دار حوارٌ داخلي بين «ناموس الجسد» و«ناموس الروح»:

- سوف تُضَيِّع وقتاً لا داعي له، الرجل نَسيَك ونسى ما حدث، ما الفائدة؟

- لا يوجد أثمن اليوم مما سوف أفعله الآن. أي قيمة لما أكتبه أو أفعله، وأيَّ قيمة لأي عمل أو علاج للمرضى، إن كُنتُ أقول وأكتب ما لا أُجاهِد حتى أعيشه

- لقد ندِمت وتُبت ووعدتَ الربّ أنك سوف لن تفعل هذا مرة أخرى. يكفي ذلك، لا تكُن متطرِفاً

- لا يكفي هذا، يجب أن أفعل شيئاً يُسدِّد «لكمة قوية» لكرامتي المنتفخة. وأيضاً الرجل، ربما نسيَ، لكنني قد جرحته بالفعل ويجب أن أُعَلِّم نفسي درساً عن قيمة البشر. يجب أن أذهب وأعتذر له الآن

- سوف يكون منظرُك مضحكاً جداً

- لا بأس، سوف أستخدم ذلك الشعور بالخزي في صالح نموّي وتغييري

ونزلت. ووفقني الله في أن أجد مكاناً لصفّ السيارة في ذلك الشارع المزدحم في القاهرة، وتحت شمس إحدى ظهيرات منتصف يونيو، رُحت أحاول أن أتذكر أين كانت البناية. ذهبت ولم أجد الحارس ووجدت حارساً آخر.

- الحمد لله. لقد أتيتَ ونويتَ، ولم تَجِده، انصرف الآن. الأعمال بالنيّات

- أنا لم آت لكي أثبت شيئاً لأحد. أنا جئت لهدف وينبغي أن أُنَفِّذه ترى لو كانت لك أنت مصلحة في هذا المكان، تأشيرة من سفارة، أو ورقة من مصلحة حكومية، تُرى هل كنت ستقول «الأعمال بالنيات» أم كُنت ستصارع حتى تحصل على ما تُريد. أنا لست أقلّ إصراراً على مصالحي منك، وسوف لن أستسلم

- أنت حُرّ. الرجل قد سلَّمَ ورديّته وغادر. دعني أقول لك شيئاً، انصرف الآن وتعال غداً في الصباح، فربما يكون موجوداً في الصباح، على الأقل سيكون الجوّ أفضل

- أخشى أن أنسى أو يفتُر حماسي. يارب أرسل لي هذا الرجل الآن من فضلك!

أخذت أتجول في المكان قليلاً، لعلي أجده في مكان آخر، ثم عُدت إلى المكان ووجدته. عندئذ فرح كيانٌ بداخلي وحزِن كيانٌ آخر. تحرَّكت نحو الرجل. بعد ثوانٍ تَذَكَّرني وعندما تحركت نحوه بإصرار، لمحت نظرات الخوف في عينيه فقد ظن أنني أتيت للهجوم عليه. وعندما احتضنته وقبَّلت رأسه مطالباً إياه أن يُسامِحني، ظلّ الرجُل يعتذر مُرَدِّداً أنه لا داع لذلك. بعد أن تركته نظرت للخلف وقلت له. أنني لم أمرّ بالمصادفة، بل جئت إليه خصيصاً.

وأنا عائد لعيادتي، لم أشعر بالفرح ولا بالحزن، وإنما شعرت بالإجهاد النفسي، وبأنني فعلت ما ينبغي فعله.

ويُعَبِّر بونهوفر عن هذا الصراع في إحدى قصائده بعنوان *من أنا؟*

من أنا؟ كثيرون لي يقولون
كيف أتكلم لحُرَّاسي بحب وحُرِّية
كما لو لم أكن سجين
كيف أحمل أيامي، بروحٍ قوية
وابتسامة المُنتَصِرين
هل أنا بالفعل ما يقولون؟
أم أنني ما أعرف نفسي أن أكون؟
صديقُ الملل والقلق، كعصفورٍ مأسور
يصارِع من أجل الهواء كمن يُخنَقون
مشتاق للألوان، للزهور،
توّاقٌ للشجر، لأصوات الطيور

عطشانٌ لكلمات طيبة وائتناس
أتَقَلَّبُ مُنتظراً لأحداثٍ عظام
أرنو من بعيد لأصوات الناس
مُتعبٌ، فارِغٌ عند الصلاة،
شارد الذهنِ مهمومٌ

من أنا؟ هل هذا أم الثاني؟
هل أنا اليوم شيءٌ وغداً شيءٌ آخر؟
أم أنا الاثنان معاً؟ منافقٌ أمام الناس،
وأمام نفسي، ذلك الوضيع، حامل الأحزانِ
أم أن هناك شيئاً مازال بداخلي مثل جيشٍ مهزومٍ
يهرب في اضطراب من نصرٍ قد تحقق؟

من أنا؟ هذه الأسئلة تحاصرني وتُعَيِّرني
مهما كنت، فأنت تعرف يا إلهي أنني ملكٌ لك.

قوة الجَسَد

تكمن قوة الجسد الذي يشير إليه بونهوفر في قصيدته بذلك «الجيش المهزوم»، في المعتقدات المغروسة والعادات المُتأصِّلة فيه. والمعتقدات والعادات مرتبطتان ببعضهما ويُقَوِّيان بعضهما الآخر. تفترض أغلب نظريات علم النفس المعرفي أن كل إنسان لديه معتقدات محورية Core Beliefs تُشَكِّل بالنسبة له تصوراً داخلياً للطريقة التي يعمل بها العالم والناس من حوله، هذا التصور أو النموذج الداخلي، هو البرنامج الذي به يفهم ويحكم على العالم والناس وعلى نفسه، ومن خلاله يفسر الأحداث ويتوقع ردود الأفعال .هذه «المعتقدات» سُمِّيتَ هكذا لأنها أصبحت «معقودة» ومن الصعب فكّها وفحصها. إنها مثل المسطرة التي نقيس بها ولا نقيسها هي نفسها، مفترضين أن طولها صحيح وثابت. لقد تكوَّنَت معتقداتنا في سن مبكرة، وهي سن ما قبل القدرة على الفحص والنقد والتعامل بالمنطق، فمن الممكن أن تكون هذه المعتقدات غير منطقية إلا أنها قد عُقدت بالفعل وصرنا نُعامِلها وكأنها الحقُ الذي لا يُناقَش. لقد كُوِّنت معتقداتنا في عالم ساقط بعيد عن الله، وبالتالي فهي معتقدات بعيدة عن الحق والمنطق، وليس ذلك فقط بل قد أنتَجَت هذه المعتقدات عاداتٍ تعوَّدنا عليها منذ نعومة أظفارنا، بل وكبرنا لنرى آباءنا وأمهاتنا، والمجتمع والعالم من حولنا يعملها بكل انتظام ومواظبة، فتصورنا أنها هي الطبيعي والحقيقي والمعتاد.

- رُبّما وراء الغضب والثورة، مُعتَقَد متكبِّر يقول مثلاً أنني «أفضل» أو «من حقي وليس من حقه» وغير ذلك من المعتقدات التي غالباً ما لا تزال موجودة بداخلي ولا أدري، وهي التي دفعتني أن أتكلم مع الحارس بهذه الطريقة.

- رُبما يكون وراء النهم الجنسي الشائع في هذا العالم أن الجنس هو «الصديق الوفي» أو ربما الوحيد[٩] أو أنه «مُجَرَّد ترفيه لن يضر أحداً».

- رُبما وراء الإفراط في الطعام الأكثر شيوعاً، فكرة أن الطعام هو «اللذة الوحيدة المُتَبقية لي» أو«الحل السحري لنسيان المُشكلات» أو «المَهرَب من الوِحدة».

- رُبما التكالب الشديد على المال، منبعه معتقدٌ راسخ، أن «المال هو الذي يعطي الإنسان قيمة بين الناس» أو أنه «مصدر الأمان» أو «المقياس الحقيقي للنجاح في الحياة».

- رُبما التنافس الشديد بين الناس في كل شيء مَنبَعُهُ فكرة محورية لا تُناقش، وهي أن «من لا أهزمه سوف يهزمني» أو معتقدٌ يؤمنُ بأن «المنافسة الشريفة هي وقود النجاح» أو أن «الفُرَص قليلة» إلى آخر قائمة المعتقدات.

عندما لا نستجيب لما قد اعتدنا على الاستجابة له، فإننا نشعر أننا نموت، لكننا في واقع الأمر «نَحيا».

تكمن قوة هذه المعتقدات في أمرين، الأول هو أنها، كما أشرنا، «معتقدات» أي معقودة، فلا تخضع للنقاش، الثاني هو أنها موجودة على مستوى «تحت واعي» subconscious فنحن لا نعترف، بل ولا نُدرك وجودها من الأساس، لكن «شَكلَنا» الخارجي؛ أي كلامنا وتصرفاتنا والطُرق التي ندير بها علاقاتنا، يكشف إيماننا العميق بهذه المعتقدات، لذلك لا يُمكن أن يتغير شكلنا بدون تجديد ذهننا وتغيير مثل هذه المعتقدات التي ينبغي أن تُقَدَّم للموت كذبيحةٍ حية، لأنها تتعارض مع حياتنا الجديدة ومع نُموّ «الإنسان الجديد» المخلوق بحسب الله وبحسب منطق الملكوت.

٩ أوسم وصفي، *قوة الغضب* (عمان: أوفير، ٢٠١٠) ص. ١٠١

ذبيحة حَيّة

هناك مستويان يشير إليهما هذا التعبير: المستوى المباشر هو استعداد المؤمنين للموت في سبيل إيمانهم وذلك من خلال أنهم لم يعودوا مُتَعَلِّقين بهذه الحياة الأرضية أكثر من اللازم[١٠] بل هم يُقَدِّمونها يومياً كذبيحة حيّة مُستَعِدَّة في أي وقت أن تتحول إلى «ذبيحة ميتة». أما المستوى الأعمق، فيشير إلى أن النموّ الروحي سوف لن يتواصل في حياة المؤمن إلاّ إذا كان يعيش حياة يومية من عدم الاستجابة «لنظام التشغيل» القديم المبني على الحياة الأنانية المنحصرة في الذات والمستسلمة للشهوات والتي كانت تحكم حياة الإنسان قبل الإيمان، والتي تحكم حياة العالم من حوله.

عندما لا نستجيب لما قد اعتدنا على الاستجابة له، فإننا نشعر أننا نموت، لكننا في واقع الأمر «نحيا»، أما ما يموت تدريجياً، فهو الجسد، أي الذات المزيفة التي غَلَّفت كياننا منذ ولادتنا وغلّفت كيان البشر وتوالدوا داخلها جيلاً بعد جيل، حتى أصبحوا يولَدون بها.

عندما تكون أفكار وعادات السيطرة ملتصقة بالجسد يكون التخلص منها عملية شديدة الإيلام تُشبِهُ إماتة الجسد. فقطع اليد أو قلع العين ليس سوى التخلي عن المعتقدات التي شكلت طريقة تفكيرنا وطريقة قيادتنا لأيادينا وعيوننا. على سبيل المثال، «العين» الحقيقيّة التي على الرجال أن يقتلعوها هي فكرة أن أجساد النساء جُعِلَت للنظر إليها والتمتع بها، تلك الفكرة التي تجعل الرقبة تتحرك بطريقة شبه تلقائية وكأنها تُحرِّك نفسها بنفسها بمعزل عن المخ، فتتابع امرأة جميلة قد عَبَرت الشارع لتوِّها. و«اليد» الحقيقية التي علينا أن نقطعها هي فكرة أن ما لدى الآخرين من حَقِّنا إذا كُنّا راغبين فيه، وإن كان زائداً عن حاجة الآخرين، أو إن لم يكن أحدٌ يَرانَا. تلك الأفكار هي التي تجعلنا نمد أيدينا بلا

---

١٠ رؤيا يوحنا ١٢: ١١

أدنى تفكير لنتلاعب في الحسابات، أو نُحرِّك لساننا ليكذب، دون أدنى وعي أو حساب.

برأفة الله.

الذي يزيد من صعوبة التخلي عن هذه المعتقدات ويجعله يشبه الموت هو أن بعض هذه المعتقدات قد تَكَوَّن في ظروف جعلت هذه المعتقدات هي الطريقة الوحيدة وقتها للحصول على الأمان. على سبيل المثال، عندما تَكَوَّنَ داخلنا معتقد يقول: «لا تَثِق بأحد» كان ذلك غالباً بسبب حَدَث أو أَحداث مؤلمة شرخت جدار الثقة ربما بأقرب الناس إلينا، فجاء هذا المعتقد وما تبعه من سلوكيات تَجَنُّب للآخرين، لكي يحمونا من الوثوق بأحد والتَعَرُّض مرة أخرى للغدر والخيانة. لذلك فإننا نعتبر التخلي عن مثل هذا المعتقد، بمثابة التعرض مرّة أخرى للغدر والخيانة أو التخلي عن حماية النفس. لهذا السبب فإننا لن نستطيع أن نتخلى عن أفكارنا القديمة ونقوم بتجديد أذهاننا إلا إذا وثقنا بمحبة وعناية الله. لذلك السبب يبدأ بولس الرسول بتذكيرنا برأفة الله ويطلب منا أن نقدم أجسادنا ذبيحة حَيّة، بناءً على حقيقة هذه الرأفة.

كيف عَمَلِيّاً، تُقَدّم الجسد ذبيحة حية؟

التعبير يبدو متناقضاً فكيف تكون الذبيحة حَيَّة؟ وما الذي سوف تفعله ذبيحة توضع على المذبح وهي حية؟ بالطبع سوف تنزل من على المذبح، فنُحضِرُها مرة أخرى وربما «نُوثِقُها برُبُطٍ إلى قرون المذبح»[١١] فتقطع عن نفسها الرُبُط فنعود نربطها برُبُطٍ أقوى وهكذا تكون مسيرة النمو الروحي.

- نُقَدِّم أجسادنا ذبيحةً حيّة، عندما نعتذر عمّا ارتكبناه، حتى ولو لم يُطالِبنا أحدٌ بالاعتذار.

١١ مزمور ١١٨: ٢٧

- نقدم أجسادنا ذبيحةً حيَّة عندما نقطع علاقة عاطفية تُشبِعُ فينا بعض الاحتياجات لكنها تضرنا من نواحٍ أخرى.
- نقدم أجسادنا ذبيحةً حَيّة عندما نتوقف عن جمع المال، ونُعطي من أموالنا للمحتاجين.
- نُقَدِّم أجسادنا ذبيحةً حيّة عندما نمارس العِفّة ونمنع عيوننا من النظر لأجساد الآخرين.
- نقدم أجسادنا ذبيحة حية عندما نمارس البساطة ونمتنع عن شراء ملابس أو أجهزة نرغب فيها ولا نحتاج إليها.
- نُقَدِّم أجسادنا ذبيحة حية عندما نصمُت ولا نبدو كمن يعرف كل شيء، بينما يحاول كل من حولنا أن يبدو بمظهر العارف بكل الأمور.
- نُقَدِّم أجسادنا ذبيحة حَيّة عندما نقدم الآخرين على أنفسنا ونقبل مكانة أقل مما نظن أننا نستحق.

ولأن المعتقدات القديمة والعادات المغروسة لا تموت بسهولة، فلا ينبغي أن نيأس من المحاولة والتكرار، فما قد غُرس في البشرية منذ فجر وجودها، لن يُمكِن التَخَلُّص منه بسهولة، خاصة أننا لانزال نحيا في عالم يعتبر هذه المعتقدات هي المُعتاد بل والطبيعي.

إننا عندما نثابر ونستمر في تقديم الجسد ذبيحة حَيّة كل يوم، سوف نجد أنه يضعف تدريجياً ويضمحل، بينما تنمو ذاتنا الحقيقية المخلوقة على صورة الله (آدم الأول قبل السقوط)، وليس ذلك فقط، بل يظهر «الإنسان الجديد» ــ إنسان الملكوت ــ المخلوق بحسب الله في البرّ وقداسة الحق.[١٢]

---

١٢ رسالة بولس الرسول لأهل أفسس ٤: ٢٤ ١كورنثوس ١٥

العبادة العقلية

هناك لذة وسعادة في النمو الروحي، لكنها تحتاج إلى مثابرة ومواظبة لكي نحصل عليها.

العبادة في العهد القديم وفي ذهن بولس الذي يكتب هذه الكلمات، هي تقديم ذبيحة. لذلك فعندما يتكلم كاتب العبرانيين عن التسبيح في العبادة، فإنه يصفه بأنه «ذبيحة التسبيح»[١٣] وذلك عندما نقدم للرب ثمر شفاة معترفة باسمه، أما عندما نقدم للربّ ذبيحة أفكارنا العتيقة والقديم «نظام تشغيل» عقلنا القديم، فنحن نعبد الله عبادة «عقلية». هذه العبادة يُمكِن أن توصف أيضاً أنها عبادة «روحيّة»، وفي واقع الأمر العبادة دائماً ينبغي أن تكون روحية،[١٤] أي تُقَدّم بشكل إرادي، لهدف تمجيد الله، وليس الاستمتاع. عندما يحدث استمتاع أثناء العبادة، وغالباً ما يحدث، فليس هو الهدف الأساسي. الهدف الأساسي هو أن نُمَجِّد الله في أرواحنا وأجسادنا، وذلك بأن ننموا ونتغير إلى صورة المسيح.

وليس النمو أيضاً بدون لَذَّة، بل هناك لذة وسعادة فائقة في النمو الروحي، لكن هذه اللذة وتلك السعادة تحتاج إلى مثابرة ومواظبة لكي نحصل عليها. إنها مثل السعادة التي يختبرها الرياضيّ عندما يمارس رياضته المُفَضّلة. عندما يكون الرياضيّ مُبتَدِءاً في هذه الرياضة، فإنّه يحصل على قدر ضئيل من السعادة وقدر أكبر من ألم العضلات والإحساس بالإحباط، وذلك عندما يفشل في الأداء بالصورة المطلوبة. لكن مع الوقت والتمرين، فإنّه يستمتع بممارسة الرياضة ويستمتع أكثر بتحقيق الأرقام والفوز بالبطولات.

---

١٣ الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ١٥

١٤. إنجيل يوحنا ٤: ٢٣

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هاتان الفقرتان الكتابيتان في النقاط الخمس التالية:

١- هناك «نظام تشغيل» قديم لا يزال عاملاً في جسد الإنسان المؤمن. هذا النظام مُكَوَّن من معتقدات وعادات سلوك قديمة تعمل بشكل تلقائي وتقود الجسد إلى عكس إرادة الروح.

٢- هذا النظام متحالف مع قوى خارجية، هي العالم والشيطان، ويحارب خطة الله لنا وهي أن ننمو ويتصوَّر المسيح فينا.

٣- هذا النظام هو الذي يسميه الرسول بولس «الناموس الكائن في أعضائي» وليس الجسد هو اللحم والدم الذي ينبغي ألّا يبغضه الإنسان بل أن يقوته ويربيه.

٤- هذا الجسد ينبغي تقديمه ذبيحة حية يومياً من خلال عدم الاستجابة له بل وتسديد اللّكمات القانونية له.

٥- هذه هي العبادة العقلية المُرضِيَة لله، فليست العبادة مجرد ترانيم وطقوس وأنشطة وأحداث. فإن لم تؤد كل هذه الأنشطة والممارسات إلى مزيد من النموّ إلى شبه المسيح، فلا قيمة لها، بل ربما تتحول إلى «إدمان ديني».

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

ضع علامة على المعتقدات التي تَشُكّ، من خلال مراقبتك لعادات تفكيرك وسلوكك، أنها ربما تكون موجودة لديك:

بعض المعتقدات المحورية المثيرة للاكتئاب والنظرة السلبية للنفس:

- إذا لم أكن ناجحاً تماماً فأنا فاشل تماما
- إذا غضب أحد مني فلا يمكن أن تعود علاقتنا كما كانت «اللي اتكسر مش ممكن يتصلح»
- إذا انتقدني أحدهم فأنا إذاً فاشل ولا أستحق الحياة. خصوصاً إن كان هذا الشخص يشكل أهمية خاصة
- الناجح لا يفشل والفاشل لا ينجح
- يجب أن أكون أكثر نجاحاً من الجميع وإلا فأنا فاشل

بعض المعتقدات المحورية التي تؤدي للقلق والمخاوف:

- إذا تعرض أحدهم للخطر، فلن ينجو
- الأعراض البسيطة تخفي وراءها أمراضاً خطيرة
- من تأخر بلا سبب واضح، من المؤكد أنه تعرض للخطر
- الخوف يحمي من الخطر
- قلقي وخوفي على من أحب هو الدليل الوحيد على حبي له

بعض المعتقدات المحورية التي تؤدي للشك:

- التصديق نوع من السذاجة
- لا أحد يعني ما يقول
- كل الناس يكذبون
- لا أحد يريد إلا مصلحته
- لا أحد يفرح لنجاح شخص آخر
- من ينتقدني ويشير إلى أخطائي يكرهني

بعض المعتقدات المحورية التي تؤدي للاعتمادية:

- لا قيمة لي. الآخرون أهم مني
- قيمتي هي في أن أجعل الجميع سعداء
- الأخذ أنانية، العطاء هو فقط المسموح به
- لا يمكن أن أرفض طلب أي إنسان مهما كان
- لا يمكن أن أصنع حدوداً وأظل محتفظة بالعلاقات
- لا ينبغي أن أعبر لأحد عن أي مشاعر سلبية وإلا سوف يتركني
- يجب أن يكون كل من حولي سعداء لكي أكون سعيدا
- ينبغي أن أكون متاحاً دائماً لأصدقائي

خلال الأسبوع القادم راقب سلوكياتك وسجّل في يومياتك الروحية كيف تتحكم هذه المعتقدات في سلوكك، وكيف كان يمكن أن تُفَكِّر بطريقة أخرى في كل موقف، وجرّب ذلك في المرات القادمة ودوّن ملاحظاتك ومشاعرك.

الفصل الثامن

تميتون أعمال الجسد

تغيير السلوك موت

لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ. (رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٨: ١٣).

هذه العبارة من الأصحاح الثامن من رسالة رومية هي واحدة من عدة مرات يستخدم فيها بولس الرسول هذه المقابلة بين الروح والجسد، والحياة في الروح والحياة في الجسد. لعل أقرب الأمثلة لذلك، ما يقوله أيضاً في رسالة غلاطية في الأصحاح الخامس: «وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ»[١٥] وأيضاً «مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً»[١٦] من هو «الفاعل»؟ وما هو «المفعول به»؟

«إن كُنتم بالروح تميتون أعمال الجسد، فستحيون». عندما أتلو هذه العبارة الكِتابية ثم أسأل الحاضرين عن الفاعل في الجملة، فكثيراً ما تكون الإجابة: «الروح القدس». فأقول: «لنَعرِبها» لكي نعرف الفاعل. بحسب قواعد اللغة العربية، الفاعل في هذه الجملة هو ضمير مُستَتِر تقديره «أنتُم». نعم، نحن الذين نميت أعمال الجسد، لكن القوة اللازمة والفاعل الداخلي الذي يعمل فينا لكي نميت أعمال الجسد هو الروح القدس.

---

١٥ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٥: ١٦

١٦ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٦: ٨

وما هو «المفعول به»؟ أي، ما هي أعمال الجسد التي ينبغي إماتَتُها؟ يقدم الرسول بولس في رسالة غلاطية، وهي رسالة لها ارتباط وثيق برسالة رومية، قائمة بأعمال الجسد، وهي قائمة ليست جامعة مانعة وإنما تقدم أمثلة تقليدية لأعمال الجسد.[١٧]

يبدأ القائمة بذكر أربعة أشكال للخطايا الجنسية تُغطي كل أنواع الممارسات الجنسية سواء بالفِعل أو بالخيال، خارج نطاق العلاقة الزوجية الحَصرية، وفي واقع الأمر، تحتل الخطايا الجنسية موقعاً مُهِمّاً في تعريفات العهد الجديد للخطية وللسلوك بحسب الجسد. لعل السبب هو أن البيئة التي نشأت فيها الكنيسة، وهي بيئة الثقافة اليونانية الرومانية، كانت بيئة تتميز بالانحلال الجنسي الشديد.[١٨] ومنذ بداية سبعينيات القرن العشرين، بدأ العالم، وبالذات العالم الغربي، يتحرك بخطى سريعة نحو العودة مرة أخرى لهذه الحالة بعد أن كان قد خرج منها بفضل الأخلاق المسيحية، ولعل الدخول في عصر الإنترنت يُزيد من سرعة عودة العالم إلى عصور «قبل مسيحية» فيما يتعلق بالوَلَع الشديد بالجنس.

يبدأ بولس الرسول قائمة أعمال الجسد بذكر الزنى. والمقصود بالزنى هو الخيانة الزوجية، أي ممارسة الجنس خارج الزواج للشخص المتزوج. ثم العهارة وهي الانحلال الجنسي الذي يمارسه غير المتزوجين. أما النجاسة فالمقصود بها الإغراق في أفكار الشهوة والخيالات الجنسية بالإضافة إلى مشاهدة الأفلام والمجلات ومواقع الإنترنت الجنسية، وأخيراً الدعارة التي هي ممارسة الجنس بمقابل مادي.

الصورة الثانية لأعمال الجسد، والتي كانت أيضاً مرتبطة بالخطايا الجنسية، هي عبادة الأوثان، وهي بالطبعة كانت منتشرة في العالم اليوناني الروماني في ذلك الوقت، ولاتزال في العصر الحديث، وإن تَبَدَّلت أشكال وأنواع الأوثان «الجديدة». عبادة الأوثان هي الارتباط المفرط وتكريس الحياة لأشياء مادية كالمال أو الشهرة أو

١٧ غلاطية ٥: ١٩

18 Alvin J. Schmidt, *How Christianity Changed the World* (Grand Rapids: Zondervan, 2001) Chapter 3

النجاح في العمل... إلخ. ثم يأتي السِحر. وهذا أيضاً يُطلّ برأسه مرة أخرى في عالم ما بعد الحداثة، الذي يعود فيه الاهتمام بالروحانِيّات والتورط في الأعمال الخاصة بالعالم الروحي الشرير، بدءاً من قراءة الفنجان لمعرفة الطالع وانتهاء بعبادة الشيطان، مروراً بالطبع بتحضير الأرواح وقراءة الكف والأبراج والأعمال وفتح الكوتشينة والتعاويذ أو الديانات الشرقية وغيرها.

تُعتَبَر ثلاثية الزنا وعبادة الأوثان والسحر، «رأس حربة» التَمَرُّد على الله وعلى قوانينه الأخلاقية، والصورة الرئيسية لعبادة الإنسان لنفسه من دون الله. بعدها، وكنتيجة طبيعية، تأتي مجموعة الخطايا المرتبطة بالعلاقات بين البشر. فهناك العداوة. وهي الكراهية الشديدة لشخص أو شيء. تنشأ العداوة من النزاع والتنافس، فعندما يؤله الإنسان نفسه، من الطبيعي أن يعيش في نزاع وتنافُس مع غيره من «الآلهة». وبالتالي يكون الخِصام أي قطع العلاقات والانفصال والابتعاد عن الناس، والغيرة، التي هي الرغبة في الحصول على ما عند الآخرين. وعندما ترتبط الغيرة بالخوف وعدم الثقة في ولاء الآخرين، تأتي الأشكال المختلفة للسيطرة في العلاقات. وما يزيد من شك الإنسان في خيانة الآخرين، هو أنه هو أيضاً يخون.

وتستمر قائمة أعمال الجسد في مجال العلاقة مع الآخرين، فهناك السَخَط وهو الغضب الشديد والرغبة في الانتقام والعقاب، وغالباً ما يكون مصحوباً برغبة في الإيذاء الجسدي أو النفسي. وهذا ليس غريباً، فالغضب والعُنف، بأشكاله المختلفة هو النتيجة المنطقية لعلاقات يسودها الشك والغيرة والسيطرة.

وعِندما تضطرم العداوة ويشتَدّ الخصام وتنمو الغيرة والسيطرة والعُنف في أسرة أو مجتمع، ينشأ التَحَزُّب فيحاول كل طرف أن يجمع لنفسه مناصرين ضد الطرف الآخر، ويزرع بذور الفتنة بين الأشخاص. هذا يؤدي للشقاق الذي يُقَسِّم الأُسَر ويخرب الكنائس والشركات، بل وقد يؤدي إلى حروب أهلية داخل الدولة الواحدة. ولكي يستمر الإنسان في هذه الحالة الشريرة، فإنه يحتاج لأن يُخَدِّر ضميره باختراع

أفكار يُقنِع بها نفسه أن ما يفعله هو الطريقة الوحيدة للحياة في هذه الأسرة أو هذا المجتمع، أو ربما هذا العالم. هنا تأتي البِدعة، وهي الآراء غير الحقيقية وغير المُنَزَّهَة عن الغرض والمبنية على الانحصار في الذات وعدم القدرة على رؤية الحقيقة الموضوعية. وبحسب أنواع الشخصيات، قد تكون البِدع من النوع الذي يتميَّز برفض وكراهية النفس مثل أفكار الفشل واليأس والإحباط وصِغَر النفس أو الشفقة على النفس والتكبير من حجم المشاكل الشخصية والإحساس بسوء المعاملة من الآخرين بطريقة تجعل من المشاكل الشخصية أهم من مشاكل الآخرين. أو أن تكون من النوع الذي يَتَمَيَّز بنفاق النفس وتَمَلُّقِها[١٩] مثل تبرير أي سلوك أو توجُّه مهما كان غريباً أو سيئاً أو التفاخر والمبالغة في تكبير الإنجازات و الحسد الذي هو الاستياء من إنجازات الآخرين ومحاولة تشويه نجاحاتهم.

ثم تأتي المجموعة الأخيرة من أعمال الجسد التي تَتَمَيَّز بالانفلات التام وفقدان كل قدرة على كبح جماح السلوك البشري الشرير. فنجد القتل الذي هو الرغبة في تدمير حياة شخص أو إفساد مستقبله التي ربما تصل إلى إنهاء حياته تماماً، والسُكر، أي تعاطي الكحوليات والمخدرات دون القدرة على التوقف حتى بالرغم من حدوث مشاكل خطيرة بسببها، والبَطَر الذي هو الاحتفالات الماجنة التي تُرتَكَب فيها سلوكيات غير معقولة، والحياة المستهترة الصاخبة وعدم الخضوع لأي قواعد أو نظام.

---

١٩ مزمور ٣٦: ٢

هل الأعمال تُمات، أم توقَف؟

لماذا يقول الوحي «تُميتون» أعمال الجسد؟ ولم يقل: «تُوقِفون» أعمال الجسد أو تتوقفون عنها. عندما يستخدم تعبير الإماتة، فكأن الأعمال قد تَحَوَّلت إلى كائنات حية تعيش وتموت. إن تعبير «تُميتون أعمال الجسد» يطرح تَصَوُّراً شديد الواقعية لكيفية التعامل مع هذه الأعمال، وذلك لأنه يعلم أن الأعمال عندما تتكرر لوقت طويل، فهي تُصبِح «كائنات حَيَّة» قائمة بذاتها، وذلك لأنها تتحول إلى دوائر مفرغة تُنتِج بنفسها طاقة حركتها، فلا يُمكِن توقيفها إلا من خلال تَدميرها. تخيل سيارة تنتج وقودها كلما سارت، فمن ذا الذي يستطيع إيقافها دون أن «يُميتها» تماماً.

الأعمال عندما تتكرر، فإنها تصبح «كائنات حَيَّة» قائمة بذاتها تنتج وقودها بنفسها، لا تقف إن لم تُمات.

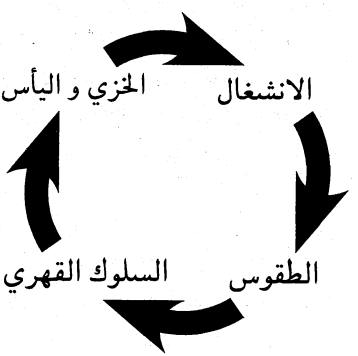

ولكي نفهم هذه الحقيقة يمكن أن نستشير علم نفس الإدمان Addiction Psychology وخاصة في مجال إدمان الجنس الذي تُعَبِّر عنه الأعمال الأربعة الأولى في قائمة أعمال الجسد، وهي الزنا والعهارة والنجاسة والدعارة. إننا نعتبر أن إدمان الجنس قد وصل إلى مرحلة أنه أصبح كياناً حياً قائماً بذاته عندما يصل إلى ما يُسَمَّى «مرحلة التأسيس». أول علامة على تأسيس النظام الإدماني هو انتظام الفعل الإدماني بشكل مُتَكَرِّر ومُنتَظِم ومُتَوَقَّع. وهذا يحدث عندما يكتمل ظهور الدائرة الإدمانية بأجزائها الأربعة المتتالية وهي:

حالة الانشغال الفكري والطقوس المُمَيِّزة، ثم السلوك الجنسي القهري نفسه، والذي تتبعه مشاعر الحزي واليأس.[٢٠]

---

٢٠ تَكتَمِل حالة **الانشغال الفكري** عندما تكون أفكار الإنسان مُرَكَّزَة على الجنس، بحيث تدور حياته كلها حوله وتتعلق به مشاعره وخيالاته وذكرياته وآماله كلها. كل عابرة في الطريق يُمكِن أن تكون «هدفاً جنسياً» للممارسة الفعلية أحياناً، وللخيال الجنسي في أغلب الأحيان. هذا الانشغال الفكري عند مدمن الجنس من الممكن أن يثيره بدون ممارسة السلوك فعلياً. وهو بالطبع يؤدي إلى ضعف الإنتاجية في العمل والحياة وإضاعة الكثير من الوقت والجهد. بمجرد الوصول لحالة الانشغال الفكري القهري هذه، يكون المدمن قد فقد السيطرة بالفعل، ويبدأ في البحث عن هدف جنسي. للتعافي من إدمان الجنس، من الضروري إدراك الأوقات أو الأحداث أو الأماكن أو المواقف التي تشعل شرارة هذه الحالة من الانشغال الفكري. أي أن يُمَنطق الإنسان حقويّ ذهنه صاحياً طوال الوقت. يقول أحد مدمني العادة السرية والصور الجنسية، أنه تَعَوَّدَ أن يدخل إلى هذه الحالة بمجرد أن يصبح بمفرده في المنزل، حتى وإن لم يكن قبل ذلك يفكر في الجنس. مجرد إدراكه أنه أصبح وحيداً في المنزل، يشعل هذا شرارة الانشغال الجنسي كما لو كان شيء ما يفرض عليه الفعل الجنسي. وبعد أن يصل الانشغال إلى آخر مداه، فإنه يُسَلِّم الراية لمرحلة **الطقوس** التي تزيد من الانشغال الفكري والإثارة استعداداً لممارسة الفعل نفسه. هذه الطقوس ربما تكون دخول أماكن معينة مثل المتاجر أو المصاعد، أو تتضمن ذلك «الطَوَاف» cruising الذي يقوم به مدمن الجنس في الشوارع لالتقاط عاملات بالجنس التجاري. أحياناً تتضمن الأفلام السينمائية أو المجلات، أو ملابس معينة أو كحوليات أو مخدرات. أو جلسة معينة أو درجة إضاءة معينة. ربما تكون الطقوس سلبية مثل الدخول في شجار للشعور بالغضب وبالتالي التنفيس عنه بالسلوك الجنسي أو الإغراق في العمل والإجهاد للشعور باستحقاق «الترفيه الجنسي». يمكن أيضاً أن يكون الشعور بالخطر، أحد الطقوس التي تزيد من الإثارة (هذا يفسر السلوكيات الخطرة التي يمارسها بعض مدمني الجنس التي تعرضهم للاكتشاف). الطقوس مثل الانشغال، من الممكن أن تدخل المدمن في الإثارة الجنسية الشديدة. كما أنها تتميز بأنها حالة من «الغَيبة» Trance-like State. خلالها لا يستطيع المدمن أن ينتبه لأي شيء بما في ذلك خطر الاكتشاف. (هذا يفسر أن مركتبي جرائم الاغتصاب المتعددة لا يغيرون طريقتهم، حتى وإن كان هذا يؤدي لسهولة اكتشافهم والقبض عليهم، لأن هذه الطريقة هي جزء من الطقوس الإدمانية نفسها). ثم بعد إتمام الطقوس، يستعدّ المسرح لاستقبال **السلوك الجنسي القهري**. وكلمة «قَهري» تعني أنه سلوك خارج عن السيطرة Out of Control ويتحدد مدى فقدان السيطرة عندما يتعارض السلوك الإدماني مع أمور ذات قيمة عليا عند الشخص، ولكنه يظل يمارس هذا السلوك. عندئذ يكون السلوك الإدماني قد احتل عند صاحبه قمة سلسلة الأولويات. بعد مشاعر الإثارة في مرحلة الانشغال والطقوس، وقمة النشوة في مرحلة السلوك القهري، يهبط المدمن إلى قاع **الحزي واليأس** والشعور بالعزلة. مشاعر الحزي واليأس هي الوصلة التي تصل الدائرة المفرغة في كل أنواع الإدمان، حيث يهرب المدمن من هذه المشاعر من خلال البحث عن النشوة مرة أخرى وتدور الدائرة.

كيف تُمات أعمال الجسد؟

إذا سألنا العهد الجديد هذا السؤال، فسوف تكون إجابته شيئاً واحداً لا غير: السلوك بالجسد يُمات بالسلوك بالروح.[٢١] الحياة حسب الجسد وفي الجسد تَقتُلها الحياة حسب الروح وفي الروح،[٢٢] الزراعة للجسد تُفسِدها الزراعة للروح، شهوات الجسد تقاوُمها شهوات الروح. إن أردتم أن تتوقفوا عن فعل ما لا يريده الروح، فلتفعلوا ما لا يريده الجسد.[٢٣] إن أردتم ألا تذهبوا في اتجاه ما، فلن ينفع مُجَرَّد التَوَقُّف، ينبغي أن تذهبوا بكل قوة في الاتِّجاه الآخر.

وما هو هذا الاتجاه الآخر؟ لكي نُجيب عن هذا السؤال لنذهب إلى فقرة شديدة الأهمية من العهد الجديد، وهي المُمْتَدة من الجزء الأخير من الأصحاح الرابع إلى منتصف الأصحاح السادس من رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس. هذه الرسالة كانت من أهم النصوص التي تجمع بين الأساس اللاهوتي (في الأصحاحات من الأول إلى منتصف الرابع) والتطبيق العملي الشامل (من منتصف الأصحاح الرابع إلى منتصف الأصحاح السادس). وفي النهاية يختتم السفر بالفقرة التي ربما تكون الفقرة الوحيدة في الكتاب المقدس التي تتكلم بالتفصيل العملي أيضاً عن الحرب الروحية.

السلوك في الروح هو السلوك في النور والسلوك في المحبة لأن الله محبة، و الله نور.

قبل أن نخوض في تفاصيل الفقرة، لنُجيب أولاً عن السؤال الكبير: «كيف يكون السلوك بالروح؟» الإجابة بشكل مُجمَل هي في نقطتين لا ثالث لهما، وهما السلوك في النور والسلوك في المحبة. إن كان الروح القدس

٢١ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٥: ١٦

٢٢ رسالة بولس الرسول لأهل رومية ٨: ٨، ١٢

٢٣ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٥: ١٧، ١٨

هو «الله» فالسلوك في الروح هو السلوك «في الله» ولم يشر العهد الجديد إلى الله، إلا بكلمتين اثنتين لا ثالث لهما أيضاً: «الله نور»[٢٤] و «الله محبة».[٢٥] إذاً فالسلوك في الروح هو السلوك في النور وبالمحبة. ما زال الكلام مُبهَماً ومُجَرداً غير ملموس. ولأننا نتكلم عن «سلوك» فنحن نحتاج إلى ما هو ملموس وقابل للتطبيق العملي. والآن قبل أن نصل إلى مرحلة التطبيق العملي، لنبدأ بتشريح أعمال الجسد جيداً، حتى نستطيع أن نعرف كيف يمكن للسلوك بالروح (في النور وبالمحبة) أن يميتها.

فُقدان الوعي وفقدان السيطرة

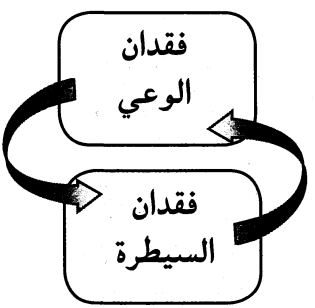

تبدأ الفقرة في الأصحاح الرابع والعدد السابع عشر بهذه الوصية: «لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم» ولم يصف هذه السلوكيات، لأنه قد وصفها من قبل في قائمة «أعمال الجسد» في رسالة غلاطية، لكنه يدخل إلى ما هو أعمق من السلوكيات وهو الحالات التي تُسيطِر على سائر الأمم والتي منها تنتج هذه السلوكيات والتي ينبغي التَحَرُّر منها لكي يستطيع المؤمنون ألا يسلكوا فيما بعد كسائر الأمم. وإذا أردنا أن نصف حياة «سائر الأمم» كما يقول، فسوف نجد أنها تتلَخَّص في حالتين هما، حالة فُقدان السيطرة وحالة فُقدان الوعي. وهاتان الحالتان يؤديان إلى بعضهما البعض في صورة دائرة مفرغة، فعندما يكون الإنسان فاقداً للسيطرة على السلوك في نواحي الحياة المختلفة، سواء الحياة الجنسية في صورة

---

٢٤ رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٥

٢٥ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ٨، ١٦

الزنى[٢٦] والدعارة،[٢٧] أو فيما يتعلق بالمال كالسرقة ، أو الكلام، كالكذب[٢٨] والقباحة وكلام السفاهة والهزل[٢٩] فهذا يُشعِره بالكثير من الخزي، فيميل لإنكار هذه الحالة من العجز، وتدريجياً يتناقص وعيه بنفسه. يصف بولس الرسول حالة فقدان الوعي من خلال عِدّة تعبيرات مثل: بُطل الذهن (الأفكار العقيمة[٣٠])، وإظلام الفكر، والجهل، وغلاظة القلب (نقص الحساسية)، وفُقدان الحِس (فقدان الإحساس بالخجل)، والغرور (الانخداع)، والظلمة، والنوم، والغباء، والسُكر. كما أن فقدان الوعي يؤدي إلى فقدان السيطرة أيضاً، فأول خطوة للسيطرة على السلوك هي الوعي به.

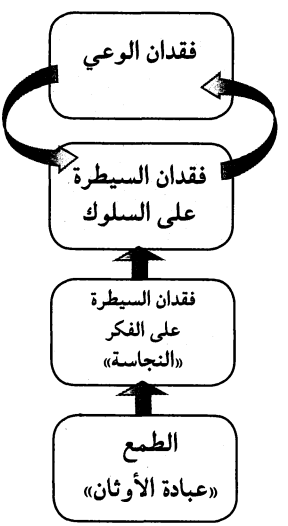

ثُم يذهب لأعمق من ذلك فَيُرجِع فقدان السيطرة علي السلوك، إلى حالة من فقدان السيطرة على الفكر وهي النجاسة. هذه الحالة من فقدان السيطرة على الفكر تَنتُج بدورها من حالة روحية أعمق وهي الطمع الذي هو الرغبة في الحصول على كل شيء، وجعل الكون كله يدور حول النفس. وهذه الحالة من الطمع هي في واقع الأمر حالة من الخضوع التام لسَيطرة وثن، وهذا الوثن هو ذات الإنسان، أي أن الإنسان يصبح عابداً لنفسه، مأسوراً فيها ويدور حولها إلى ما لا نهاية.

---

٢٦ أفسس ٥: ٣

٢٧ أفسس ٤: ١٩

٢٨ أفسس ٤: ٢٥

٢٩ أفسس ٥: ٤

٣٠ المكتوب بين قوسين من الترجمة العربية المُبَسَّطة

النجاسة والطَمع

تأتي كلمة «النجاسة» في هذه الفقرة بمعنيين أحدهما خاص ومتعلق بعدم الطهارة الجنسية Sexual Immorality، والمعنى الآخر عام بمعنى عدم النقاء Impurity عموماً. وبالرغم من أننا تقليدياً نربط بين النجاسة وعدم الطهارة الجسدية عموماً والجنسية خصوصاً، إلا أن المعنى الأوسع يشمل عدم النقاء بشكل عام، ويشمل عدم النقاء الفكري والعقائدي، ففي مُستَهلّ الأصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس، يحثهم الرسول لتطهير ذواتهم من كل دنس الجسد والروح. وفي الأصحاح الخامس من رسالته لأهل غلاطية،[٣١] يصف بولس تعليم التَهَوُّديين بشأن الختان، بأنه «خميرة» صغيرة تُخمِّر العجين كله. وهو هنا يصف عدم نقاء الفكر والتعليم، بتعبير الخميرة وهو نفس التعبير الذي استخدمه في الأصحاح الخامس من رسالته الأولى لأهل كورنثوس ليصف خطية جنسية في الكنيسة.[٣٢]

وهكذا فإن استخدام تعبير النجاسة بالمعنى الأوسع هنا يشير إلى عدم نقاء الفكر، أي دخول أفكار خاطئة إلى ذهن الإنسان. هذا يشير إليه في بداية الفقرة عندما يوصي المؤمنين ألا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم، وبسرعة يصف مصدر سلوك هؤلاء الأمم وهو «بُطل ذهنهم» إذاً عدم نقاء السلوك يبدأ بعدم نقاء الفكر.

- ففي مجال السلوك الجنسي، تكون النجاسة هي أن نسمح لأذهاننا أن تفُكِّر أفكاراً جنسية غير طاهرة، وعيوننا أن تنظر نظرات غير طاهرة، أو لأشياء غير طاهرة. هذه النجاسة هي في الأصل ناتجة من تَوَجُّه الطمع الذي يجعلنا نصدق كذبة أننا نستطيع أن نحصل على لذة جنسية بلا نهاية أو حدود. وهذا الطمع ما هو إلا عبادة لوثن النفس الذي نريد أن نقدم له قرابين اللذة الجنسية كلها.

- وفي مجال الأشياء، تكون النجاسة هي أن نسمح لعيوننا أن تشتهي كل شيء تراه، من ألوان الطعام في «البوفيهات» إلى الأجهزة في المحلات، والبيوت،

---

٣١ رسالة بولس الرسول لأهل غلاطية ٥: ١-٩

٣٢ رسالة بولس الرسول لأهل كورنثوس الأولى ٥: ١-٨

والسيارات وغيرها. هذه النجاسة في الأصل ناتجة من تَوَجّه الطمع الذي يجعلنا نصدق كذبة أننا نستطيع الحصول على لذة أكل بلا نهاية، ولذة امتلاك لا حدود لها. هذا الطمع أيضاً ما هو إلا عبادة للنفس تجعلنا نريد أن نقدم لها كل الأشياء ونظن أنها تستحق أن تمتلك كل ما تراه.

- وفي مجال الكلام والعلاقات، تكون النجاسة هي أن نسمح بالتواجد في أذهاننا لأفكار كذب أو قباحة أو سفاهة أو هزل أو نميمة، سرعان ما تتحول إلى كلام. هذه النجاسة ناتجة من تَوَجُّه الطمع الذي يجعلنا نصدق كذبة أننا نستطيع أن نحصل على لذة اجتماعية غير متناهية، فنستخدم كلامنا لكي ننتصر على الناس، أو نجعلهم يحبوننا أو نجعلهم ينضمون لنا ضد أناس آخرين، أو غير ذلك من الخطايا الاجتماعية. وهذه أيضاً عبادة للنفس تجعلنا نتصور أننا قادرون أن نجعل جميع من حولنا يدورون في فَلَكِنا.

- وفي مجال التحكم في الغضب، تكون النجاسة هي أن نسمح لأنفسنا بأفكار انتقام وشر وإساءة. هذه النجاسة أيضاً نابعة من تَوَجُّه الطمع الذي يجعلنا نصدق أننا ينبغي أن نكون مَحبوبين ومُحتَرَمين من كل الناس طوال الوقت، وهذا الطمع ما هو إلا أننا نعبد أنفسنا ولا نحتمل أيضاً أن يُصيبها أي تعدٍ من أي إنسان في أي وقت.

ولا يقف بولس الرسول فقط عند الحالة الفكرية، بل يذهب أعمق من ذلك إلى الحالة الروحية، فيتكلم عن الطمع. والطمع هو ببساطة أن يعبد الإنسان نفسه، فيتصوَّر أنه مركز الكون ويريد أن يجتذب كل ما هو موجود نحوه لكي يبتلعه أو على الأقل يجعله يدور حوله. هذا هو الأصل الروحي الذي منه تنبع كل الشرور. إنه «التَجَنُّب عن حياة الله» الذي أشار إليه في بداية الفقرة. ولا شيء يجعل الإنسان متجنباً عن حياة الله، أكثر من الطمع، فروح الطمع هذه هي أكثر ما يكرهه الله، فهي الروح المضادة له تماماً. الله محبة وعطاء وخروج مستمر من النفس للآخرين، الصالح

والطالح معاً، البار والشرير على حد سواء، وهو يجد سروره البالغ في العطاء،[٣٣] ويغضب كلما رأى الطمع ونجاساته.

هكذا يقدم لنا بولس الرسول «تشريحاً» لذلك الكيان المتكامل لأعمال الجسد حتى نستطيع أن نُميته. تماماً كما يُشَرِّح عالم حشرات جسم الحشرة ودورة حياتها لكي يُعَلِّم المزارع كيف يتخلص منها، أو كما يشرح عالم الميكروبيولوجي للطبيب أو الصيدلي، تركيب البكتريا وطريقة حياتها لكي يعرف كيف يقضي عليها. فأعمال الجسد، كما يشرح بولس الرسول هي حالة من فقدان السيطرة على السلوك والوعي تَنتُجُ من فكر أصابته نجاسة الأفكار الخاطئة التي تؤدي إلى سلوكيات خاطئة، والأصل الروحي لكل هذا هو الطمع الناتج من عبادة الإنسان لنفسه.

حياة الله

كما أشرنا من قبل، يقول بولس الرسول أن الأصل لكل هذا، هو أن هؤلاء الأمم متجنِّبون عن حياة الله، والسبب هو عبادة النفس من دون الله.[٣٤] فلا يُمكن أن يقترب من الله من يعبد نفسه. وبالتالي فالحلّ لعلاج هذا الأمر هو أن يَكفُرَ الإنسانُ بنفسه كإله، وينغمس في «حياة الله». هذا لا يعني بالطبع كراهية الإنسان لنفسه والتوقف عن الإيمان بنفسه كإنسان، وإنما هو التوقف عن إيمانه بنفسه كإله أو كمركزٍ للكون والحياة. وحياة الله كما يصفها العهد الجديد هي حياة النور وحياة المحبة. حياة النور هي الحل لفقدان الوعي. فإن كان بولس قد عَبَّر عن حالة فقدان الوعي بتعبيرات مثل بُطل الذهن (الأفكار العقيمة[٣٥])، وإظلام الفكر والجهل، وغلاظة (قسوة) القلب، وفُقدان الحِس (فقدان الإحساس بالخجل) والغرور (الخداع)، والظلمة والنوم، والغباء، والسُكر. فهو الآن يتكلم عن السلوك في النور باستخدام تعبيرات

33 Frank C. Lubach, *Letters by a Modern Mystic* (Colorado Springs: Purposeful Design, 2007)

٣٤ رومية ١: ٢١- ٢٣

٣٥ المكتوب بين قوسين من الترجمة العربية المُبَسَّطة

مضادة مثل تكلموا بالصدق، وَبِّخوها (اكشفوها)، واسلكوا بالتدقيق (انتبهوا لسلوككم)، ومفتدين الوقت (مُنْتَهِزين كل فرصة لعمل الخير)، وفاهمين (حكماء)، ولا تسكروا، ومُكَلِّمين بعضكم بعضاً.

وإذا كان النور هو ترياق فُقدان الوعي، فما هو ترياق فُقدان السيطرة الناتج من النجاسة والطمع وعبادة النفس؟ إنه المحبة. والمحبة في الكتاب المقدس ليست المشاعر والنوايا الطيبة، وإنما الخروج خارج النفس للآخر. إن كان المرض هو الانحصار في النفس، فالعلاج هو الخروج منها إلى الآخرين. لذلك نجد تعبيرات المحبة التي تأتي فيما يلي في الفقرة، كلها تعبيرات عملية:[٣٦] «اغضبوا ولا تُخطئوا. لا تغرُب الشمس على غيظكم»، ويقصد الإسراع بالمصالحة، «خاضعين بعضكم لبعض» «أحبوا نساءكم»،«أطيعوا والدكيم» «لا تغيظوا أولادكم» «أطيعوا رؤساءكم تاركين التهديد». إذاً فلا يُمكن إماتة أعمال الجسد، إلا من خلال حياة الله، وحياة الله ليست فقط قراراً نتخذه، وإنما حياة ننغمس فيها ـــــ حياة النور وحياة المحبة.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هاتان الفقرتان الكتابيتان في النقاط الخمس التالية

١- أعمال الجسد هي الأعمال الناتجة من الطبيعة الفاسدة المُبَرمَجة على الطمع وعبادة النفس.

٢- تتجلّى أعمال الجسد في الخطايا الجنسية، وخطايا العلاقات، وخطايا الانفلات والتحرّر من كل القواعد الأخلاقية.

٣- أعمال الجسد مع الوقت تتحول إلى دائرة مُفرَغة وكيان قائم بذاته يستمد من نفسه طاقة استمراره، وكأنها لم تعد سلوكاً يُمكن توقيفه، بل كائناً حيّاً تجب إماتته.

---

٣٦ يوحنا الأولى ٣: ١٨

٤- هذا الكائن الحيّ هو حالة من فقدان الوعي وفُقدان السيطرة على السلوك، والذي يَنْتُج من عدم نقاء الفكر الناتج من الطمع الذي هو عبادة النفس.

هذا الكائن يموت بالنور (الوعي) الذي يُنَقّي الفكر من الأكاذيب، والمحبة (الخروج خارج النفس) التي تُميت الطمع والأنانية.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

بعض التدريبات للسلوك في النور وزيادة الوعي

كتابة اليوميات الروحية ابدأ في تدريب نفسك على قضاء نصف ساعة صمت واختلاء كل يوم صباحاً. اطلب فيها من الربّ أن يعطيك بصيرة واستنارة أن تراجع اليوم السابق. هذا التدريب يزيد من قُدرتنا على السلوك بالتدقيق. اسأل نفسك، كيف أشعر هذا الصباح؟ ربما تكتب ثلاثة أنواع من المشاعر تشعر بها في هذه اللحظة (كما تدُلُّنا الأحاسيس الجسدية مثل الألم عن مشكلات في أجسادنا، فإننا أيضاً يمكن أن نتعرف على مشكلاتنا الروحية ونُدرك تبكيت الروح القدس من خلال مشاعرنا). صَلّ أن يعطيك الروح القدس مشاعر المسيح.[٣٧]

- راجع المواقف التي حدثت مع آخرين، راجع كلماتك، راجع تَوَجُّهات قلبك تجاههم. راجع أسماء أشخاص أخطأت في حقهم وتحتاج أن تعتذر لهم، أو أشخاص أهملتهم، وتحتاج أن تسأل عنهم.

- راجع مواقفك من المال، والعمل. حدِّد السلوك السليم في هذه المواقف، وخطط لفعله في المرات القادمة.

- هل هناك مشاعر رومانسية أو انجذابات جنسية تجاه شخص ما؟ ضعها أمام الله، وقرر أن تصنع المسافة اللازمة لإيقاف هذه المشاعر.

---

٣٧ الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ٨

- اسأل نفسك هل أفرطت في سلوك ما بالأمس، ربما الأكل، ربما مشاهدة التلفزيون، رُبما استخدام المواقع الاجتماعية على الإنترنت. قرّر كيف سوف تتصرف اليوم في هذه الأمور.

الشركة والاعتراف. ليكن لك صديق أو أكثر تستطيع أن تشاركهم بصراحة وشفافية بكل ما يدور في قلبك من أفكار ومشاعر وما تفعله من سلوكيات. هناك أكثر من فِعل أمر في الفقرة المُختارة في رسالة أفسس، يمكن إطاعته من خلال هذا التدريب.

بعض التدريبات للخروج خارج النفس للآخرين

فحص النفس. تذكر شخصاً أو أكثر يؤذونك، أو لا تشعر بالراحة معهم. وحدد موقفك منهم على السُلَّم الموجود بالشكل السابق بكل أمانة.

الصلاة. صلّ أن يعطيك الله نعمة لكي تتحرك على هذا السلم إلى أعلى ولو درجة واحدة.

- فَكِّر في التحديّات التي ربما يواجهها هذا الشخص في حياته، وصلّ من أجله فيها (ليس بالضرورة وجود مشاعر إيجابية تجاهه أثناء الصلاة).

- تتمنى له الخير وتفعله
- تتمنى له الخير لكن لاتفعله

- لا تتمنى له الشّر لكن لاتتمنى له الخير
- لا تؤذيه معنوياً لكن تتمنى له الشرّ

- من يؤذيك لاتؤذيه جسدياً لكن معنوياً
- من يؤذيك تؤذيه جسدياً. قد تصل للقتل

- إذا كان ممكناً، تقابل معه ودعه يتكلم عن نفسه قليلاً وحاول أن تتفهم ما يشعر به.

- فَكِّر فيما يمكن أن يكون موجوداً فيك أنت، يجعلك حساساً بصورة خاصة لما يفعله هذا الشخص. نحن كثيراً ما نكون حَسَّاسين بشكل سلبيّ تجاه من يُشبهوننا أو يحملون العيوب التي نكرهها في أنفسنا.

- ذَكِّر نفسك إذا كنت أنت أيضاً، في وقت سابق، قد فعلت هذه الأمور الذي يفعلها هو الآن.

إضافة الغرباء. خَطِّط لاحتفال قادم بأي مُناسبة، وادعُ أشخاصاً لم تفكر من قبل أن تدعوهم إلى منزلك. ربما ينتمون لمستوى اقتصادي واجتماعي ومِهني أقلّ، ربما أشخاص لا تشعر بالراحة معهم. أشخاص حياتهم بها قدر من الوِحدة ويحتاجون للاهتمام. أعِدّ لهم الطعام وكُل معهم. لا تفكر في استمتاعك بقدر ما تُفكر فيهم هم.

الفصل التاسع

لا تصنعوا تدبيراً للجسد

تغيير أسلوب الحياة موت

لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ: لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ. بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ. (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٣:١٣).

يتضمن الجهاد المسيحي في مفهوم العهد الجديد، فِعلَين؛ أحدُهُما إيجابي يشير إلى فعل شيء، والآخر سلبي يشير إلى عدم فعل، أو مقاومة، أو خلع، أو نسيان شيء آخر.[٣٨] هنا الرسول بولس يقول «البسوا» الرب يسوع المسيح و«لا تصنعوا» تدبيراً للجسد. في الفصل السابق تناولنا «إماتة» أعمال الجسد، وفي هذا الفصل سوف نتناول كيف نعيش أسلوب حياة يجفف ينابيع هذا الجسد.

عندما أفاق العالم على خطورة الإرهاب خلال السنوات العشر الماضية، أدرك أنه ليس كافياً أن تداهم الأجهزة الأمنية أوكار الإرهابيين لتقبض عليهم، بل ينبغي أن تتخذ الحكومات خطوات وقائية سابقة لذلك بأن تُجَفِّف مصادر تمويلهم، فلا يستطيعون التدبير لعملياتهم الإرهابية. بنفس المنطق، إن كُنا نريد القضاء على أعمال الجسد، علينا أن نعيش أسلوب حياة لا يصنع تدبيراً للجسد، فليس من المنطقي أن تحاول إماتة كيان وأنت تُطعِمُه باستمرار، لذلك علينا أن نراجع أسلوب حياتنا، لنرى إن كان يصُب في مصلحة هذا الكيان أم لا.

---

٣٨ أفسس ٤: ٢٢ و كولوسي ٣: ٩ و فيلبي ٣: ١٣

أتصور أن أسلوب الحياة الذي لا يصنع تدبيراً للجسد هو الأسلوب المُتَّزِن بين تطرفين، في مجالات مختلفة من الحياة. سوف أتناول منها ثلاثة مجالات. في مجال العمل والإنجاز، وفي مجال الراحة والمُتعة، أما المجال الثالث فهو مجال العلاقات الاجتماعية.

بين الحياة بلا هدف، وحياة الأهداف «القهرية»

يحتاج الإنسان إلى هدف يعيش من أجله. هذا الهدف يضبط حركة حياته كلها. ولعل أوضح مثال بسيط وملموس للهدف الذي يُشَكِّل حياة الإنسان، الهدف الرياضيّ، ولتكن مثلاً الميدالية الأولمبية. الرياضي الذي يريد أن يحصل على ميدالية في الألعاب الأولمبية التي تُقام دورتها كل أربع سنوات، تدور حياته كلها حول ذلك الهدف الذي يضبط نومه وصحوه، طعامه وشرابه، وطريقة قضائه لوقته، ونوعية علاقاته وصداقاته، ما يقرأه من كُتُب، وما يشاهده في وسائل الإعلام المختلفة، وقبل الكُل بالطبع، تدريباته الرياضية التي تحتل بؤرة هذه الحياة ونُقطة تركيزها.[٣٩] ليس فقط الرياضي، فكل إنسان ينبغي أن يكون له هدف يستثمر فيه إمكاناته وطاقاته ومواهبه بشكل خاص وفريد يُمَيِّزه عن أي إنسان آخر. أما عندما لا يكون للإنسان هدفٌ يتحرَّك نحوه، فهو لن يذهب إلى أي مكان ولن يعتَبِرَ لوقته، أو لحياته كلها قيمة، وسرعان ما تجرفه أمواج الاكتئاب وفراغ المعنى.

أن يكون للإنسان هدف فهذا أمرٌ أصيل في حياة الإنسان لأنه جزء من «عهد الخَلق» بين الله والإنسان.

أن يكون للإنسان هدف، فهذا أمر أصيلٌ في حياة الإنسان لأنه جزء من «عهد الخلق» الذي بين الله والإنسان. الإنسان مخلوق لكي يعمل، ولكي يُحِب،[٤٠] أي أنه مخلوقٌ للإنجاز وللعلاقات، فإن غاب واحدٌ من هذين المحورين الأساسيين اللذين تدور حولهما عجلة حياة الإنسان، تضطرب الحياة وتصبح كسفينةٍ غاب عنها مسارُ

٣٩ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٩: ٢٥

٤٠ تكوين ٢: ١٥، ١٨

رحلتها، وغطى الضباب ميناء وصولها، فراحت تهيم على غير هُدى في عرض المحيط الواسع. أو كغيوم لا تحمل أمطاراً، فتسوقها الرياح[٤١] في كُل اتجاه، أو كواكب فقدت مساراتها حول نجومها، فضلت طريقها في الفضاء إلى الأبد. أما عندما يكون للإنسان قصد أو هدف، فسوف يعمل دائماً للحفاظ عليه، بل للحفاظ على حياته من أجل ذلك الهدف.

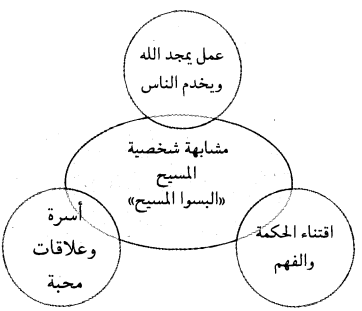

برغم الاختلافات الفردية، فمعنى أن يكون الإنسان مسيحياً، هو أن يكون له هدف أساسيّ مِحوَريّ، ألا وهو أن يشابه المسيح.[٤٢] عندما يكون هذا الهدف في محور الحياة ومركزها، يكون الإنسان قد وضع قدميه على الأرض الصلبة للحياة الروحية في المسيح. ومما يحافظ على ذلك الهدف في المركز، أن يكون مُحاطاً بأهداف أخرى أقل مركزية، لكنها تُغذي ذلك الهدف المحوريّ ولا تتعارض معه. ومن أمثلة هذه الأهداف، أن يكون للإنسان هدف في حياته المهنية يُمَجِّد الله ويفيد البشر،[٤٣] وأيضاً تكون لديه أهداف في حياته العلاقاتية سواء الأسرية أو غيرها[٤٤] تتجلى فيها سمات المحبة والقبول والعطاء، وأهداف في حياته الفكرية، تعكس ميله للمعرفة واقتناء الحكمة والفهم.[٤٥]

هذا الترتيب السليم لأهداف الحياة، مع وضع «شخصيّة المسيح» في المحور، يجعلنا لا نصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات، ويجعلنا في أفضل وضع يُمكِنُنا فيه أن نميت أعمال الجسد. كما أننا في المقابل، عندما نُميت أعمال الجسد، كما ناقشنا في الفصل

٤١ رسالة بطرس الرسول الثانية ٢: ١٧

٤٢ رومية ٨: ٢٩ ، غلاطية ٤: ١٩، فيلبي ٣: ٧- ١٣ ، ١يوحنا ٣: ٢

٤٣ مزمور ١٠٤: ٢٣

٤٤ مزمور ١٢٨: ٣

٤٥ أمثال ٨: ١٢- ٢١

السابق، نكون في أفضل وضع نستطيع فيه أن نُرتب أهداف حياتنا بشكل سليم، وأن نستقبل من الله رؤىً وأحلاماً وأهدافاً لحياتنا.

في كثير من الأحيان يسألني الشباب هذا السؤال: «كَيف تكون لي رؤية في حياتي؟» أو «كيف أكتشف قصد الله ودعوته لحياتي؟» أو«كيف أعرف مواهبي وقُدراتي؟». هنك بالطبع اقتراحات كثيرة للإجابة[٤٦] لكن ما أريد أن أقوله هنا هو أن «إماتة أعمال الجسد» خطوة هامة جداً لمعرفة دعوة الله لنا. فأعمال الجسد بكل ما فيها من فقدان الوعي وفقدان السيطرة، تعمل بمثابة غيمة داكنة، تمنعنا من رؤية أشياء كثيرة في العالم الروحي والعالم المادّي على حد سواء، ومثل حشائش ضارّة كثيفة تُحيط بشجرة حياتنا، تمنعها من الإثمار وبالتالي ينظر الجميع لهذه الشجرة وهو لا يعرف أي شجرة هذه؟ لأنه من الثمر، تُعرف الأشجار. هكذا فإن وجود قصد وهدف للحياة يساعدنا لإماتة أعمال الجسد، والعكس أيضاً صحيح.

الأهداف عندما تتحول إلى «هَوَس قهري» فهي أيضاً تصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.

في نفس الوقت الذي فيه عدم وجود هدف أو إنجاز في الحياة، فالعكس من ذلك، أيضا يصنع تدبيراً للجسد، فالحياة المدفوعة دفعاً قهريًّاً نحو الإنجاز المِهني أو العِلمي، أو تحقيق المال أو الشهرة، هي أيضاً حياة تصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات. ربما في هذه الحالة لا تكون الشهوات من النوع الحِسّي، لكنها بالتأكيد ستكون شهوات الحسد والخصام والغيرة والتحزب، بالإضافة بالطبع للكبرياء والتعالي والنرجسية، مع الوقت يمكن أن تُضاف أيضاً الشهوات الحِسّية كالجنس والطعام، وربما الخمر والمخدرات، لنحاول بها إطفاء حِدّة التنافس والغيرة والوحدة التي تنشأ من هذا الأسلوب من الحياة.

حتى «الأهداف الروحيّة»عندما تتحول إلى هَوَس قهري، يمكن أن تصنع أيضاً تدبيراً

٤٦ أوسم وصفي، تطوير الذات. سلسلة ١٨٠ درجة (عمَّان: أوفير، ٢٠١١) ص. ٨-٢٠

للجسد، في صورة كبرياء روحي، وبِرّ ذاتي، وربما تديُّن وتزَمُّت وسيطرة وإساءات روحية للآخرين، فكم من قادة «روحيّين» قد دهسوا في طريقهم رجالاً ونساء، بالإضافة بالطبع إلى زوجاتهم وأولادهم،[٤٧] في محاولتهم تحقيق أهدافهم «الروحيّة» التي تدور حول ما كانوا يُسَمُّونه «مجد الله» و«امتداد ملكوته» وأنا هنا أضع هذه التعبيرات بين قوسين، لأن هذا، أبداً، ليس مجد الله ولا امتداد ملكوته، بل ربما لا تكون الأهداف سوى مجد ذلك القائد وامتداد ملكوته هو. لذلك فإن أي هدف أو رؤية روحية، لا تنطلق من الدعوة الأساسية للمؤمنين بالمسيح وهي أن يتغيروا إلى صورته قبل أن يفعلوا أي شيء من أجله، فهي أهداف يمكن أن تصنع تدبيراً للجسد، بدلاً من أن تبني الروح.

بين حياة بلا فرح، وحياة منغمسة في المَلَذّات

كما أن الله خلقنا لنعمل ونُحبّ، فهو قد خلقنا أيضاً لنستمتع بخليقته[٤٨] بكل ما فيها من كل المُتَع الحِسّية.[٤٩] فهو قد خلق لنا مراكز اللّذة في المُخ وكيماويات اللذة التي تفرز في المُخ عندما نستمتع بالأكل أو الجنس أو الموسيقى أو الرياضة أو غيرها. وهذه اللذة هي جزء مُهم من الطرق التي أعطاها الله لنا[٥٠] لكي نتحمل الألم والإرهاق الذين في هذه الحياة بدنياً ونفسياً. وفوق كل هذه اللّذات الحسية، أعطانا الله لَذّات روحية فائقة، يمكننا أن نختبرها عندما تنفتح عيوننا على المُطلَق وننظر من نافذة هذه الحياة الضيقة إلى آفاق معرفة الله والعِشرة معه واختبار الحياة برفقته يوماً فيوماً[٥١] ويكتب الناسك المصري العظيم الأب متى المسكين ما يلي عن خبرته في تأمل اللّذات الحِسّية واللذة الروحية:

---

٤٧ بيتر سكازيرو ووارين بيرد، *نضوج الكنيسة ونضوج قادتها*. ترجمة جين محيي، (القاهرة: دار النشر الأسقفية، ٢٠١١) ص. ٤٦-٤٨

٤٨ تكوين ٢: ١٦ ، رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس ٤: ١-٥ ، ٦: ١٧

٤٩ أمثال ٥: ١٥- ١٩

٥٠ جامعة ٥: ١٨، ٩: ٧-٩

51 L. Walmsly *C.S. Lewis On Faith* (Nashville: Thomas Nelson 1998) p.51

نعم هذه هي حكمة الخالق في الخليقة جميعها سواء بسواء، فلولا أكل التفاحة ما سقطت البذرة على الأرض وما خرجت لنا شجرة أخرى لأطفال الغد. هكذا عَبَّق الله الزهور لتخرج الإنسان عن رزانته، وصبغ التفاحة بألوانها لكي تتجاوز بإغرائها كل رصانة، وجمّل الطيور للطيور، والإنسان للإنسان حتى تسير الحياة نحو البقاء ما شاء الله لها البقاء. ولكن كان هذا كله مدركاً لي، وكنت أستنبط مشيئة التفاحة والزهرة كما أستنبط مشيئة المرأة، فلا أجد فيها جميعاً إلا مشيئة البقاء على الأرض. وأنا لي بقاء آخر انفتح في أعماقي لحياة ليست من الأرض ولا على الأرض، ولها هي الأخرى جمالها الفاتن الذي استبدَّ بإرادتي وتجاوز كل تعقُّلي وصبري. فبمجرد أن فَرَدتُ جِناحَيّ وانطلقت في هذه الأجواء العُليا، خرجت سراً وخلسةً من تحت هذه المظلة وضمنت فكاك رقبتي.[٥٢]

لا ينبغي أن يؤدي انفتاحنا على اللّذة الروحية أن يجعلنا نحتقر اللذة والسعادة الجسدية، فهذا الاحتقار، ربما بصورة عكسية، يصنع تدبيراً للجسد،[٥٣] فيكتب أيضاً دالاس ويللارد:

يمكن لنجاحنا في مقاومة الخطية أن يكون أسهل عندما نكون سعداء في حياتنا بشكل عام. إننا عندما نحرم أنفسنا من اللذة والسعادة التي يمكننا الحصول عليها من خلال وجودنا الجسدي والاجتماعي فإننا عندئذ نُضعِف محاولاتنا في أن نفعل الصواب ونتجنب الخطأ... في هذا السياق يحذرنا الحكيم الجامعة: «لا تَكُن باراً كثيراً، ولا تَكُن حكيماً بزيادة. لماذا تُخرِبُ نَفسَكَ؟».[٥٤] إن «الروحانيّة» عندما لا تمارس بالطريقة المُتَّزِنَة السليمة يمكن أن تكون مصدراً كبيراً للبؤس الإنساني أو التمرد على الله.[٥٥]

---

٥٢ متى المسكين، السيرة الذاتية

٥٣ أوسم وصفي شخصي جداً. *الجنس في حياتنا. سلسلة ١٨٠ درجة* (عَمَّان: أوفير، ٢٠٠٩) ص. ٤٢-٤٤

٥٤ جامعة ٧: ١٦

٥٥ دالاس ويللارد *التدريبات الروحية*. ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية،

وبالطبع، فإنة علي الجانب الآخر، الحياة المنغمسة في اللذة الحِسّية، حتى ولو كانت مشروعة، تصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.[٥٦] هنا يأتي الدور الهام للتدريبات الروحية، وبالذات تدريبات الانقطاع. وفي وصف هذه التدريبات يكتب دالاس ويللارد:

> أن تدريبات الانقطاع، يجب أن يمارسها الجميع، لأنها تؤدي إلى حياة من الجِدّية والاعتدال في استخدام عطايا الله. إذا شعرنا أن أي عادة أو سلوك نتَّبعه، حتى ولو كان غير مضرٍ في ذاته لكنه يفصلنا عن الله ويجعلنا نغرق أكثر في أمور الأرض، وإن وجدنا شيئاً يفعله الآخرون عن طيب خاطر لكنه يمثل بالنسبة لنا فرصة للوقوع في الخطايا، فالتوقف عن هذا الشيء هو الطريق السليم. في تدريبات الانقطاع، نقوم بالتوَقُّف لدرجة ما، ولوقت ما عن إرضاء ما يعتبر إرضاؤه أمراً طبيعياً ومشروعاً. هذه الرغبات «الطبيعية» تتضمن رغباتنا الأساسية مثل الأكل والنوم والنشاط الجسدي ورفقة الناس، والفضول، والجنس. يمكن أيضاً أن نضيف رغبات أخرى لهذه القائمة مثل الراحة والرفاهية والترفيه، الأمان المادّي، السُمعة الطَيِّبة وغيرها... ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن تدريبات الانقطاع هذه لا تشير ضمناً إلى أن هناك أي شيء خاطئ في الاستمتاع بكل هذه الأمور، لكن في الحالة الحالية المُشَوَّهة للإنسانية، قد تم السماح لهذه الرغبات الأساسية أن تتخذ مساراً مُتَمَرِّداً وتتحول من رغبات إلى آلهة تتحكم فينا وتضرنا وتصير مستودعات للخطية في حياتنا.[٥٧]

٢٠١٢) ص. ١٦٣

٥٦ بطرس الثانية ٢: ١٨-٢٠

٥٧ دالاس ويللارد، التدريبات الروحية ص. ٢٧٣- ٢٧٥

بين حياة معزولة، وحياة مكشوفة

إن تدريب العزلة أو الاختلاء من الانضباطات الضرورية للحياة الروحية، لكن المبالغة في العزلة، هي أيضاً تصنع تدبيراً للجسد. في واقع الأمر ينبغي دائماً أن تَتَّزن تدريبات الانقطاع دائماً مع تدريبات الانخراط،[٥٨] ففي مقابل تدريب الاختلاء، توجد تدريبات الشركة والاحتفال. ينبغي أن ننعزل عن الناس لفترة، ثم نعود ونعيش بينهم. لقد كانت حياة يسوع مثالاً لهذا الاتِّزان العجيب، فقد كان ينعزل في البراري ويصلّي ويقضي الليل كله في الصلاة، لكنه في الصباح كان يقضي يومه بين الناس يُعَلِّم ويشفي ويقضي فترات طويلة مع تلاميذه يعلمهم ويشاركهم الحياة والأسفار بين قرى اليهودية والجليل، ولذلك كان ينتهز أي فرصة لكي ينام، مثلما نام في القارب أثناء ارتحالهم في بحر الجليل عندما هاج البحر.

إننا في حياتنا الروحية نحتاج للآخرين بشدة، فلا حياة روحية بدون شركة[٥٩] واعتراف ومحاسبة وصداقة روحية وعبادة مشتركة وخدمة مشتركة ومجتمع روحي نختبر فيه، مع جميع القديسين، العرض والطول والعمق والعلو لمحبة المسيح الفائقة المعرفة.[٦٠] إن العُزلة تؤدي للاكتئاب وتجعلنا نُصادِق الخطايا بدلاً من الناس، كما أنها تؤدي أيضاً للكبرياء والتَصَلُّف والشعور بعدم الاحتياج للآخرين، وربما عدم الثقة بهم.

ولسنا نحتاج للمؤمنين فقط، بل نحتاج لأن ننفتح على كل أنواع البشر، وكل الأنشطة المجتمعية من فنية وثقافية وسياسية، ففي عالم يتنفس اتصالاً، العزلة ليست اختياراً مُطلقاً، فكيف ينعزل الملح عن الطعام! وكيف يختفي النور، ومع ذلك يريد أن يضيء![٦١] ووجودنا في العالم ليس فقط لمصلحة العالم، بل لمصلحتنا أيضاً

٥٨ نفس المرجع السابق. مقدمة المُترجم «الحلقة المفقودة» ص. ١١-١٣

٥٩ يوحنا الأولى ٤: ٢٠

٦٠ أفسس ٣: ١٨

٦١ متى ٥: ١٣-١٦

فالبحيرة المُغلقة على نفسها تتحول إلى بركة آسنة والجماعات الدينية المعزولة تتحول إلى أماكن للبِدَع والهرطقات.

وإذا كانت العُزلة ليست خياراً وتصنع تدبيراً للجسد، فالحياة المكشوفة المُعَرَّضة لكل شي، هي أيضاً أمرٌ يصنع تدبيراً للجسد. نحن نحتاج أن نراعي ما الذي نُعَرِّض عيوننا وأفكارنا وقلوبنا له، فكما ينبغي أن نحافظ على أجسادنا من التلوُّث المادّي الكيميائي، ينبغي أن نحافظ على أرواحنا من التلوُّث الروحي. بالطبع العالم كله ساقط ومُلَوَّث روحياً، لكن نسب التلوُّث تختلف. في الفن مثلاً، توجد أعمال فنية تحمل قِيَماً عالية تكاد تكون رُوحانيّة. هذه الأعمال الفَنِّية تغذي أرواحنا وتُرهِف أحاسيسنا، ويمكن من خلالها أن يتكلم الله إلينا. وعلى الجانب الآخر، توجد أعمال فنية تكاد تكون مستنقعاً للابتذال والإسفاف. إذا عَرَّضنا عقولنا لهذه الأعمال والمواد الإعلامية، فحتى إن لم يؤد التعرُّض لها إلى تجربة مباشرة بالخطية، ربما يؤدي إلى الفتور وفقدان الرؤية الروحية، وربما إلى الاكتئاب الروحي.[٦٢]

> نحتاج أن نراعي ما الذي نُعَرِّض عيوننا وأفكارنا وقلوبنا له، تماماً كما نُحافِظ على أجسادنا من التَلَوُّث.

واستكمالاً لمفهوم الاتزان بين التدريبات الروحية، فإنه إن كانت الشركة من التدريبات الروحية، فالسرّية أيضاً من التدريبات الروحية التي توضع مع الشركة في حالة اتزان جدلي. وتقدم جان جونسون التعريف التالي للسرية في قاموس التدريبات الروحية الذي ترفقه بأحد كُتُبِها[٦٣]:

---

62 Martyn Lloyd Jones, *Spiritual Depression*, (Grand Rapids: Eerdmans, 19651994-).

٦٣ جان جونسون، *دعوة إلى حياة المسيح*. ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٣) ص. ٢٥٣

> السرّية هي عدم السماح لأعمالنا الصالحة أن تُعرَف من الناس وهذا لكي نتعلم التواضع وتكون لنا حياة شركة سرّية مع الله. يضاف إلى ذلك أيضاً الامتناع في بعض المرات عن المشاركة الروحية مع البعض.

بعد أن كان يوسف في سذاجة روحية، ربما لم تخلُ من بعض الكبرياء، يشارك أخوته بأحلامه دون أن يفكر كيف سيكون تأثير هذه الأحلام عليهم وعلى علاقته بهم، تَعَلّم بالطريقة الصعبة أن يضبط نفسه، فعندما جاء أخوته إليه في مصر، ظل وقتاً طويلاً لم يكشف لهم عن هويته.[٦٤] يسوع أيضاً كان يعرف ماذا يقول ومتى ولمن، فلا يقول حقائق لمن لا يستطيعون استيعابها فتكون ضرراً لهم أكثر من الفائدة.[٦٥] الحياة المعزولة والحياة المكشوفة، كل منهما تصنع تدبيراً للجسد. لذلك فإن لِبس شخصية المسيح، هي ببساطة اتباع أسلوبه المُتَّزن في الحياة.

تغيير أسلوب الحياة موت

مثلما يتحوَّل السلوك مع التكرار إلى كيانٍ مستقل بذاته، وتصبح له حياة خاصة به، فإن أسلوب الحياة المُكَوَّن من سلوك وفكر ومشاعر وعادات، يصبح مع الوقت أيضاً جزءاً مِنّا، بل ونُوَرِّثُه للأجيال التالية مثلما ورثناه من الأجيال السابقة، فيكون تغييره ليس سهلاً أو سريعاً، بل يكون بمثابة موت. لهذا السبب قبل أن يطالب الرسول بولس المؤمنين في الأصحاح الثاني عشر بألا يشاكلوا هذا الدهر ويتغيروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم، افتتح الأصحاح بمطالبتهم بأن يكونوا مستعدين أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حَيَّة. أي أن يكونوا مُستَعِدِّين أن يُميتوا أسلوب حياتهم القديم.

إن أسلوب الحياة الذي اتبعناه في الطفولة وتدربنا عليها وشاهدنا آباءنا وأمّهاتنا، وكل الناس من حولنا يعيشونه، يتحول إلى مسارات عصبية محفورة في المُخ بشكل تركيبي تشريحي يمكن تصويرها ورؤيتها بالعين المُجَرَّدة. وهكذا تتكون هذه العلاقة

---

٦٤ تكوين ٤٢-٤٥

٦٥ متى ٧: ٦، يوحنا ١٦: ١٢

التبادُلية بين المخ والسلوك، فالمُخ يؤثر على السلوك، والسلوك أيضاً يؤثر على المُخ. على سبيل المثال هناك تغييرات وراثية تجعل الطفل المولود مُعَرَّضاً لإدمان الكحوليات مثلاً، وعندما يشرب الكحوليات ويُدمِنها فهذا السلوك بدوره ينشئ تغييرات أعمق في المُخ تجعل الإقلاع عن الكحوليات في مُنتهى الصعوبة، وهكذا تنشأ دائرة مُفرَغة يكون كسرها بمثابة موت لكيان نشأ وترعرع وعَمَّق جذوره في مُخ الإنسان. لكن هذا لا يعني استحالة التغيير، فالمخ قابل للتشكيل من خلال ترك السلوكيات القديمة واتباع سلوكيات وعلاقات جديدة وهذه الخاصية في المخ تُسمى "المرونة العصبية" Neuroplasticity

ولإثبات ذلك أجري د. دانيال آمِن Daniel G. Amen أبحاثاً صَوَّر فيها التأثيرات التشريحية التي تحدثها الصدمات والإدمانات والأمراض النفسية المزمنة على تشريح المُخ، كما سجّل أيضاً كيف يؤدي التعافي من هذه الأمراض والإدمانات إلى الاختفاء التدريجي لهذه التغيرات[٦٦]. ولكن بالطبع لا يحدث هذا بين يوم وليلة ولا بسهولة. إنه بالفعل كتقديم الجسد ذبيحة حَيَّة كل يوم، وكخلع متكرر العتيق ولبس الجديد.

البسوا المسيح

عندما تستقر اختياراتنا المُتكررة وأساليب حياتنا المُعتادة لتصبح «سِمات شخصية» فإنها تكون قد تَشَكَّلَت بشكلٍ يمكن لأجسادنا أن «تلبسه» مثلما نلبس الملابس وتأخذ شكل أجسادنا، أي تعتاد على أجسادنا وتعتاد أجسادنا عليها. عندئذ تحدث هذه الأشياء بشكل تلقائي دون أن نحتاج لأن نُفَكِّر فيما نفعل.[٦٧] هذا هو المقصود بأن «نَلبَس المسيح» . لقد لَبِسنا العالم وتعوَّدَت عليه أجسادُنا، أي أننا لقد تَدَرَّبنا،

66 Daniel G. Amen, *Change Your Brain, Change Your Life* (N.Y.: Three Rivers Press, 1998)

٦٧ جان جونسون، تجديد القلب ـ اختبارات يومية. ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلة، ٢٠١٣) ص. ٣٩

وتَدَرَّبت الأجيال السابقة التي انحدرنا منها، على أن نعيش بشكل شبه طبيعي وتلقائي، حياةً تصنع تدبيراً للجسد، ولكي نعيش أسلوب حياة جديداً، لا يصنع تدبيراً للجسد، لا يكفي فقط أن نَخلَع ونُميت هذه الأساليب للحياة، بل ينبغي أن نلبس أسلوب حياة المسيح. إننا عندما نُمارس بشكل مُتَكَرِّر ومُثابِر التدريبات الروحية المختلفة التي عاشها المسيح، وعاشها المسيحيون عبر الأجيال المختلفة، فنحن عندئذ «نلبس» شخصية المسيح و«نَخلَع» الشخصية الأخرى التي ألبسنا إياها عالمٌ بعيد عن الله. أي يُصبح السلوك المُشابه لسلوك المسيح أقرب لنا ويخرج منا بشكل شبه تلقائي، بدلاً من أسلوب العالم الذي كان يخرج مِنّا.

كتب دالاس ويللارد[٦٨] عن الكيفية العملية التي كان بولس الرسول بها، يلبس المسيح، قبل أن يوصي أهل رومية بهذه الوصية:

> إن الانضباطات أو التدريبات الروحية هي في واقع الأمر«رياضة للتقوى»...هل كانت «رياضة التقوى» التي تكلم عنها بولس الرسول، مفهوماً مجرداً ومعنى سامياً؟ أم أنها كانت مساراً واضحاً ومحدداً وطريقة مفهومة ومُعاشة للحياة، عاشها هو بنفسه ودعا الآخرين ليشاركوه فيها؟ بالطبع كانت رياضة التقوى مسار حياة عملياً وواضحاً ومُعاشاً. حتى أن بالنسبة له ولمعاصريه، لم يكن هناك احتياج لكتابة كتاب عن تدريبات وانضباطات الحياة الروحية يشرح فيه ما كان يقصده.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١ - أن يكون لنا هدف أساسي هو التغير إلى شبه شخصية المسيح «لِبس الرَب يسوع المسيح» وأهداف أخرى فرعية تخدم هذا الهدف فهذا أسلوب حياة لا

٦٨. دالاس ويللارد، *التدريبات الروحية*. ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٢، ص. ١٩٠

يصنع تدبيراً للجسد.

٢- حتى يُمكِنَنا إماتة أعمال الجسد، ينبغي أن نتوقف عن أن نصنع تدبيراً للجسد، وأسلوب الحياة الذي لا يصنع تدبيراً للجسد، هو الأسلوب المُتَّزن، وبالذات في ثلاثة مجالات وهي هدف الحياة، والمُتعة والعلاقات.

٣- ألا نعيش حياة غارقة في المَلَذَّات وفي نفس الوقت نحترم السعادة والاستمتاع، فهذا أسلوب حياة لا يصنع تدبيراً للجسد.

٤- أن نعيش حياة مُتَّزنة بين ممارسة الشركة والاختلاء، فهذا أسلوب حياة لا يصنع تدبيراً للجسد.

٥- تغيير أسلوب الحياة أمر صعب نحتاج فيه لقوة ونعمة الله وللاستعداد لتقديم الجسد ذبيحة حيَّة كل يوم.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

بعض الاقتراحات لتدريبات عملية للتَوَقُّف عن صُنع تدبير للجسد.

الصوم. يمكن أن تصوم يوماً أو أكثر عن الحلوى، أو تُجَرِّب أن تتناول لمدة أسبوع الخضروات والفاكهة فقط. أو تتخلى عن وجبة دون أن تُفرِط في الأكل في الوجبات الأخرى. لا تُرهِق نفسك في البداية. ابدأ بالتدريج. الهدف ليس تحقيق عدد ساعات صيام، وإنما «كسر سُلطان» الطعام على روحك.

السرّية. جَرِّب أن تصوم عن التلفزيون، والإنترنت والمواقع الاجتماعية لمدة أسبوع ودَوِّن مشاعرك وملاحظاتك في يومياتك الروحية.

التعفف. امنع نفسك من التواجد مع الإنترنت بمفردك حيث لا يراك أحد. لا تُسرِف في مشاهدة المواد الإعلامية أو الأفلام الكوميدية المليئة بالإيحاءات الجنسية حتى ولو كانت فكاهية وتجعلك تضحك.

الخدمة. فَكِّر وصلّ أن يُرسل الله لك فُرَص خدمة غير تقليدية لا يوجد بها أي ظهور أو مجد من الآخرين، مثل خدمة الملاجئ وبيوت المُسِنِّين ومساعدة الناس في الشارع. في المرة القادمة التي تعطي فيها نقوداً لشحاذ في الشارع، انظر إليه في وجهه وابتسم، فربما تكون هذه خدمة أفضل من عطاء المال. إذا كنت ممن يخدمون خدمة ظاهرة، ربما تحتاج أن «تُعادِل» هذه الخدمات الظاهرة، بكمٍ كافٍ من الخدمات المخفية لكي تُخلِّص نفسك من الأعراض الجانبية للخدمة الجمهورية التي ربما تجعلك متصلفاً أومُتَكبِّراً.

الشركة والاعتراف. حاول أن تُشَكِّل لنفسك دائرة من صديقَين أو ثلاثة تشاركهم باستمرار خطاياك وزلّاتك وشهواتك، وتطلب منهم (ولو عن طريق رسالة نصّية) أن

يصلوا من أجلك وقت التجربة. شاركهم بالآلهة الغريبة التي في حياتك[٦٩] واطلب منهم أن يساعدوك، وساعدهم أنت أيضاً لمقاومة الآلهة الغريبة في حياتهم.

تكريس الجسد. جَرِّب أن تقوم بطقس تكريس الجسد الذي يقدمه دالاس ويللارد في كتابه تجديد القلب.[٧٠] لماذا لا تُكَرِّس نصف يوم أو بضع ساعات لهذا الأمر مع بداية كل فصل في فصول السنّة.[٧١]

قراءة الكتب الروحية. أقترح عليك أن تقضي فترة لا تقل عن شهر في قراءة وتأمُّل كتاب جان جونسون دعوة إلى حياة المسيح[٧٢]. هذا الكتاب يقدم دراسة لجوانب من شخصية المسيح في سبعة عشر فصلاً، وفي نهاية كل فَصل توجد اقتراحات لتدريبات بها تستقبل نعمة الله الخاصّة لكي يَتَصَوَّر هذا الجانب من شخصية يسوع فيك. ربما تفكر أن تُخصص أسبوعاً لكل فصل لدراسته وتطبيق التدريبات المُقتَرَحة. إذا استطعت أن تقوم بهذا مع مجموعة من الأصدقاء، يكون الأمر أكثر فائدة.

---

٦٩ أنا شخصياً لدي ثلاثة أصدقاء أشاركهم من وقت لآخر بصراعي مع الآلهة الغريبة التي في حياتي والتي تتنافس مع تكريسي للرب وهي الأكل، والجنس والشهرة، والمال (ربما أغلبنا يصارع مع كل هذه الآلهة أو بعض منها).

٧٠ دالاس ويللارد وراندي فرازي *تجديد القلب. ارتداء شخصية السيد المسيح.* ترجمة أوسم وصفي (عَمَّان: أوفير، ٢٠١٢) ص. ٢٠٣-٢٠٤

٧١ لقد لاحظت في حياتي أن كُل فصل من فصول السنة يمثل تحدّياً خاصاً بما فيه من أحداث وتعرض لنوعيات خاصّة من التجارب. بالنسبة لي الربيع والصيف فصول صعبة، حيث يُصبح فيها مزاجي سيئاً بسبب كراهيتي للحرّ وحرماني من التواجد في الطبيعة بسبب الحرارة الشديدة. ربما أيضاً تزداد التجارب الجنسية في ذلك الفَصل.

٧٢ جان جونسون، *دعوة إلى حياة المسيح.* ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٣)

الجزء الثالث

إنسان الملكوت

مُنضَبِط ومُثابِر بقَصد المحبة

الفصل العاشر

من يُجاهِد يضبط نفسه

الانضباط هو الجهاد الحقيقي

وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا أُولئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى. إِذًا، أَنَا أَرْكُضُ هكَذَا كَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ غَيْرِ يَقِينٍ. هكَذَا أُضَارِبُ كَأَنِّي لاَ أَضْرِبُ الْهَوَاءَ. بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا. (رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٩: ٢٥ - ٢٧).

من عدة سنوات قررت أن أعود لممارسة رياضة التنس التي كُنت أمارسها في شبابي ثم أهملتها. في البداية كان الأمر صعباً جداً. أن أقتطع وقتاً من جدولي، وأن أقود السيارة في زحام القاهرة لأصل إلى الملعب، ثم ألعب وأعود. بالاضافة الي ذلك كنت أعاني من فقدان المهارة، وبالتالي المُتعة، هذا فضلاً عن اللياقة البدنية المُتَدَنِّية التي تجعلني ألهث بعد مرور أقل من رُبع ساعة من اللعب، خاصة في فصل الصيف. ولأن الأمر لم يكن مُمتِعاً كنت أتعلل بأي شيء لكيلا أذهب للتدريب. فقررت أن أُقمِع جسدي (وجسدي هنا ليس جسمي وإنما ميلي للكسل) فقررت أن أدفع للمدرب عدة مرات مُقَدَّماً والمرة التي أعتذر فيها تُحسب وكأني لعبتها ويتقاضى أجرها. هذا دفعني لأن ألتزم، لأن تأنيب ضميري أنني أُبَدِّد مالي، كان يدفعني للنزول في الصباح الباكر وتحمُّل المشقة. بعد عدة شهور، أصبحت أستطيع أن ألعب ساعة كاملة وأكثر بدون تعب، وصرت أكثر مهارة ربما من المُدرِّب أحياناً، فصرت أستمتع بالوقت وأنتظره. ومع الوقت حصدت النتائج

الإيجابية لهذه المواظبة من جسد أكثر رشاقة ونفس أطول ومُعَدَّل أقلّ للدهون في الدم. نفس الشيء ينطبق علي التدريبات الروحيّة التي ربما تكون صعبة ولا تُرى أنها للفرح في البداية، لكن تعطي الذين يتدربون بها ثمر بر للسلام،[1] أي تغيير في الشخصية، وسلام مع النفس ومع الله ومع الآخرين. هذا السلام له لذَّة أقوى وأعمق من لذة الكسل والخطية، لكننا لا نحصُل على هذه اللَّذة بدون انضباط ومثابرة.

لذلك فإن الصورة التي يستعيرها بولس الرسول هنا تأتي من مجال الرياضة والألعاب الأولمبية التي نشأت في اليونان سنة ٧٧٦ ق. م. وبالتحديد سباقات الجري. وهو هنا يعقد مقارنة بين حياة المسيحي وحياة الرياضي الأولمبي، ويشير إلى شبهين رئيسين بينهما؛ الأول هو أن كلاً منهما يجري عن يقين. أي أن المكافأة التي يركض من أجلها شيء واقعي بالنسبة له، وهو هنا يقول أن جعالةَ[2] الحياة المسيحية أمرٌ واقعيّ يكاد يراه المسيحي بعينيّ الإيمان، مثلما يرى العداء اليوناني إكليل الغار الذي ينتظر أن يُتَوَّج به. وجه الشبه الثاني هو أن ما يراه المشاهدون في الألعاب الأولمبية من أداء رياضي فائق لهؤلاء العدّائين، وراءه حياة مستمرة من الانضباط في كل شيء. وهذا أمر ينطبق أيضاً على المؤمنين، فلكي يحيوا الحياة التي تجعل الناس تتساءل عن سبب الرجاء الذي فيهم، فهم أيضاً ينبغي أن يعيشوا حياة منضبطة في كل شيء. يكتب دالاس ويللارد كاشفاً عن السر الذي يجعل حمل المسيح خفيفاً، مع كونه في الواقع ليس كذلك. يكمن هذا السرّ في «التدريب» بمعونة الله.

---

١ الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ١١

٢ رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٣: ١٤ ، الرسالة إلى أهل كولوسي ٢: ١٨

هذه «السيمفونية» الرائعة من ردود الأفعال الجسدية السريعة ودقة التوقيت الهائل التي تجعل اللاعب يطير في الهواء في الوقت المناسب ليقابل بمقدمة رأسه الكره ليضربها محركاً رقبته بقوة لتنطلق الكرة كرصاصة في أقصى يمين المرمى أو يساره بحيث لا يستطيع الحارس أن يصل إليها. هذه ليست وليدة تلك اللحظة التي يصفق لها الجمهور ولا حتى المباراة كلها، أو اليوم، أو الأسبوع، بل هي نتاج حياة كاملة خلف الكواليس لا يراها الناس: كيف يأكل، وكيف ينام وكم ساعة يتدرب في صالة الألعاب، وكم ساعة يستمع إلى محاضرات المدرب، ويواظب على التدريب الجماعي يومياً، بالإضافة إلى المباريات التجريبية ومعسكرات الإعداد وغير ذلك. بدون كل ذلك لا يُمكن للرياضي أن يؤدي بالصورة التي نراها في المباريات. بعض من هذه العادات اليومية ربما يبدو سخيفاً بالنسبة لنا بالمقارنة بإبهار لحظة إحراز الهدف. لكن الرياضي هو من يعلم أنه يجب أن يمارس هذه التدريبات التي تبدو سخيفة ومُمِلّة، وبالصورة السليمة، وإلا تضيع الموهبة الطبيعية ويتبدد الجهد المبذول ويكسب الفريق الآخر الذي تدرّب أكثر وأعدَّ نفسه بصورة أفضل لخوض المباراة.[٣]

هذا هو بالضبط ما يقصده بولس الرسول عندما يقول أن من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. ليس فقط في الأداء و مُراعاة قوانين اللعبة داخل الملعب، وإنما في كل شيء في حياته خارج الملعب.

---

٣ دالاس ويللارد، *التدريبات الروحية*، (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٢) ص. ٢٤- ٢٥

انضباط التطهير

يرفض الرياضي بحزم شديد كل ما يعوق أهدافه في بناء جسده ومهاراته. يرفض السهر والمجون، والنَهَم في الطعام والأنواع غير الصحِّية منه، كما يرفض الخمور والتدخين وكل الأمور التي تجعله أقل قوة ولياقة في الملعب. الرياضي الناجح هو الذي يجعل كل حياته تدور حول محور وبؤرة واحدة وهي وقته في الملعب، بحيث يُصبِح الهدف من كل أوقات حياته هو خدمة تلك التسعين دقيقة التي هي مُدّة المباراة. هذا إذا كنا نتكلَّم عن لاعب كرة قدم مثلاً. المتابع لكرة القدم المصرية مثلاً، يستطيع أن يكتب قائمة ليست قصيرة من لاعبين أفذاذ لم تَجُد الملاعب بأمثالهم منذ عشرات السنين، لكن حياتهم الكروية انتهت مبكراً جداً ولم يقودوا فِرَقَهم للحصول على البطولات التي كان الجميع ينتظر منهم الحصول عليها. بعضهم انتهت حياته الكروية مُبكرًا بسبب عدم قدرته على التحكم في أعصابه في الملعب ودخوله في مشكلات عديدة مع الحُكام والمُدربين واللاعبين، والبعض الآخر بسبب عدم التزامه بتعليمات المُديرين الفنيِّين، والسفر وعدم العودة في المواعيد المقرَّرة، وبعضهم انغمس في حياة الليل والإفراط في الطعام والخمور والنساء، وغيرهم انصرف ذهنه للتجارة والمضاربة في البورصة بالأموال التي كان يحصل عليها من كرة القدم ففقد الاثنين معاً.

ما يقصده الرسول بولس بكلمة «مرفوض»، ليس فقدان الخلاص والسقوط من نعمة الله، وإنما أن يُصبِح غير مؤهلٍ لنوال الجائزة.

الكثير من لاعبي كرة القدم، والرياضيين الناجحين عموماً، الذين يحافظون على أجسادهم ومواهبهم، يمكن أن يرددوا مع بولس الرسول عبارات شبيهة، فيقولون مثلاً أنهم يلتزمون بتنقية حياتهم من كل الشوائب المُضرَّة لحياتهم الرياضية وذلك: «حتى بعد ما هتفت الجماهير لي، لا تهتف ضدّي» أو «حتى بعد ما أحرزت الأهداف لا أتسبب في دخولها في مرمى فريقي» أو «حتى بعد ما حَمَلتني

الجماهير على الأعناق، لا أصير نَسياً منَسياً». على كل مسيحي أن ينظر لحياته بنفس الطريقة ويخشى نفس المصير، وهذا بالتحديد هو الذي يخشاه الرسول بولس هنا ويعبر عنه بهذه العبارة: «بل أُقمِع جسدي وأستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين، لا أصير أنا نفسي مرفوضاً» هذا لا يعني أن خلاصنا هو أمر بأيدينا، فالربّ هو ضامن حياتنا الروحيَّة. وما يقصده الرسول بولس هنا بكلمة مرفوض، ليس فقدان الخلاص والسقوط من نعمة الله، وإلا لما كانت «نِعمة مجّانية» وإنما ما يقصده هو أنه يُصبِح غير مؤهلٍ لنوال الجائزة[٤] أي الإكليل الذي لا يفنى. رُبما نتذكر هنا أيضاً موسى الذي بالرغم من قيادته الشعب للخروج من مِصر والمعجزات العظيمة التي صنعها الرب على يديه، لم يدخل، هو نفسه، أرض الموعد بسبب عدم انضباطه الوجداني وضربه الصخرة بدلاً من التَكَلُّم إليها. هذا لا يعني بالطبع أنه قد فقد خلاصَهُ الأبديّ.

وفي رسالة بولس الثانية لتلميذه تيموثاوس، الذي كان أسقفاً لكنيسة أفسس، يُكرِّر بولس الإشارة إلى هذا الجهاد مؤكداً أن الرياضي في الميدان لا يُكلَّل (أي لا يحصل على الجائزة) إن لم يجاهد قانونياً[٥] (أي وِفقاً لقوانين اللعبة)، ثم بعد ذلك يقول كيف أنه يصبر على كل شيء من أجل المختارين لكي يحصلوا على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجدٍ أبدي. هنا يتضح أن الجائزة أو الإكليل الذي لا يُكلّل به إلا من يجاهد قانونياً، ليس الخلاص وإنما هو المجد الأبدي. ويستمر ليصف الفرق بين أمرين وهما الحياة الأبدية والمجد الأبدي. من آمن بموت المسيح الكفاري، فهو قد «مات معه» ولذلك سوف «يَحيا مَعه». ومن قد أضاف لإيمانه هذا صبراً، فلن يحيا معه فقط، بل سوف «يملك معه» أيضاً.[٦]

---

٤ الترجمة العربية المُبَسَّطة.

٥ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٥

٦ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٢: ١١، ١٢

وفي نفس الأصحاح، يقدم نفس المفهوم في صورة أخرى، فهو يُصوِّر بيت الله أنه بيت كبير به آنية كثيرة. كل مؤمن بموت المسيح وقيامته قد أصبح بنعمة الله إناءً في هذا البيت مختوماً بختم الملكية الذي يقول: «يعلم الله الذين له» وهناك ختم آخر ، يذكرني بالختمين الذين يختم بهما المُوَثِّق التوكيلات في الشهر العقاري هذا الختم الاخر يقول: «ليتجنب الإثم من يُسمّي اسم المسيح».

من يعيش وفق الختم الأوَّل فقط أنه «للرب» سوف يكون للرب وسوف يبقى «في البيت» أما من يعيش وفق الختم الثاني ويتجنب الإثم ويطهر نفسه من الأفكار والأقوال والأفعال النجسة، فلن يبقى في البيت فقط، بل سوف يتحول من إناء عادي (يمكن أن يكون إناءً للهَوَان[٧]) إلى إناء للكرامة، وهذه هي المكافأة وذلك هو المجد. والمجد ليس مجرد مكانة خاملة في الحياة الحاضرة والحياة الأبدية، بل عملاً صالحاً هنا وهناك.[٨]

نفس المعنى يقوله أيضاً بولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس [٩] حيث يُشبِّه الخلاص بأساس وضعه المسيح ولم يكن يستطيع أحد أن يضعه سواه، ولا يستطيع أحد أن ينزعه.[١٠] ثم يقول أننا نبني فوق هذا الأساس الراسخ من نوعيات مختلفة، وبحسب نوعية البناء تكون «الأُجرة»،[١١] وهذا هو «الإكليل الذي لا يَفنَى» الذي يشير إليه في الأصحاح التاسع من نفس الرسالة إلى أهل كورنثوس، وهو أيضاً «المجد» الذي يشير إليه في الأصحاح الثاني من رسالته لتيموثاوس.

من المُثير للاهتمام أن أكثر ما يُحذر بولس منه تيموثاوس لكي يُطَهِّر نفسه منه، هو التعاليم والأفكار النجسة[١٢] التي تنبع في الفكر والقلب وتؤدي للسلوك

---

٧ لعل الرسول بولس كان يشير هنا إلى الآنية المُستخدمة في «قضاء الحاجة».

٨ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٢: ٢١

٩ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٣: ١٠-١٤

١٠ إنجيل يوحنا ١٠: ٢٨، ٢٩

١١ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٣: ١٤

١٢ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٢: ١٧

فيتنجس بها الإنسان كله، وهي كما يشير المسيح ليست فقط الزنى والفسق والقتل والسرقة والعهارة، بل هي أيضاً الطمع (الذي هو عبادة الأوثان) والخُبث والعين الشريرة، وليس ذلك فقط، فالكبرياء والجهل أيضاً مِمّا يُنَجِّس الإنسان.[١٣]

التطهير للمحبة

منذ عدة أيام أرسل لي شاب رسالة يقول فيها اسمه، وأنه يريدني أن أرُد على اتصاله للضرورة القُصوى حيث أن من عادتي ألا أرد على الأرقام التي لا أعرفها، مُنتظراً أن من يحتاجني فعلاً يرسل لي رسالة. لم أتذكر الاسم وظننته أحد مرضاي يحتاج لمساعدة عاجلة، فعندما اتصل مرة ثانية، استقبلت المُكالمة، وإذا به يطلب مني أن أسافر لتقديم تعليم لمجموعة صغيرة من الشباب في قرية في الصعيد. شعرت بالغضب فاعتذرت بطريقة جافّة مُقتضبة. بعد أن أغلقت الهاتف شعرت بتأنيب ضمير شديد بسبب طريقتي في الكلام، وبدأ داخلي حوارٌ بين شخصيَّتين. الأولى غاضبة بسبب أن هذا الشخص استخدم لُغة أشعرتني أنه مريض في حالة سيئة. والشخصية الثانية كانت أقلّ غضباً وبدأت تحاور الشخصية الأولى:

- أنتي غاضبة أليس كذلك؟
- نعم؟
- لماذا؟
- لقد استخدم هذا الشخص لغة أشعرني بها أن ثمة مريض بحاجة لِلمُساعدة وهو ليس كذلك
- ولماذا يُغضبك هذا لهذه الدرجة؟
- لقد استغلَّني. لقد خدعني
- نعم

---

١٣ إنجيل مرقس ٧: ٢١- ٢٢

- بالإضافة إلى ذلك فهو سوف يجعلني أتردد في الردّ على من يحتاج للمساعدة فيما بعد
- منطقيّ، لكن هل هناك سببٌ آخر للغضب؟

صمَتَت الشخصية الأولى قليلاً، وتَذَكَّرت أنها قد تعهدت في السابق أن تكون أمينة مع الشخصية الثانية في كل شيء.

- نعم هناك سبب آخر لكنني أخجل من أن أقوله لك
- لا تخجلي عزيزتي، فأنا أراكِ من الداخل، فأنا وأنت واحد، ألا تتذكرين؟
- سوف «أجيب معك من الآخر» السبب الآخر للغضب هو كبريائي
- كيف؟
- كيف يَجرؤ ويطلب مني هذا الطلَب؟ كيف يتصوَّر أنني سأسافر هذه المسافة لكي ألقي محاضرة مع هذه المجموعة الصغيرة في القرية البعيدة؟ هذه حتى ليست كنيسة!
- نعم هذا إذاً هو الأمر. دعني أقول لك شيئاً، ما رأيك أن نخرج من أنفسنا قليلاً، ونُفَكِّر كيف يشعر هذا الشاب الآن بعد أن كلمناه بهذه الطريقة، وكيف يُفَكِّر؟ كيف رُبما يؤثر هذا على رؤيته لنفسه وخدمته، وحياته الروحِيّة؟
- وماذا تريدينني أن أفعل؟ هل أذهب؟
- لا أظن أن هذا هو المُهم، فربما اعتذارُكِ هو القرار السليم والاستثمار الأفضل لوقتِك ومجهودِك، لكن ما أقصد أن أعاتِبَكِ عليه هو رَدُّك الجاف الغاضب، والأكثر من ذلك، تلك الفِكرة المُتَكَبِّرة
- وماذا أفعل؟
- فلنبدأ برسالة اعتذار، ثم نرى

أرسلت رسالة الاعتذار من كلمة واحدة: «سامِحني». فعلت هذا وأنا أشعر أن بداخلي شيئاً يموت، وشيئاً آخر يحيا. وأتَصَوَّر أن نُقطة التحوُّل في طريقة

تفكيري، هي أن الشخصية الثانية «الخليقة الجديدة» بداخلي قد قامت بتغيير زاوية الرؤية، من الرؤية لنفسي وحقوقي، إلى رؤية الشخص الآخر وتأثير ما حدث عليه. عندما كُنت أفكر من منظوري، كُنت دائماً ما أجد لنفسي الأعذار المَنطِقِيَّة، فهذا الشاب بالفعل خدعني واستخدم لُغة خالية من الأمانة لكي يجعلني أرُدّ. لكن عندما أُفَكِّر من منظور الآخر، تختلف الرؤية تماماً.

هذا المنظور هو منظور المَحَبَّة الذي يتكلم عنه العهد الجديد مراراً، بل يدور الكتاب المقدس كله حوله. فليست المحبة في المفهوم الكتابي، علاقة صداقة أو رومانسية، أو حتى مشاعر، وليست حتى أفعال. إنها باختصار، الخروج من النفس، لرؤية الآخر والإحساس به، ومن هذا التغيير في المنظور تنشأ المشاعر والعلاقات وأعمال الخدمة والعطاء، وبدون هذا المنظور لا يُصبِح لأعمال الخدمة في حد ذاتها أي قيمة فمن المُمكِن أن تكون أعمال الخدمة في هذه الحالة، ضربٌ من البِرّ الذاتي نفعله لنرضى عن أنفسنا أو ليرضى عنا الآخرون، وهذا لا ينفع بُنياننا الروحي بشيء.

إذا كان علينا، كما يقول بولس الرسول أن نُطَهِّر أنفسنا لنكون آنية صالحة مستعدة لكل عمل صالح،[١٤] وإذا كان رجاء مُقابلة المسيح وتلقي المكافأة منه يجعلنا نُطَهِّر أنفسنا كما هو طاهر[١٥] فبُطرس الرسول يقول أن هذا العمل الصالح هو عمل المحَبّة، والطبيعة التي نشترك معه فيها هي طبيعة المحبة فيقول:

ليست المحبة في مفهوم الكتاب المقدس، علاقة رومانسية أو صداقة. ليست مجرد مشاعر، أو حتى أفعال. هي توجه الخروج من النفس لتحقيق صالح الآخر.

١٤ رسالة بولس الرسول الثانية لتيموثاوس ٢: ٢١

١٥ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣:٣

«طَهِّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح[١٦] للمحبة الأخوية العديمة الرياء، فأحبوا بعضكم بعضاً من قلبٍ طاهرٍ بشدةٍ»[١٧] ويتفق معه الرسول بولس عندما يقول أن غاية الوصية هي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء[١٨] ويقول أيضاً أن المحبة هي «رِباط الكمال»[١٩] لذلك فإن أي رغبة في الوصول إلى كمال لا تكون المحبة رِبَاطُهُ، تكون رغبة مُتَكَبِّرة شرِّيرة.[٢٠]

لذلك فرُبما المرة الوحيدة التي يستخدم فيها الرسول بولس تعبير «التدريب» فهو عندما يقول: «لذلك أنا أيضاً أُدَرِّب نفسي ليكون لي دائماً ضميرٌ بلا عثرة من نحو الله والناس»[٢١] أي أنه عندما يُدَرِّب نفسه ويُطَهِّر ضميره باستمرار، فهو يفعل هذا، ليس من أجل نفسه، وإنما يُطَهِّر نفسه في إطار محبة الله والآخرين،[٢٢] وعندما يُخرِجُ من قلبِهِ فِكرةً أو تَصَوُّراً شهوانياً أو شريراً، فهو يفعل ذلك لأن تلك الفكرة أو ذلك التَصَوُّر يُعَطِّلانه عن محبته لله وللإنسان. وليس التدريب والتطهير هدفه أن ننال رضى الله ونحصُل على التفوُّق الأخلاقي لنُصبِح أفضل من الآخرين، وإنما لكي نستطيع أن نتواصل معه ومع الآخرين بشكل أعمق، فالمكافأة هي العلاقة والقُرب، في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى.

---

١٦ نلاحظ هنا نفس المفهوم الذي عَبّر عنه بولس في «بالروح تميتون أعمال الجسد» فالفاعل هو «نحن» وقوة الروح هي القوة التي تعين أرواحنا.

١٧ رسالة بطرس الرسول لأولى ١: ٢٢ ، بطرس الثانية ١:

١٨ رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس ١: ٥

١٩ رسالة بولس الرسول لأهل كولوسي ٣: ١٤

٢٠ إنجيل لوقا ١٨: ١٠- ١٤ ، ١ كورنثوس ١٣

٢١ أعمال الرسل ٢٤: ١٦

٢٢ إنجيل يوحنا ١٧: ١٩

قمع الجسد

ربما كلمة «قمع» لا تُعطي المعنى المطلوب، خاصة بعد أن استُخدِمت بكثافة في المجال السياسي لتعطي معنى القهر، مثل قمع المعارضة، أو قمع المرأة. أمّا المقصود بقمع الجسد هنا هو «الشِدّة عليه لتدريبه» وهذا أكبر تعبير عن محبة الجسد. الرياضي هو أكثر إنسان يُقمِعُ جسده، وهو أكثر إنسان يحب جسده ويجعله صحيحاً قوياً متناسقاً ماهراً.

الرياضي يقمع جسده بألا يعطيه كل ما يرغب فيه من الطعام في كُل وقت، بل ما يحتاجه من أنواع الطعام الصحيّ والمُناسب لخطة بناء الجسد للوصول للهدف المنشود. الرياضي يقمع جسده بأن يضغط عليه في تدريبات شاقة تُقوّي من عضلاته وتُعضِّد من اتصال جسده بذهنه لكي يستطيع التحكم في جسده لأداء المهام الرياضية المطلوبة.

أيضاً كلمة «استعبده» ليس المقصود بها الإهانة كما قد فَهَم البعض تاريخياً، ومارس سلوكيات إهانة وإيذاء للجسد كنوع من التنفيذ الخاطئ لهذا التدريب. المقصود باستعباد الجسد هو أن يكون الجسد في خدمة الإنسان وليس العكس، الجسد خادم رائع، لكنه سيد فاشل لأنة لا يَملُك المؤهلات لذلك. وإذا كان هو السيد في مملكة الإنسان فهو يخربها[٢٣].

لذلك فإن إعادة التشكيل الروحي إلى شبه المسيح، هو عملية من تشكيل العالم الداخلي للنفس الإنسانية بطريقة تجعلها تشبه العالم الداخلي لشخصية المسيح. ولكي يحدث ذلك ينبغي إعادة تدريب أجسادنا أيضاً بحيث يصبح الميل الطبيعي لها هو أن تفعل الصلاح وتكره الشرّ. ولكي يحدث هذا ينبغي استئصال الميل للشر الموجود في هذه الأجساد. عندئذ يُصبِح الجسد فينا هو

٢٣ رسالة بولس الرسول لأهل فيلبي ٣: ١٩

الحليف الأول في عملية التشبه بالمسيح، وليس العدو، كما ظنّ أو لا يزال يظن البعض.[٢٤] لذلك فإن ضبط النفس والتطهير المستمرّ لذلك «الإناء» وتدريب الجسد لكي يكون أكثر خضوعاً للذهن المُجَدَّد والإرادة المُسَلَّمة للمسيح، هو الخيار الوحيد لكل من يُجاهِد قانونياً لكي يُكلَّل بالمجد في يوم المسيح. وهذا الإكليل ليس مجرد مجد وكرامة نحملها ونتباهى بها في الأبدية، بل هي علاقة أقرب ومسئولية أثقل[٢٥] تأتي مع المجد الأثقل.[٢٦] فمن يُريد؟

في النهاية يمكن أن نُلَخِّصَ الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١ - الحياة الروحية هي حياة انضباط في كل شيء مثل حياة الرياضي تماماً.

٢ - الحياة الروحية لها هدف ومكافأة يقينية مثلما للرياضي هدفٌ واضحٌ مُحَدَّد.

٣ - الذي يجاهد ويضبط نفسه في كل شيء يقوم بالتطهير المستمر لحياته لكي يكون إناءً للكرامة مستعداً لكل عمل صالح.

٤ - هذا التطهير ليس للتباهي، وإنما للمحبة الأخوية. والمحبة هي الخروج من النفس لرؤية الآخر والإحساس به.

٥ - قمع الجسد ليس إذلاله وإنما تدريبه لكي يطيع الذهن المُجَدَّد والقلب الخاضع للرب.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

---

٢٤ جان جونسون، *تجديد القلب. تدريبات يومية*. ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٣) اليوم الثامن والثلاثون.

٢٥ رؤيا يوحنا ٥: ٩

٢٦ رسالة بولس الرسول الثانية لأهل كورنثوس ٤: ١٧

بعض الاقتراحات لتدريبات عملية لتدريب الجسد على الحياة الروحية:[٢٧]

- عندما تبسط جسدك على الأرض كما لو كنت تقدمه ذبيحة أمام الله، ربما تُحِب أن تبدأ بعينيك. اطلب من الله أن يتولى مسئولية عينيك ويملأهما بحياته ويستخدمهما لمقاصده. ربما تريد أن يملأ الله عينيك بنظرات المحبة والرحمة والتقدير للناس الذين يحتاجون للتقدير. ربما تريده أن يحررهما من نظرات الغضب والاشمئزاز والشهوة. افعل الشيء نفسه مع أجزاء أخرى من جسدك: حاجبيك، فمك، كتفيك، حركة يديك وجسدك وكيف يمكن أن ينقلوا محبة الله ورحمته؟

- في المستقبل، وأنت تقرأ الأناجيل لاحظ حركات جسد يسوع. ماذا كان يفعل بيديه؟ متى ومع من جلس القرفصاء؟ إلى من نظر بعمق؟ استخدم هذه الأسئلة لكي تمتلئ بالتقدير والإعجاب للطريقة التي استخدم بها يسوع جسده لتقديم الحب وإتمام مقاصد الله بجسده. اختر موضوعاً من هذه الموضوعات الثلاثة لكي تكتب خواطرك اليومية عنه أو على الأقل تأمَّل فيها أثناء قيادة السيارة أو ركوب المواصلات.

- فَكِّري في كَمّ الوقت الذي تقضينه في العناية بجمال مظهرِك ـــ قَصَّة الشعر وتسريحته، شراء مواد العناية بالجَسَد، وشراء الملابس. ما هو تأثير قضاء كل هذا الوقت عليك؟ ما هي الرسائل التي ترسلينها لنفسِك (ولأبنائك) من خلال ذلك السلوك؟ ضعي علامة على الفكرة التي يُمكن أن تكون لديك وهي وراء سلوكيات العناية المُبالَغ فيها بالجسد: ( ) ينبغي أن أبدو جميلة دائماً ( ) مظهري هو أهم شيء بالنسبة لي ( ) سوف أشعر بالخزي إذا لم أكن الأجمل في المكان ( ) أشعر بالأمان عندما يكون شعري

---

٢٧ جان جونسون، تجديد القلب. تدريبات يومية (اليوم التاسع والثلاثون والأربعون)

في أفضل صورة ( ) أشعر بالغيرة عندما تكون هناك سيدة أخرى تجذب أنظار الناس أكثر مني.

- إذا كان لديك طقم واحد إضافي من الملابس (الذي هو أكثر مما لدى نصف سكان العالم)، كيف يمكن أن يكون هذا صعباً بالنسبة لك؟ فَكِّر في شكلك قبل تصفيف شعرك في الصباح؟ كيف يكون الأمر صعباً بالنسبة لك إذا لم تكن تمتلك مشطاً، أو غيرها من أدوات العناية بالشعر؟

- فكر لماذا يعتبر الناس التقدم في السن أمراً سلبياً جداً في الثقافة الحديثة وأن أفضل مجاملة يحصل عليها الإنسان هو أن يقال له أن يبدو أصغر بعشر أو عشرين سنة من عمره الحقيقي. تكلم مع الله عن أهمية (أو عدم أهمية) الشكل الخارجي بالنسبة لك. اطلب من الله أن يعلن لك كيف أن الحكمة تأتي من خلال التقدم في الأيام.

- ما هي انضباطات البساطة والتقشف في الملبس التي يمكن أن تكون مفيدة بالنسبة لك؟

الفصل الحادي عشر

اثبتوا

من انضباط الرياضي إلى ثبات المُحارِب

وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. (رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٦: ١٣).

فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ... إِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٥: ١، ١٣).

كم نبحثُ عن إنسانٍ ثابت يُمكِن تَوَقُّع ردودِ أفعاله دائماً! كم يُشعِرُنا بالأمانِ والطمأنينة أن نرى في حياتنا أشخاصاً قد بنوا حياتهم على صخرة مبادئ لا تُغيرها الظروف! كم نحتاج لأُناسٍ قد أسسوا حياتهم على قواعد من قِيَم لا تعصف بها الأحداث، فيظل سلوكهم يُعبِّر عن هذه القِيم مهما كان الثمن ومهما زادت عليهم الضغوط. كم نتمنى إنساناً لا يُغَيِّرُه المال أو تُفسده السُلطة أو تبهر عينيه الشهرة فلا يعود يرى الأمور على حقيقتها! كم يتمنى العالم أن يرى أُناساً لديهم «بوصلة» يشير فيها الشمال إلى الشمال دائماً وكذا الجنوب! هؤلاء البشر هم بمثابة الأعمدة التي تبني عليها الأسرة حياتها، ويقيم المجتمع عليهم قواعد استقراره وانضباطه.

اثبتوا

في فصلٍ سابق تناولنا فقرة كبيرة من رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس. هذه الرسالة تنقسم إلى جزئين رئيسين:

- يقدم الجزء الأول (ويضم الأصحاحات الثلاثة الأولى)، حقائق لاهوتية وروحية سامية. فهو يتكلم عن حقيقة عمل نعمة الله في المسيح، والوضع الروحي للمؤمن بالمسيح،[٢٩] وكذا قوة الروح القدس التي تؤيده في الإنسان الباطن بحيث يحل المسيح بالإيمان في قلبه[٣٠] ليفعل به وفيه أكثر جداً مما يطلب أو يفتكر بحسب قوة الله وليس قوة الإنسان،[٣١] وأيضاً تتكلم هذه الفقرة عن عمل المسيح المعجزيّ في الكنيسة الذي يُوَّحِد عنصريها من اليهود والأمم.[٣٢]

- ثم الجزء الثاني (ويضم الأصحاحات الثلاثة الأخيرة)، وهو عبارة عن وصايا أخلاقية سلوكية سوف تتحول إلى حقائق واقعة في حياتنا إذا قمنا «بتفعيل» تلك القوة الإلهية المُعجزية المُعطاة لنا بالنعمة والإيمان، وذلك من خلال طاعتنا لقواعد السلوك المذكورة في هذا الجزء. لذلك نجد الرسول يبدأ هذا الجزء الثاني بعبارة ربط هي «فأطلب إليكم» وكأنه يقول أنه بناءً على هذه القوة الإلهية المستعدة للعمل فيكم، فأنا أطلب إليكم أن تنووا

أخلاقيات الملكوت مثل تلٍ عالٍ يصل إليه الجندي ويرفع فوقه العلم. وعليه أن يثبت ويحمي هذا الموقع الاستراتيجي في الحرب الروحية.

---

٢٩ رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ١: ٣ ـ ٢: ١٠

٣٠ أفسس ٣: ١٦

٣١ أفسس ٣: ٢٠

٣٢ أفسس ٢: ١١- ٣: ١٣

وتُدَرِّبوا أنفسكم على السلوك بهذه السلوكيات، وسوف تجدوا القوة الروحية الداخلية فيكم تساعدكم لتحقيق تلك التغييرات الأخلاقية في شخصياتكم. هذه الوصايا الأخلاقية يمكن أن تنقسم بدورها إلى أخلاق شخصية تتعلق بالكلام واللسان والتحكم في الغضب والسرقة وإدمان الخمر والخطايا الجنسية المختلفة، ثم يتكلم بعد ذلك عن الأخلاق العلاقاتية فيتكلم عن علاقة الرجل والمرأة في الزواج، وعلاقة الآباء بالأبناء، والسادة بالعبيد (أي الرؤساء والمرؤوسين).

ثم في ختام هذا الجزء وختام الرسالة كلها يُقَدِّم وَصِيَّة ختامية، أرى أنها تختِم كل هذه الوصايا بختم الاستمرارية وهي «الثَبات»، حيث أن أخلاقيات الملكوت هذه مثل تلٍ عالٍ يصل إليه الجندي ويرفع فوقه العَلَمَ، ثم عليه أن يثبت ويحمي هذا الموقع الاستراتيجي، لأن قُوى العالم والشيطان لن تسكت، وسوف تحاول دائماً أن تُحدِرَهُ مرةً أخرى إلى وادي الخطية. لذلك في الفقرة الختامية لهذه الرسالة (الأعداد العشرة الأخيرة)، وقبل التحيات الختامية، نجد فعل الثبات هذا يتكرر ثلاث مرات، ومعه أيضاً أفعال مشابهة مثل «تَقَوَّوا» و «تُقاوِموا» و «مُنطِقين أحقاءكم». أن يمنطق المحارب نفسه بحزام، فهذا لغرض الثبات والقوة. وكلمة «مواظبة» تعني الثبات على ممارسة السلوكيات المذكورة في الفقرة السابقة. يقولون دائماً أن الحِفاظ على القمَّة أصعب من الوصول إليها، واستمرارية السلوك برغم الضغوط والإغراءات هو التحدي الحقيقي.

- من السهل أن نقول الصِدق عندما لا نكون تحت الضغوط، لكن التحدّي الحقيقي أن نستمر في قول الصدق عندما نكون مُهدَّدين بالضرر إذا قُلنا الصِدق.[٣٣]

- من السهل أن نسلك بطهارة في الأمور الجنسية، طالما المجتمع الذي حولنا

٣٣ مزمور ١٥: ٤ ب

«مُحافِظ» جنسياً. التحدّي الحقيقي هو أن نستمر هكذا في مجتمعات أخرى.

• من السهل ألا نسرق عندما نكون تحت مراقبة حسابية شديدة. لكن التحدّي الحقيقي عندما نؤتمن ولا يُراجِع أحد وراءنا.

• من السهل أن نتحكم فيما نقوله عندما نكون هادئين. التحدّي الحقيقي ألا نُخطئ ونحن غاضبون وخائفون.

• من السهل أن نعيش بلا مرارة وكراهية عندما نكون وسط من يحبوننا ويحترموننا. التحدّي الحقيقي أن نظل هكذا ونحن نعيش وسط من يضطهدوننا ويفترون علينا.[٣٤]

• من السهل ألا نشعر بالغيرة والحسد ونحن ناجحون. التحدّي الحقيقي هو أن نقاوم الغيرة عندما ينجح الآخرون ولا ننجح نحن.[٣٥]

• من السهل على الرجال أن يحبوا نساءهم ويخضعوا لهن، عندما تكون النساء مُحِبّات خاضعات بشوشات. التحدّي الحقيقي أن يفعل الرجال هذا مع النساء مُرّات النفس اللاتي يُشِعنَ حولهُنَّ جواً خانقاً من الاستياء والتذمُّر والكآبة.

• من السهل على النساء أن يخضعن لرجالهن ويُحبِبْنَهُم، عندما يكون هؤلاء الرجال مُحبّين متسامحين متفهِّمين صبورين. التحدّي الحقيقي أن تستمر النساء في ذلك مع الرجال الغاضبين العُنَفاء المسيئين.

• من السهل على الأولاد أن يطيعوا والديهم عندما يكون الوالدان حَنونين

---

٣٤ مزمور ١٢٠

٣٥ مزمور ٣٧ و ٧٣

مُشَجِّعَين. التحدّي الحقيقي هو طاعة الآباء المُتجاهلين نافدي الصبر دائمي التوبيخ.

- من السهل على الآباء ألا يغيظوا أولادهم المؤدَبين المطيعين المجتهدين. التحدّي الحقيقي هو اللُطف مع الأبناء المهملين، منحرفي المزاج متكرري الأخطاء.

في كل هذه الظروف الصعبة نحتاج للثبات. نحتاج لأن نظل محتملين ومواظبين على فِعل الحق والصواب تحت الضغوط. فسوف تأتي الضغوط ولابُد أن تأتي. لذلك بعد أن نُتَمِّم كل شيء، ونرسي قواعد العادات السلوكية السليمة، ينبغي أن نحافظ عليها. لذلك يصف في الأعداد الأخيرة من الرسالة صورة جندي يرتدي كل سلاح الحَرب ويقف ثابتاً مُنتظراً ما يُسمِّيه «اليوم الشرير»، وهو اليوم الذي تكون فيه الطاعة أصعب ما تكون.

اثبتوا في الحرية

ربما يكون هذا التعبير غريباً، فالحرية دائماً ما ترتبط بالحركة والانطلاق والتحليق مثل الطائر الذي يِنعَتِقَ من الفخ ويطير حُراً في السماء متنقلاً من غصن لغصن، لا يحتويه قفص ولا يُقيده خيط أو فخ. لقد جعل عمل المسيح من الحرية أمراً مُتاحاً ومُمكناً. بالفعل الفخ انكسر ونحن انفلتنا مثل العصفور من فخ الصيادين. لكن على هذا العصفور أن يُحافظ على حُرِّيته.

مما لا نستطيع أن نُنكِره، أن لدينا احتياجات. هذه الاحتياجات ربما تجعلنا نقع مرة أخرى في القيود ونفقد حُريتنا، مثل العصفور الذي ربما يدفعه جوعه أو تَهَوُّره أن يهبط ليلتقط حَباً من مكان يمكن أن يكون به فخ، فيعود للقفص مرة ثانية. لذلك فإن ثباتنا في الحرية ينبغي أن يكون مربوطاً بطرق جديدة صِحّية للتعامل مع كل أنواع احتياجاتنا حتى لا تقودنا هذه الاحتياجات مرة أخرى إلى العبودية.

احتياجاتنا الجسدية. جسدياً، نحن لا نحتاج فقط للطعام، بل نحتاج أيضاً للراحة والاسترخاء[٣٦] والاستمتاع. بل وأعمق من ذلك، نحتاج لأن نشعر بأجسادنا بقوّة. عندما لا تكون عِندنا طرقٌ كثيرة ومتنوعة وصِحّية لتسديد هذه الاحتياجات، فسوف نقع بسهولة في فخ إدمان الأكل والجنس، لأن هاتين هما الطريقتان الأسهل والأكثر بدائية لتسديد الاحتياج للشعور القوي بالجسد. وعندما تنحصر طرق تسديد هذه الاحتياجات في الأكل والجنس، فإننا نفتح الباب مرة أخرى للوقوع في فَخّ تَضَخُّم هذه الاحتياجات إلى أبعاد إدمانية مُدَمِّرة.

بعد مباراة رياضية قوية، أو جري لمسافة طويلة، فإنني أشعر بالتعب وأتنفس بصعوبة، لكن مع هذا يأتي أيضاً شعور لذيذ أصبحت أحتاجه وأشتاق إليه إذا تأخَّر، ففي هذا الوقت، أشعر بجسدي بقوة. أشعر بكل عضلة فيه، ولا سيما بعد الراحة وأخذ «دُش» بارد منعش. عندما أقود سيارتي عائداً للمنزل بعد هذه الخبرة «الجَسَدِيَّة» اللذيذة، أكاد أشعر بكل مِفصَل في جسدي وأشعر بالهواء يدخل ويخرج في رئتيّ بسهولة، وأُدرِك أنني أعيش كما ينبغي أن أعيش. نحن مخلوقون ومُعَدّون بشكل خاص لبذل المجهود الجسدي، في زراعة الأرض[٣٧] والمشي كيلومترات طويلة لرعي الماشية وغيرها. لذلك فعندما بدأ دخول التكنولوجيا حياة الإنسان، عندما اخترع «العَجَلة»، ولم يعد بحاجة لبذل نفس القدر من المجهود العضلي، سارع الإنسان باختراع «الكُرة» وكل أنواع الرياضة، لكي يستمر في الشعور بجسده بقوّة. إننا عندما لا نُمارِس الرياضة ليس فقط نُصاب بالضرر الجسدي الشديد ونتعرض للأمراض،[٣٨] بل أيضاً

---

٣٦ في ثقافة التعافي من الإدمان نتعلم أن هناك أربع حالات يكون فيها الإنسان مُعرَّضاً للتعاطي، أو ممارسة سلوكه الإدماني وهي التي يشار إليها بالحروف الأربعة HALT Hungry, Angry, Lonely, and Tired الجوع والغضب والوحدة والإرهاق. نلاحظ أن اثنين من هذه الحالات يمكن تجنبها بتسديد احتياجاتنا الجسدية من الأكل والراحة.

٣٧ تكوين ٢: ١٥

٣٨ يُعد عدم ممارسة الرياضة في حد ذاته من عوامل الخطر Risk Factors في الإصابة بأمراض القلب والشرايين.

نتعرض للإفراط في الجنس وإدمانه، وهذا ما حدث، لأننا في تلك الحالة، لا يكون أمامنا إلا الجنس لكي نشعر بأجسادنا بقوّة.[٣٩]

أيضاً إدمان المال والعمل يجعلنا لا نريد أن ننفق الكثير من الوقت في ممارسة الرياضة، وبالتالي تأتي العادات الجنسية المرتبطة بمشاهدة المواد الإباحية على الإنترنت كالبديل السريع والمُتاح في كل الأوقات. لهذا السبب ربما تشير عدة أبحاث إلى انتشار إدمان المواد الإباحية بالذات بين المهنيين، مثل الأطباء والمحامين، والقادة الدينيين،[٤٠] لأن هذه الفئات تعمل لأوقات طويلة وتحت ضغوط عصبية شديدة.

المحبة بدون حرية ليست محبة بل سيطرة. والحرية بدون محبة ليست حرية بل إهمال.

احتياجاتنا النفسية. المشاعر الشديدة مثل الخوف والغضب تجعل «مَنَاعتنا» ضد الخطية في أقل درجاتها. لذلك فكاتب المزمور الرابع عندما يقول «ارتعدوا ولا تُخطئوا»[٤١] كان يُدرك أن حالة «الارتعاد» التي تُصاحِب كلاً من الغضب والخوف، تجعلنا مُعَرَّضين للخطية، لأننا نلجأ إليها لكي نخرج بها من هذه الحالة. وهو لا يُشخِّص الحالة فقط بل يعطينا العلاج، فيضيف؛ «تَكَلَّموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا» الكلام مع النفس، أو الكتابة وتحليل الأفكار والمشاعر والمواقف، هو البديل الذي نخرج به من هذه الحالات، ونثبت في الحُرِّية ولا نرتبك مرة أخرى بنير عبودية للخطية.[٤٢]

---

٣٩ أوسم وصفي، *شفاء الحب. كشف الحقائق عن الجنسية المثلية*. (القاهرة: برنامج الحياة للمساندة والتعافي، ٢٠١١) ص. ١٤٤

40 http://www.christiancentury.org/article/201111-/clergy-too-battle-porn-addiction-often-alone

٤١ مزمور ٤: ٤

٤٢ أحياناً نحتاج لبعض الكُتب لتساعدنا على الكتابة Workbooks مثل كتاب مهارات الحياة (القاهرة: مؤسسة الحياة للمساندة والتعافي،٢٠١١)

ليس الغضب والخوف فقط هو ما يجعلنا أقل مقاومة للخطية، بل هناك الوِحدة أيضاً. إننا لذلك نحتاج لعلاقات عميقة مُشبعة تسدد احتياجنا للائتناس، وفيها نُمارس تدريبات الاعتراف والشَركة والسلوك في النور. للأسف الشديد، فإن ما يُميِّز أغلب العلاقات في أسلوب حياتنا الحاضرة، وبالذات في المُدُن الكبيرة، أنها علاقات سَطحِيّة،[٤٣] وما أسوأ هذا النوع من العلاقات! حتى أن صلاة البركة الفرنسيسكانية تقول في إحدى فقراتها:

ليباركم الله بعدم الارتياح، عندما تستمعون لإجابات سطحية عن أسئلة صعبة، وعندما تستمعون لأنصاف الحقائق والعلاقات السطحية، حتى تحيون حياة عميقة من داخل قلوبكم.

فكما نحتاج أن نشعر بأجسادنا بقوَّة، فنحن أيضاً نحتاج لأن نحيا حياة عميقة من داخل قلوبنا لكي نظل ثابتين في الحُرِّية. لهذا السبب بعد أن يؤكد بولس الرسول أننا ينبغي أن نثبت في الحُرية، يستدرك مُحَذِّراً إيانا أن الحرية ينبغي أن تتزن مع المحبة في توتُّرٍ جدلي، مثل الكثير من التوترات الجدلية الخلّاقة التي تميِّز الحياة المسيحية الحقيقية.[٤٤]

الحرية هي ألّا نُسيطِر على بعضنا البعض أو نَستَعبِد بعضنا البعض، ولكن المحبة في نفس الوقت، هي أن نكون مستعدين لأن يستعبد كل منا نفسه لأخيه من أجل هدف مصلحة هذا الأخ.[٤٥] عندما تكون شخصياتنا أنانية اعتمادية،

---

٤٣ لتنمية القدرة على عمل مثل تلك العلاقات الحميمة المبنية على المشاركة والانفتاح والاشتراك الوجداني، تُنَظِّم مؤسسة «الحياة» للمساندة والتعافي مدارس مهارات الحياة مثل BLESS وورش المهارات الحياتية مثل «واحة» للتدريب على ذلك. (للاستعلام: ٠١٢٧١٤٤٤١٣)

٤٤ هناك توترات جدلية في الحياة المسيحية، بدءاً من الجدليات اللاهوتية مثل تعدد الشخصيات في جوهر الله الواحد، وطبيعتي المسيح الإنسانية والإلهية، وانتهاء بجدليّات السلوك المسيحي، مثل القوة الكامنة في الضعف والذبيحة الحيّة وغيرها.

٤٥ أوسم وصفي، *صحة العلاقات. تحدي النضوج والشفاء في مجتمع حقيقي*. (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠٠٤-٢٠١١) ص ١٣٩.

فكثيراً ما يتعارض ما نسميه «محبة» مع الحُرية، فنستخدم خدمة الآخرين لا لكي نُطلِقَهُم أحراراً بل لكي نُسيطر عليهم. فكما أن الحُرية لا ينبغي أن تُستخدم لكي نُهمل الآخرين ونُحرِّر أنفسنا من مسئوليتنا تجاههم، فإن المَحبة أيضاً لا ينبغي أن تستخدَم للسيطرة على الآخرين، فالمحبة الحقيقية تترك الآخر حُرّاً لكي يستقبل المساعدة أو لا يستقبلها ويتعامل معها بالطريقة التي تناسِبه.[٤٦]

احتياجاتنا الروحية. «كلُ رجلٍ يقرعُ على باب بيت دعارة، فهو يبحث عن الله». هذه العبارة الصادمة التي قالها الفيلسوف المسيحي ج. ك. شسترتون منذ نحو قرنٍ مضى،[٤٧] تعكس حقيقة علاقة الجنس بالروحانية. الإنسان في حالة عطشٍ دائمٍ للاتحاد بالمطلق والالتصاق بالله وهو يجرب كل البدائل ليشبع ذلك الجوع الدفين بداخله.[٤٨] إننا نشتاق للحظات توجد فيها أفكارنا ومشاعرنا وأجسادنا في نفس الوقت في بؤرة مُكَثَّفة من الوجود يكاد يقف عندها الزمن. هذه اللقاءات الروحية الحميمة بالله، تجعلنا قادرين ألّا نُفتتن أكثر من اللازم بأي لقاءات أخرى مشابهة مع بشر. ولا ينبغي أن نَتَصَوَّر مُطلَقاً أن الدين أو الحياة الروحية المُلَوَّثة بنسبة عالية من التديُّن، يمكن أن تشبع هذا الاحتياج بل على العكس فهي تزيد منه، فالدين، هو نفسه إدمان، يَعِدُ بالالتصاق بالله، ثم يتركنا مع أنفسنا، وبعض الوصايا والطقوس والممارَسات، فيزداد جوعنا ويَتَعَمَّق إحباطنا.

الحياة الروحية المُلَوَّثة بنسبة عالية من التديُّن، لا يمكن أن تشبع احتياجنا الروحي، بل تزيد منه، فالدين، هو نفسه إدمان، يَعِدُ بالالتصاق بالله، ثم يتركنا مع أنفسنا، وبعض الوصايا والطقوس والممارَسات، فيزداد جوعنا ويَتَعَمَّق إحباطنا.

---

٤٦ غلاطية ٦: ٢-٥

47 Michael John Cusick, *Surfing for God: Discovering the Divine Desire Beneath Sexual Struggle,* (Nashville: Thomas Nelson, 2012) p.15

٤٨ أوسم وصفي، *شخصي جداً. الجنس في حياتنا*. سلسلة ١٨٠ درجة (عَمَّان: أوفير، ٢٠٠٩) ص. ٨٥

إن ما يُشبع جوعنا فنستطيع أن نثبت في الحرية، هو لقاءٌ حقيقيٌ مع الله، يملؤنا باللذة المقرونة بالرهبة، والخوف الممزوج بالطمأنينة والشِبع الذي يُفضي إلى جوعٍ بالمزيد. إنه اللقاء الذي فيه نرى أنفسنا على حقيقتها ونُدرك في تلك اللحظة التي ينفتح فيها الزمن على الأبد، كيف أننا محبوبون كما نحن، وفي نفس الوقت مدعوون إلى عمقٍ فيه نعرف أنفسنا كما لم نعرفها من قبل، ونُحبّها ونستقبل حُبّ الله لها كما لم نستقبل من قبل، وندرك كما لم نُدرِك من قبل أن مثل هذه الأعماق من الاتحاد بالله مُتاحةٌ لبني البشر.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١- الثبات والاستمرارية في حياة وسلوكيات الملكوت ربما تكون أصعب من البدء في اختبار هذه الحياة.

٢- لكي نَثبُت في الحرية ينبغي أن نعرف كيف نُسَدِّد احتياجاتنا بطرق صِحّية.

٣- جسدياً نحن نحتاج للطعام والراحة والاسترخاء واللذة الجسدية، وأن نشعر بأجسادنا بقوة. إذا لم نُسَدِّد هذه الاحتياجات بطرق صِحّية مثل الأكل الصحّي والراحة (وصية حفظ السبت) والرياضة فسوف يصعب أن نَثبُت في الحُرية.

٤- نفسياً، نحتاج للعلاقات الحميمة التي تتيح لنا فُرصة المشاركة بمشاعرنا ومراجعة أفكارنا، وممارسة الاعتراف والشركة. عندما نكون في وِحدة وعزلة أو في علاقات سطحية، فسوف يصعب أن نثبُت في الحرية.

٥- روحياً نحتاج لاختبار لقاء حميم مع الله يُشبِع أرواحنا التي تشتاق إلى لحظات من اللقاء بالمُطلَق تتركز فيها بؤرة كل أفكارنا ومشاعرنا حتى يكاد يقف عندها الزمن.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

بعض الاقتراحات لتدريبات عملية للثبات في الحُرِّية:

الصوم. خذ خطوة للأمام أكثر في تدريب جسدك على الحد من احتياجه للطعام. جَرِّب أن تصوم أكثر من يوم معتمداً على المشروبات فقط، أو يوم واحد تشرب فيه الماء فقط. في كل لحظة تشعر بالجوع، فكِّر نفسك بالآية: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كَلِمة تخرج من فم الله» (متى ٤: ٤، تثنية ٨: ٣). واطلب القوة الكامنة في ملكوت الله لكي تعطيك الطاقة الروحية التي تجعلك قادراً على احتمال غياب الطعام.

الصمت والاختلاء. حاول أن تقضي نصف يوم بدون أي كلام وبدون أن تستخدم الهاتف أو الإنترنت.

الشركة والاعتراف. سجِّل أفكار الخطية التي يجرِّبك بها الشيطان وشارك بها أحد الأصدقاء، مثلما شارَكَ يسوع تلاميذه بتجربته في البرّية.

العبادة. اقض ساعة في إحدى الحدائق العامة تتأمل الطبيعة وتشكر الله من أجلها. ربما تستمع في ذلك الوقت إلى بعض الترانيم التعبُّدية التي تُسبّح الرب وتشكر الرب. هناك العديد من الترانيم الجميلة تستخدم المزمور المائة والثالث: «باركي يا نفسي الرب»

الخدمة. ابحث عن خدمة تطوعية في إحدى الملاجئ أو دور الرعاية. افعل أي شيء لهؤلاء الأطفال يطلبه منك المسئولون هناك.

ممارسة الإبداع. من احتياجاتنا الروحية أيضاً التي تجعلنا نثبت في الحرية، هي ممارسة الإبداع. في لحظات الإبداع، يكون الإنسان في حالة روحانية إذ يُشارِك الله في صفة إلهية بحتة، هي صفة الخلق. الإبداع يطلقنا في لحظات حُرّية من

قيود الجسد والزمان والمكان. من الأفكار الخاطئة أن الإبداع ينحصر في بعض المواهب الفَنِّية مثل الرسم والموسيقى والتمثيل، في حين أن للإبداع صُوراً كثيرة بحيث يمكن لأي إنسان أن يختبر لحظات من الإبداع الحُرّ. أي عمل لشيء جديد هو إبداع، من الكتابة إلى الزخرفة، من طهو أكلات جديدة، إلى تنسيق الزهور، من عزف الموسيقى إلى الاستماع إليها، من إعادة ترتيب أثاث المنزل، إلى التفصيل، من تنسيق الكُتُب في المكتبة، إلى التصوير، إلى تحرير الصور والفيديوهات (Editing). كل لحظة تشعر فيها أنك تصنع شيئاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل بهذه الصورة، فهي لحظة إبداع.

الفصل الثاني عشر

لا تَهَاوُن

تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة

إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ. (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٢: ١٢، ١٣).

يحكي الإنجيل الأول[٤٩]، إنجيل مرقس، والذي عادة ما يصف القصص بكثير من الحيوية الدرامية، أن يسوع دخل كفر ناحوم، وربما دعاه أحدُهُم في بيته ليُعَلِّم. وسمع الناس أنه في ذلك البيت، فاجتمع كثيرون فلم يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ.وظلّ يسوع يُعَلِّم الجموع. ثم ظَهَرَ بين الجمع أربعة رجال يحملون مفلوجاً. من الواضح أنه كان مُصاباً بالشلل الرُباعي ولا يستطيع الحركة مطلقاً، لذلك احتاج لأربعة يحملونه من يديه ورجليه. كان لدى هؤلاء الأصدقاء الأربعة إيمان «عميق» بيسوع أنه يستطيع أن يشفي صديقهم، وقد خَلَق فيهم ذلك الإيمان تصميماً أن يُقَدِّموه إلى يسوع مهما كان ذلك صعباً. لقد شعروا أن هذه فرصة لا ينبغي تفويتها. وعندما لم يقدروا أن يقتربوا من يسوع ليقدموا له المفلوج من أجل الجمع الغفير الذي كان مُحيطاً بهم، صعدوا إلى سقف هذا المنزل. وغالباً ما كان ذلك وسط تعجب واستهجان الجموع الذين ربما حاولوا أن يثنوهم عَمّا كانوا يفعلون، لكن يبدو أنه لم يكن بالإمكان التصدّي لتصميم هؤلاء الرجال الأربعة.

---

٤٩ بالطبع معروفٌ أنه بحسب ترتيب الأناجيل في كتاب العهد الجديد، إنجيل متى هو الإنجيل الأول، لكن تاريخياً، كان إنجيل مرقس هو أول إنجيل كُتِبَ.

صعد الرجال إلى سقف ذلك البيت الريفي الذي كان غالباً مصنوعاً من عروق خشب مغطاة بسعف النخل، وصنعوا فتحة كبيرة في السقف تكفي لتدلية رجل من أطرافه الأربعة. ربما لم يعد هناك سقف بعد ما فعلوه. وبالطبع صنع ذلك ضوضاء شديدة وأثار أتربة أزعجت كل الموجودين وبالتأكيد قاطعت يسوع وهو يُعَلِّم. وإذا تخيَّلت نفسي مكان يسوع في ذلك الوقت، فبالتأكيد كُنتُ سأشعر بالانزعاج وفقدان التركيز، وغالباً ما كان سيكون موقفي عدائياً من هؤلاء الرجال الأربعة الذين لم يحترموا الاجتماع الذي يتم فيه الوعظ والتعليم بكلمة الله لكي يفعلوا ما فعلوا.

لكن ما قد أثار يسوع في ذلك الموقف، ليس الضوضاء وإنما الإيمان الشديد الذي في قلوب هؤلاء الأربعة، والذي أنشأ فيهم ذلك التصميم. فماذا فعل يسوع عندئذ؟ يقول الإنجيل: فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»[٥٠] ثم قال له أيضاً «لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»[٥١]

وإذا وضعت نفسي مكان المفلوج، فعالباً ما كنت سأقول، على الأقل في عقلي: ما هذا الذي تقوله؟ ألا ترى أنني مفلوج؟ لو كُنت أستطيع القيام، وحَمل سريري، لما اضطر هؤلاء الرجال الكُرماء أن ينقبوا السقف ويدلُّوني! لا توجد قوّة في جسدي لكي أقوم، لا أستطيع. اشفني أولاً. أوليس هذا حالنا في أغلب الأحيان، عندما يطالبنا الإنجيل أن نفعل ما نشعر أننا لا نستطيع أن نفعله؟ فالإرادة مشلولة تماماً والقوّة غائبة بشكل مأساوي. وأتصور أن رد يسوع عليه سوف يكون: أَعلَم يا بُنيّ، لذلك سوف أضع في جسدك قوَّةً لم تكن موجودة من قبل، فقُم.

- ضع القوّة أولاً وعندما أشعر بها وأتأكد منها، سوف أقوم. لا أريد أن أقوم بمحاولات فاشلة جديدة. لقد حاولت مراراً وفشلت. لا أريد أن أتعرض للمزيد من الإحباط

---

٥٠ إنجيل مرقس ٢: ٥

٥١ إنجيل مرقس ٢: ١١

- وكيف ستشعر بالقوة وتتأكد منها، إن لم تُحاوِل أن تقوم وتمشي

رُبما يدور حوار كهذا إلى ما لا نهاية داخلنا، فكل من الطرفين له «وِجهة نظر» وهو في واقع الأمر، ينظر للأمر من زاوية مختلفة. المفلوج ينظر من خلال ضعفه، والمسيح ينظر من خلال القوّة التي يعلم أنه سوف يضعها فيه. لحسن حظ ذلك المفلوج أنه لم يدخل في هذه الدائرة المُفرَغة، بل دَفَعته رغبته الصادقة في الشفاء وإيمانه بكلمة يسوع وقوته، أن يُطيع. فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل. هذا هو الإيمان العملي المُطيع الذي «يفعل» ويُخرِجُ للخارج، القوة التي يضعها الروح القدس في الداخل.

هذا هو بالتحديد ما يقصده بولس الرسول عندما يقول: «تمِّموا خلاصَكُم بخوفٍ ورِعدة» (ضاعفوا جهودكم بتوقير وخوف)[٥٢] وفي اللغة الإنجليزية[٥٣] تأتي هكذا Continue to work out your salvation وهذه الترجمة تعكس مفهوم «التفعيل الخارجيّ» لقوَّة روحية داخلية، فليس هناك ما يُفَعِّل هذه القوة، إلا إيمان يُعبر عن نفسه من خلال شيء واحد فقط، وهو الطاعة والمحاولة.

٥٢ الترجم العربية المُبَسَّطة

٥٣ الترجمة الدولية الحديثة NIV

الله هو العامل فيكم

الله هو صانع الخلاص ومصدر القوة، وهو الذي يعطيها لنا مجاناً بروحه. هذه القوة لا تُفَعَّل إلا بالإيمان الذي يُعَبِّر عن نفسه بالطاعة.

عندما تريد أن تقوم بتنزيل برنامج مجاني من الإنترنت، ماذا تفعل؟ إنها نقرة بسيطة بفأرة الحاسوب على مُربَّع مُلَوَّن مُصَمَّم لكي يكون واضحاً فلا تُجهِد نفسك حتى في البحث عنه، ثم تقوم بتكرار النقر على مربعات متتالية تقول «التالي» أو «نعم» ثم تجد البرنامج قد وضع لنفسه أيقونة على سطح مكتبك وأصبح مستعداً لتنفيذ أوامرك. بالطبع هذه الخطوات لا تُقارَن بالمجهود الرهيب الذي قد بُذِل عندما سَهَر عددٌ من المُبَرمِجون الليالي وتقاضوا آلاف الدولارات لكي يخترعوا ويكتبوا ويكتشفوا الثغرات في هذا البرنامج ويصحِّحوها ويطوِّروه لكي يصبح على هذه الصورة، ثم تم وضعُه مجاناً على الشبكة العنكبوتية، لكي تحصل أنت عليه بتلك الخطوات البسيطة. إنهُ برنامج «مجاني» لكنه ليس «رخيصاً».

بالرغم من أن الخطوات التي قُمتَ أنت بها، لم تَفْعَل شيئاً «لخلق» البرنامج من العَدَم، إلا أنها الوسيلة الوحيدة «لتفعيل» وتثبيت ذلك البرنامج وجعله يعمل على حاسوبك، وبدونها لن يصبح البرنامج متاحاً لك للعمل، ولن يُصبح حقيقة واقعة تغير «حياة» حاسوبك تماماً وتجعله قادراً أن يفعل أشياء لم يكن ليقدر أن يفعلها بدون ذلك البرنامج. هذه الخطوات، هي في واقع الأمر البرهان العمليّ على إيمانك بهذا البرنامج، والدليل الأقوى حُجّةً، على شعورك باحتياجك الحقيقي إليه وثقتك به، وبالمصدر الذي تحصل عليه منه.

الله هو صانع الخلاص ومصدر القوّة وهو الذي يعطي لنا هذه القوة بروحه، لكي تعمل فينا، وتُغَيِّر حياتنا بالكامل.[٥٤] لكن هذه القُوَّة تظل غير فاعلة إلا من خلال الإيمان الذي يعبر عن نفسه بالطاعة[٥٥] للوصية، والسلوك كما لوكانت القوة موجودة بالفعل، فتوجد.[٥٦] يقول المسيح: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً»[٥٧] هذه العبارة لها معنيان، المعنى الأول الواضح، هو أنه مصدر القوّة وأننا بدونه لا نستطيع أن نفعل شيئاً إلا الخطية، فهو الكرمة ونحن الأغصان التي لا يُمكن أن تثمر، بل حتى أن تعيش (كغصن كرمة) دون أن تثبُت في الكرمة وتستمد منها الحياة والقدرة على الإثمار. أما المعنى الثاني الضمني، الذي يغيب عَنّا في أحيان كثيرة، هو أنه بقوله هذا، يقول أيضاً: «معي تقدرون على فعل أشياء كثيرة».[٥٨]

تحرير الإرادة

من أجمل وأعمق ما كُتب عن مأساة الحياة الإنسانية وعبودية الإرادة البشرية، ما كتبه بولس الرسول في الأصحاح السابع من رسالته لأهل رومية. في هذا الأصحاح يصف الرسول حالة إنسان يؤمن بالناموس وبالمسيح ويريد أن يعيش مع المسيح وللمسيح، ويطيع وصايا الناموس. لكنه يريد ولا يستطيع. إنه مثل ذلك المفلوج الذي كلما يضغط على يديه وقدميه، لا يجد عضلاته تستجيب، أو مثل شخص آخر مُصاب بمرض عصبيّ يجعله عندما يهم بالذهاب في اتجاه، يجد جسده يأخذه في اتِّجاه آخر وكأن إرادته الحَيَّة التي تريد الحياة والبر والصلاح وتبغض الشرّ والخطية، تجد نفسها مأسورة ومربوطة في إرادة أخرى ميتة.

---

٥٤ أعمال الرسل ٣: ١٦، الرسالة إلى أهل رومية ٤: ١٩-٢١، ٨: ٩،الرسالة الثانية لأهل كورنثوس ٣: ١٨، ٤: ٧، ١٠: ٣-٤

٥٥ كورنثوس الثانية ١٠: ٥-٦

٥٦ إنجيل مرقس ٩: ٢٣، و إنجيل يوحنا ١١: ٤٠

٥٧ إنجيل يوحنا ١٥: ٥

٥٨ رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٤: ١٣

نحن نعلم أن الشريعة روحية، أما أنا فطبيعتي جسدية فأنا مُباعٌ كعبد لأعيش خاضعاً للخطية. ولست أعلم ما الذي يحدث لي، لأني لا أفعل ما أريده، بل أفعل الأشياء التي أبغضها!... لكنّي لست أنا من يفعل هذه الأمور فيما بعد، بل الخطية الساكنة فيَّ... فأنا أُسَرُّ في أعماق كياني بشريعة الله، لكنني أرى قانوناً آخر يعمل في جسمي وهو يحارب المبدأ الذي يسود في عقلي، ويجعلني أسيراً لقانون الخطية الذي يعمل في جسمي. فما أتعسني من إنسان! من سينقذني من هذا الجسم الخاضع للموت؟[٥٩]

ما يصفه بولس الرسول هنا هو إنسان قد عَمَل روح الله فيه ليُريد. ولكن هناك خطوة يقف عندها وهي أن «يعمل» ما يريده. لقد أحيا روح الله روحه وجعل إرادته تخضع، وجعل ذهنه يقتنع، بل وأصبح يُسرّ بناموس الله على ذلك المستوى من كيانه، لكن يبدو أن هناك انفصالاً بين هذا المستوى في كيانه والمستوى الأدنى، الذي وصفناه من قبل بمستوى المعتقدات والعادات الدفينة، والتي يشير إليها هنا بتعبير «قانون آخر يعمل في جسمي». هذا القانون الآخر يحتاج، كما سبق وشرحنا بالتفصيل في هذا الكتاب، أن يُقَدِّم ذبيحة حية كل يوم ويتمّ تدريب الإرادة كل يوم لكي يتغيَّر الإنسان ككل وعندئذ يتصوَّر المسيح فيه تدريجياً.[٦٠]

كيف يتَغَيَّر الناس؟

عندما أتكلَّم عن النموَ والتغيير، كثيراً ما يصادفني من الناس سؤالان وهما في الواقع اعتراضان، يبدوان متناقضين ومتقابلين، ويأتيان غالباً من نوعيتين من الحاضرين، يتفاعل كل منهما بطريقته الخاصّة لما أقوله عندما أتكلم عن النمو الروحي والتغيير والتعافي من الأمراض النفسية والسلوكية وعيوب الشخصية. في الحقيقة لكلٍ من الاعتراضين نصيبه من المنطق والوَجاهة، وهما يبدوان

٥٩ الترجمة العربية المُبَسَّطة

٦٠ غلاطية ٤: ١٩

متناقضين، لا لشيء إلا لأن كل منهما ينظر للقضية من زاويته الخاصة.

الاعتراض الأول، هو أنني عندما أتكلم عن دور «وعي الإنسان بنفسه» و«عمل الإنسان على نفسه» في التغيير، وبالذات عندما أتطرق لدور«علم النفس» أو«مبادئ التعافي»، فإن المعترضين يقولون ما معناه: أوليس الله بقادر بمفرده، بدون هذه الأشياء على تغييرنا؟ أوليس الروح القدس كافياً؟! أو بصورة أخرى، كيف كان الناس يتغيرون قبل اكتشاف «علم النفس»؟

والاعتراض الثاني، عندما أتكلم عن عمل الله، ودور الإيمان بالمسيح في التغيير، يعترض البعض قائلين: وهل لابد أن يكون الإنسان مسيحياً أو مُتَدَيِّناً لكي يُشفى ويتعافى؟

لهذا أُحِبّ دائماً عندما أتناول قضية «التغيير» أن أتناولها من ذلك المنظور التكامليّ، كما يبدو في الشكل:

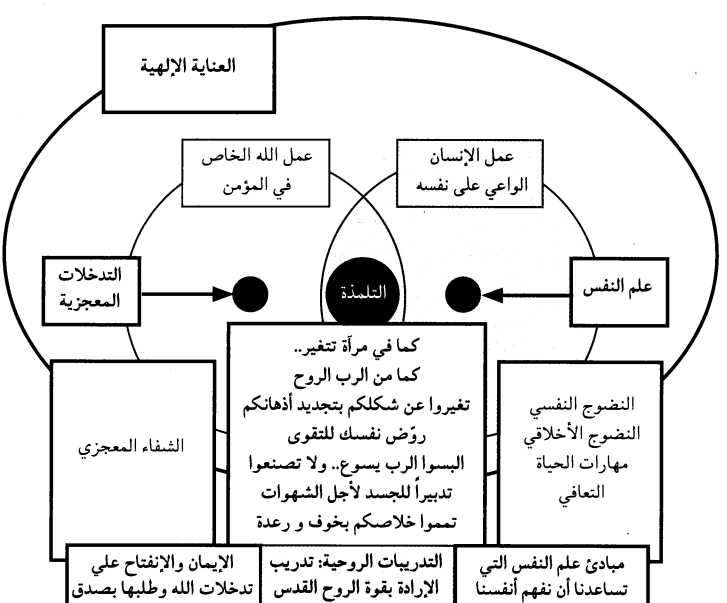

هناك دائماً دائرتان للعمل الضروري للتغيير، دائرة عمل الإنسان الواعي على نفسه، ودائرة عمل الله الخاصّ في المؤمن. كل إنسان لديه إرادة ولديه بالتالي قُدرة لإدارة أفكاره ومشاعره وسلوكياته. هذه القدرة بالطبع قد تَعَرَّضت للكثير من التشويه ولدرجات متفاوتة من العجز والمرض، إلا أنها لا تزال موجودة. ودائماً ما يُمكن لأي إنسان، مهما كان مُتَديّناً أو مُلحِداً، تدريبُها من خلال المهارات التي يُعلِّمها لنا علم النفس وثقافة التعافي ومهارات الحياة وغيرها. كل هذه التقنيات تساعدنا أن نفهم أنفسنا وكيف تتفاعل داخلنا الأفكار والمشاعر وكيف تؤثر فينا العلاقات والأحداث، وكيف بالتالي نتعامل مع أنفسنا ونديرها بالطريقة الأفضل والأكثر صحّة.

نؤمن أيضاً بما يُسمى بعمل الله الخاص في المؤمن. فهناك تدخلات معجزية لروح الله، تصنع أموراً نعجز عنها، وتعبُر بنا حواجز ربما لا نستطيع أن نعبرها بقوَّتنا البشرية. هذه التدخلات مرتبطة دائماً بالإيمان، فهي تحدث في حياة من يؤمن بها. كما نؤمن أيضاً أن الله من خلال العناية الإلهية العامّة بكل البشر، يتدخل لصالح النمو والشفاء في حياة كل الناس، وبالذات من يطلبون معونته، مهما كانت أديانهم وتَوَجُّهاتهم الروحية، وحتى لو كانوا ملحدين تمامًا.

أخيراً نؤمن أن التلمذة المسيحية هي تلك المنطقة الواقعة عند التقاء عمل الله بعمل الإنسان، وهذا ما يجعل الوحي في العهد الجديد يتكلم دائماً عن التغيير بوصفه عمل الله فينا، فيقول «الله هو العامل فيكم» و«نتغير... كما من الرب الروح» و«تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن»، وفي نفس الوقت يقدم لنا وصايا لنطيعها مثل «تَغَيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» أو «قَدِّموا أجسادكم ذبيحة حَيَّة» أو «البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد» أو «لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم» أو «اسلكوا في النور» وغيرها الكثير.

تقع التلمذة عند تلك النقطة التي يلتقي فيها عمل الإنسان الواعي على نفسه، مع عمل الله المُعجِزي في الإنسان.

وبالنسبة للاعتراض الخاص بعلم النفس، فعلم النفس ليس اختراعاً بشرياً، وإنما هو اكتشاف للقواعد المنطقية التي يجب أن يتَّبِعَها كل من يريد أن يعمل على قيادة نفسه. وكل المبادئ التقنية، الفكرية والسلوكية لعِلم النفس، موجودة في العهد الجديد وكانت تمارس بتلقائية وبساطة عبر العصور، ولكنها لم تَكُن تُسمَّى «علم نفس» كما أصبحت هذه المبادئ تُسمى في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ويقتبس دالاس ويللارد في كتابه التدريبات الروحية من فرانز ديليتش Franz Delitzsch ما قد كتبه منذ أكثر من قرن مضى، أن علم نفس الكتاب المقدس هو واحد من «أقدم العلوم في الكنيسة»[٦١] وبحلول القرن الثاني الميلادي كتب كاتب مسيحي واسمه ميليتوس الساردسي (من ساردس) عملاً بعنوان «عن النفس والجسد والذهن» وهذا الكاتب النفساني، اعتبره القادة المسيحيون اللاحقون له في منزلة يوسيبيوس وجيروم فيما يتعلق بأهميته ككاتب مسيحي.[٦٢]

لا تهاوُن

تخيّل معي قصة طالب ثانوي يحلُم بدخول الجامعة وهو الأبن الأكبر لموظف بسيط لديه خمسة من الأخوة والأخوات في مراحل التعليم المختلفة. من الطبيعي إذاً أن يتبدد حلمه هذا، ويُقرّر أن يعمل في وظيفة بسيطة، ربما كمُحصل في شركة الكهرباء أو المياه. تخيل معي أيضاً أن أحد الأثرياء سَمِع بمحنته، فقرّر أن يُنفق عليه من الألف للياء في أكبر الجامعات الأمريكية، ولتكن «هارفارد» مثلاً، فأرسل يستدعيه ليُبلِغه بالخبر. بالطبع عَقَدَت المفاجأة السعيدة لسان

61 Franz Delitzch, *A System of Biblical Psychology,* trans. Robert E. Wallis (Edinburgh: Clark, 1869), 3.

٦٢ دالاس ويللارد *التدريبات المسيحية* ترجمة أوسم وصفي (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٢) ص. ٢٢٨

صديقنا، ولم يعرف ماذا يقول أو حتى بماذا يشعر. وهل يُصَدِّق؟ لابد أنه يتساءل: «لماذا أنا بالذات؟» ماذا فيّ لكي يقرر هذا الثريّ أن يقوم معي بهذه المبادرة، فهو ليس من أقاربي. نحن قومٌ بُسطاء وليس بيننا أي ثريّ. ثم أنا لست من المتفوقين في الثانوية العامة مثلاً لكي يُفَكِّر في أن «يستثمر» فيَّ مثل هذا الاستثمار. لقد نجحت بمجموع متواضع لا يؤهلني حتى لجامعة حكومية متواضعة وفي كلية من كليات «القاع». لماذا يفعل هذا؟ أمر صعب التصديق. حتى قبوله صعب، بل مخيف.

تُرى كيف ينبغي أن يكون سلوك ذلك الطالب، إن كان بالفعل قد «آمن» وصدق حقيقة هذه «النعمة» وأنها نعمة مجانية بالفعل، وليس مربوط بها شيء وليس لها مآرب خاصة؟ أولاً أن يذهب إلى الجامعة ويقدم أوراقه ويحصل على المنحة. لكن هل يكفي هذا؟ ألا ينبغي أن يجتهد ويُحصِّل الدروس حتى «يُكرِم» من أعطاه هذه الفرصة العظيمة؟ وهل إذا اجتهد واستذكر دروسه وحصل على أعلى الدرجات، يكون عندئذ قد دخل هذه الجامعة بمجهوده واستحقاقه؟ هل النعمة تُناقِض العمل، أم تُناقِض الاستحقاق؟[٦٣]

تخيّل أنه على العكس، دخل الجامعة ولم يواظب على حضور المحاضرات ولم يستذكر الدروس ورَسَبَ في كل الامتحانات، بل واستخدم النقود المُعطاة له لشراء الكُتُب في السهر والسُكر والمجون. ترى كيف يشعر من دفع له لكي يدخل هذه الجامعة؟ أوليست هذه «إساءة استخدام» للنعمة تكسر قلب هذا الثري المُنعم؟ فضلاً عن أنها لن تعطي هذا الطالب أي عِلم أو مهارة أو شهادة.

عندما كتب الرسول يعقوب رسالته عن ضرورة أن يكون للإيمان أعمال وإلا يكون ميتاً،[٦٤] لم يكن يُناقِض تعليم الرسول بولس عن الخلاص بالنعمة، ولكن، من دراسة السياق جيداً، نكتشف أنه كان يُوَجِّه كلامه، بل توبيخه،

63 Dallas Willard, *The Great Omission, Reclaiming Jesus's Essential Teachings on Discipleship* (N.Y.: Harper Collins, ٢٠٠٦) location ٩٧١ (Kindle)

٦٤ رسالة يعقوب ٢: ١٤

لأشخاص مثل ذلك الطالب الكسلان الذي يسيء استخدام العطية المَجّانية المُعطاة له، فقد كانوا يقولون أنهم مؤمنون، ورغم ذلك لا يستطيعون السيطرة على ألسنتهم وكلامهم،[٦٥] ويحابون الأغنياء على حساب الفُقراء[٦٦] ولا يعتنون بالأيتام والأرامل في ظروفهم القاسية،[٦٧] وينتقدون ويهاجمون بعضهم بعضاً[٦٨] ويتباهون بما يفعلونه دون الاعتماد على الله،[٦٩] ويفتخرون بغناهم ويعيشون حياة ترف، ولا يعطون العاملين لديهم أجورهم.[٧٠]

لذلك فعندما يتكلم بولس الرسول عن تفعيل الخلاص «بخوف ورعدة»، فهو لا يعني مطلقاً الخوف والرُعب الذي يُفقِدنا الثقة ويشل حركتنا. وإنما المقصود الرهبة والاحترام، اللذان يمنعاننا من إساءة استخدام النعمة والتعامل معها على أنها أمر رخيص. ويصف اللاهوتي الألماني العظيم ديتريش بونهوفر النعمة الرخيصة أنها ذلك المفهوم للنعمة الذي لا يهدف إلى تبرير الخاطئ، (أي تغييره ونُمُوُّه) وإنما يهدف إلى تبرير الخطية (أي إيجاد أعذار لها)[٧١] إنها النعمة بدون تلمذة وبدون أخذ الحياة مأخذ الجد. ومثل هذه «النعمة» ليس موجوداً في العهد الجديد مُطلقاً، فالنعمة الحقيقية في العهد الجديد هي النعمة التي تُعَلِّمُنا أن ننكر الفُجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتَعَقُّل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومُخَلِّصَنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهِّر لنفسه شعباً خاصّاً غيوراً في أعمال حسنة.[٧٢] ثم يصف بونهوفر هذه النعمة «الغالية» فيكتب:

---

٦٥ رسالة يعقوب ١: ٢٦

٦٦ رسالة يعقوب ٢: ١-٩

٦٧ رسالة يعقوب ١: ٢٧، ٢: ١٤- ١٦

٦٨ رسالة يعقوب ٤: ١١

٦٩ رسالة يعقوب ٤: ١٦

٧٠ رسالة يعقوب ٥: ٤-٥

71 Dietrich Bonheoffer, *The Cost of Discipleship* (N.Y.: Touchstone, 1995) p. 43

٧٢ رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٢: ١٢- ١٤

إن هذه النعمة الغالية هي الكنز المدفون في الحقل، الذي من أجله يذهب الإنسان ويبيع سعيداً كل ما يملُك ليقتني ذلك الحقل، إنها اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن التي من أجل شرائها، يبيع التاجر كل ما لديه. إنها مُلك المسيح على القلب الذي من أجله يكون الإنسان مُستَعِدّاً أن يقلع عينيه إن كانتا تُعثرانه، إنها دعوة المسيح التي من أجلها ترك التلاميذ شباك صيدهم وتبعوه.

هذه النعمة مُكَلِّفة لأنها تدعونا لأن نَتبَع، وهي أيضاً نعمة لأنها تدعونا لأن نتبع يسوع المسيح. إنها مُكَلِّفة لأنها تُكَلِّف الإنسان حياته، وهي نعمة لأنها تُعطي الإنسان الحياة الحقيقية الوحيدة. إنها مُكَلِّفة لأنها تُدين الخطية، وهي نعمة لأنها تُبَرِّر الخاطئ مجاناً. وفوق الكل هي مُكَلِّفة لأنها كلفت الله حياة ابنه: «لأنكم اشتُريتُم بثمن» وما قد كَلَّف الله، لا يُمكِن أن يكونَ رخيصاً بالنسبة لنا. فوق الكل أيضاً هي نعمة لأن الله لم يحسب ابنه غالياً لدرجة ألّا يبذله من أجل حياتنا، بل قد قَدَّمَهُ من أجلنا. النعمة الغالية هي تَجَسُّد الله من أجلنا.[٧٣]

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١ - عمل الله الداخلي يحتاج إلى إيمان عامل مُطيع، لكي يتم تفعيله ويظهر في الخارج في صورة تغيير حقيقي في الشخصية والسلوك.

٢ - يبدأ عمل الله بإخضاع الإرادة وإقناع الذهن، لكن لكي يتحول ذلك إلى سلوك، تحتاج طبقات أدنى من الوعي بها المعتقدات الدفينة والعادات وردود الأفعال الجسدية، أن تتجدّد ويتم القضاء على «قانون الخطيّة» الساكن فيها.

---

73 Dietrich Bonheoffer, *The Cost of Discipleship*. p. 45

٣- تقع «التلمذة المسيحية» في منطقة التقاء عمل الله المعجزي مع عمل الإنسان على تغيير أفكاره ومشاعره وعلاقاته وتدريب جسده على عادات سلوك جديدة.

٤- الإيمان الحقيقي بالنعمة، هو الطاعة للوصايا وأخذ الحياة مأخذ الجدّ وإلا فنحن نسيء استخدام النعمة.

٥- أن نُتمِّم خلاصنا بخوف ورعدة هو أن نتعامل مع نعمة الله برهبة واحترام وليس كنعمة رخيصة.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

بعض الاقتراحات لتدريبات عملية لتفعيل نعمة الله في حياتنا.

التأمل. اقرأ قصة شفاء المفلوج في الأصحاح الثاني من إنجيل مرقس. وتأمل الموقف وكأنك تعيشه، ثم ضع نفسك مكان المفلوج ثم أجب عن الأسئلة التالية في كُراسة يومياتك الروحية.

- ما هو نوع «الشلل» الذي في حياتك؟ ما هو الشيء الذي تشعر أن إرادتك فيه مشلولة، تريد أن تفعله (أو تتوقف عن فعله) ولا تستطيع؟ ربما يكون في مجال الأفكار والمشاعر، أو السلوك أو العلاقات. ربما في مجال الجنس، أو العلاقات العاطفية أو الزواج أو العمل أو المال أو أي شيء في أسلوب حياتك.

- بالنسبة لك ما هو أمر المسيح: «قُم احمل سريرك واذهب إلى بيتك»؟ ما الذي تشعر أن المسيح يطلب منك بالإيمان أن تفعله، وأنت ترى أنه شبه مستحيل، وحاولته من قبل ولم تستطع؟ هل هو قطع علاقة؟ أم ترك عمل؟ أم الذهاب لشخص للصُلح معه؟ أم إعطاء زواجك فرصة أخرى؟ أم ماذا؟

- من هم الرجال الأربعة بالنسبة لك؟ من هم الأشخاص الذين يؤمنون بشفائك ومصمِّمون على مساعدتك؟ إذا كان يوجد في حياتك مثل هؤلاء.

- ما هي «الخطية» أو طرق التفكير، أو السلوكيات التي تظن أنها خاطئة وتحتاج أن تحصل على غفران عنها من المسيح قبل أن يقول لك «قُم احمل سريرك واذهب إلى بيتك»؟

الصلاة. وأنت تتخيَّل نفسك في هذا الموقف، انظر إلى يسوع واطلب منه أن يضع في قلبك ثقة جديدة قبل أن تهمّ بالنهوض.

التأمل. اقرأ رسالة يعقوب واكتب قائمة بالخطايا التي كانت موجودة في حياة من كُتِبَت لهم هذه الرسالة. ما الذي تجده منها موجوداً فيك بصورة أو بأخرى؟

الاعتراف. اعترف لشريك صلاتك بهذه الأمور التي اكتشفتها في نفسك، استمع إلى اعترافات مماثلة منه إذا كان عنده، وصلوا معاً من أجل نعمة الله للغفران والتغيير في هذه الأمور[٧٤] من خلال تأمُّلك في رسالة يعقوب. ربما تشعر أن هذا صعب. هو كذلك بالفعل. فهو «تقديم الجسد ذبيحة»، يؤلم لكنه يفتح الباب لتجديد الذهن وتفعيل عمل الله في حياتك.

التسبيح والعبادة. اقرأ مزامير المصاعد (١٢٠- ١٣٤) وردد العبارات التي تشعر أنها تُعَبِّر عَمّا في قلبك من شوق للرب.

---

٧٤ رسالة يعقوب ٥: ١٦

خاتمة

لا توجد وَصفة واحدة تَصْلُح للجميع

وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ. شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ.

(رسالة بولس الرسول الأولى لأهل تسالونيكي ٥: ١٤).

أحب أن أختم هذا الكتاب بذلك الجزء من الخاتمة التي ختم بها بولس الرسول رسالته الأولى لأهل تسالونيكي،[١] والسبب في ذلك هو أنني أريد أن أؤكد أن التلمذة والحياة الروحية ليست مثل خط إنتاج لصُنع «نُسخ»، كما أنها لا تسير بنفس الوتيرة وبنفس الطريقة في كل إنسان. فهناك أشكال وألوان من التلمذة والنموّ الروحي، بقدر ما هناك بشر. وقد سبق وأشرت في هذا الكتاب إلى مَثَلَيْن هامَّين من أمثال ملكوت السموات، وهُما مثل الوَزَنَات، ومثل الفعلة في الكرم. الرسالة المحورية في هذين المثلين هي: «لا للمُقارَنة». صحيح أننا كُلَنا بشر متشابهون في نواحٍ عِدّة إلا أننا أيضاً مختلفون، في تركيبنا الوراثي، وتراثنا العائلي، وأحداث حياتنا الماضية. نحن نختلف من حيث الأسر التي نشأنا فيها والثقافة التي كانت تسود في تلك الأسر. ربما تعرضنا لجروح وصدمات وإساءات، وربما تعرضنا لأنواع مختلفة من الحِرمان والتحَدّيات، كُلّها قد أثّرت على تكوين شخصياتنا، والمعتقدات التي تكَوَّنت فينا، والطُرق التي أصبحنا ننظر بها إلى أنفسنا وللعالم وللآخرين ولله.

لا ينظر الله لنا نظرة «بسيطة» مُسَطَّحة كما ينظر البشر. بل يرى الأعماق قبل السطح، والماضي قبل الحاضر.

هذان المثلان يؤكدان أيضاً على أن الربّ «يَعلَم» ذلك جيداً وهو عندما ينظر إلينا ويتعامل معنا، ويَتَوَقَّع تجاوُبَنا، فهو يضع في اعتباره كل هذه الأمور، ولا ينظُر إلينا نظرةَ بسيطة مُسَطَّحة كما ينظر البشر، أو حتى كما ننظر نحن إلى

١ تشير بعض الدراسات الكتابية إلى أن هذه هي أول رسائل بولس

أنفسنا. هو يرى الأعماق قبل السطح،[٢] والماضي قبل الحاضر. عندما نظر للمرأة السامرية عند البئر بسوخار، لم يعلم فقط أنه كان لها خمسة أزواج سابقون، وأن الذي معها ليس زوجها، بل نظر حتى إلى ما هو أعمق من ذلك، ورأى عطشها للحياة الحقيقية، الذي تحاول أن تطفئه بمياه مالحة من علاقات عاطفية وجنسية لا تُزيدُها إلّا عَطَشاً. وعندما نظر إلى عينيّ ذلك الشاب الغنيّ وأحبّه، لم ير فقط محاولاته الجادة لاقتناء الصلاح والحياة الأبدية، بل رأى أيضاً تَعَلُّقه الشديد بالمال، وربّما رأى رغبته الدفينة كطفل في إثبات نفسه أمام والده، أنه أيضاً قادرٌ على الحفاظ على الثروة بل وزيادتها. رأي يسوع كل هذا، وربما أكثر، وأحبه كما هو بما فيه من جوع لله وولع بالمال معاً. عندما اختلست المرأة نازفة الدم منه لمسة شفاء، تَوَقَّف وأراد أن يشفيها، ليس فقط من ينبوع دمها الذي لا يتوقف، وإنما أيضاً من شعورها بالعار والاستبعاد بسبب ما كان يُعتبر بحسب الشريعة، حالةً دائمةً من النجاسة. عندما نظر لأعلى وشاهد زَكّا فوق جميزة، لم ير فقط عشاراً فضولياً يريد أن يرى من هو يسوع، وإنما رأى إنساناً يبحث عن غفران وبداية جديدة، فأعطاها له بدون كلام أو وعظ، وإنما بمشاركته مائدة عشائه. ولأن كل واحدٍ فينا يأتي للمسيح من خلفية ربما تكون خاصّة جداً، فإن مسيرة التلمذة والتغيير، تتخذ في كل واحد، مساراتٍ خاصّة ورُبما تواجه سقطات ونكسات، وتتطلب وقتاً يقصُر أو يطول. وهي نادراً ما تكون نزهة خَلَويّة، بل غالباً ما تكون مخاضاً شاقّاً.[٣]

تكمن الأزمة في أننا لسنا كالله. نحن صغارٌ جداً، لذلك نميل لصنع «نَمَاذِجَ» و«وَصَفات» و«قَوالِب»، نضع أنفسنا فيها و رُبما نُرغِم الآخرين أن يضعوا هم أيضاً أنفسهم فيها، وإلا فهم ليسوا بمؤمنين، ولا روحيين، ولا يُحبّون الله، ولا هم جادّون في طريقهم. وللأسف أيضاً، فإننا إذا كنا قادة دينيين أو أشخاصاً مشهوداً

٢ صموئيل الأول ١٦: ٧ و إنجيل يوحنا ٢: ٢٤- ٢٥

٣ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٤: ١٩

لهم بالروحانية، فإننا نُعطي انطباعاً أن هذه هي وجهة نظر الله أيضاً، وهنا تحدث الإساءات الروحية.[٤]

الذين بلا ترتيب

الذين بلا ترتيب هم الذين يعيشون حياةً فوضوية، فلا يعملون ويتَوَقَّعون من جماعة المؤمنين أن تعولهم. وإذا لم يحدث ذلك، فإنهم يلومون ويتَّهِمون. هم أيضاً الذين لا يخضعون للسلطة الكَنَسية، ولا للتأديب الكنسي في النزاعات المُختَلِفة.[٥] هؤلاء يحتاجون للحزم والإنذار. ومعنى الإنذار هو أن يُوضَع هؤلاء أمام مسؤولياتهم بصرامة ويتم وضع حدود قصوى لهم. ربما تكون حدود قصوى للمساعدة المالية قبل أن يحصلوا على عمل. أو تكون المساعدة لهم هي إيجاد عَمل. ربما تكون حدود قصوى بعدها يتم إبعاد الزوجين عن بعضهما البعض، إذا تكرر اعتداء الزوج على زوجته مثلاً.

في هذه الحالات ينبغي للمحبة أن تكون صارمة. فالمحبة ليست إرضاء الآخر وإنما المحبة هي أن نريد ونفعل أقصى الخير للآخر. وأقصى الخير في المفهوم المسيحي هو النمو والنضوج الروحي.[٦] متى إذاً تكون الصرامة هي التعبير الأمثل عن المحبة؟ أتصور أنها تكون كذلك عندما تؤدي إلى استفاقة الإنسان الذي استكان إلى عدم المحاولة، وعدم الرغبة في التغيّر. نحتاج دائماً إلى حكمة إلهية للتفريق بين من يحاول ويفشل ولا يستطيع، ومن قد أصبح لا يحاول، وربما لا يريد. بل يستخدم الأخوة، لا لمساعدته للنمو، وإنما لتكريس الوضع الحالي من الكسل والتراخي. مثل هذا ينبغي إنذاره ومواجهته، لأن مثل ذلك الإنذار، ربما يجعله يعود للطريق. في هذه الحالة يعمل الإنذار مثل جهاز الصدمات الكهربائية

---

٤ أوسم وصفي، *الروحانية والتعافي* (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠٠٤)

٥ إنجيل متى ١٨: ١٧

6 Scott Peck, *The Road Less Traveled: A New Psychology of Love, Traditional Values and Spiritual Growth.*

الذي يُنَبّه القلب ليعاود العمل. بالطبع جهاز الصدمات الكهربائية مؤلم وصادم، لكنه ربما يُنقذ الحياة. أيضاً الإنذار الصارِم من الأخوة ربما ينقذ الحياة الروحية، متى رأينا أن قراءة عمل «القلب» الروحي قد بدأت تُعطي خطاً مستقيماً بدلاً من النبضات.

صغار النفوس

الكلمة اليونانية التي تُرجِمَت «صِغار النفوس» تشير إلى الأشخاص الذين نُموُّهم النفسي قد توقف عند مرحلة طفولية، وذلك بسبب إساءات نفسية تعرضوا لها في طفولتهم. بحسب قاموس وبستر، الإساءات النفسية هي«حالات من الصدمة النفسية تسبب ضرراً جسيماً ومستمراً للنمو النفسي للإنسان»، وذلك لإن الإساءات تخلق مشاعر شديدة من العجز وعدم الحماية وفقدان الأمان والسيطرة.[٧] هذه المشاعر تصنع نوعاً من التشويش على النمو النفسي للإنسان، حيث الطاقة النفسية التي كان ينبغي أن يستخدمها لكي «ينمو»، أصبح يستخدمها، أو يستخدم جزءاً كبيراً منها، لكي «ينجو». لذلك تكون هناك «هُوَّة» بين العمر الزمني للإنسان وعمره الوجداني، فبالرغم من كونه راشداً زمنياً (أي عمره يزيد على العشرين عاماً) إلا أنه يمكن أن يكون لا يزال مراهقاً، أو طفلاً، أو حتى رضيعاً وجدانياً.[٨]

يمكن أن يظهر «الصِغر النفسي» في صُوَرٍ عدة.[٩] ربما يظهر في الحساسية المُفرِطة،

---

٧ أوسم وصفي، *مهارات الحياة. قيادة الحياة وجدانياً وفكرياً وعلاقاتياً وروحياً* (القاهرة: مؤسسة الحياة للمساندة والتعافي، ٢٠١١) ص. ١٧٩

٨ بيتر سكازيرو و وارين بيرد، *نضوج الكنيسة ونضوج قادتها*. ترجمة جين محيي (القاهرة: دار النشر الأسقفية، ٢٠١١) ص. ٧٣-٨٤

٩ اعتدنا أن نَفهم «صِغَر النفس» أنه فقط أن يرى الإنسان نفسه صغيراً أو «أقل» لكن هذا فقط أحد مظاهر «صِغر النفس» أو «عدم النضوج الوجداني»،ولعل «الكبرياء» أيضاً يكون في بعض الأحيان مظهراً من مظاهر «صِغر النفس».

أو تقلب المزاج أو في التعلُّق المرضي بالأشياء أو الأشخاص، أو رُبما يظهر في قِلة الصبر على عدم تسديد الاحتياجات، وسرعة الملل وفقدان الحماس، وربما التسرع والتهوُّر في بعض الأحيان. ربما يظهر الصِغر النفسي أيضاً في الميل للسيطرة وفرض الرأي والمناورة والابتزاز في العلاقات، أو في الدفاعية والتبرير وعدم الاعتراف بالخطأ عند المواجهة.[١٠]

يظهر «صغر النفس» ربما في الحساسية المُفرِطة، أو قلة الصبر وسرعة الملل، أو التَهَوُّر، والميل للسيطرة والمناورة، والتعلق المرضي بالأشياء والأشخاص.

ربما يكون من الصعب احتمال هؤلاء الصِغار، لكن علينا احتمالهم وتدريبهم حتى تنمو شخصياتهم ويتوافق عمرهم الزمني مع عمرهم الوجداني وعلينا أيضاً، كما يقول بولس الرسول، أن نُشَجِّعهم، كما ينبغي أن نُشَجِّع الصِغار دائماً. ربما يكون مهماً أيضاً، بجانب التشجيع، أن نُدرِك حقيقة هذا الصِغر، فلا نُطالبهم بما هو متوقع مِمَّن هم في عُمرِهِم الزمني، بل نُدرك حقيقة عُمرِهِم الوجداني. وإن كنا نساعدهم على النمو، فينبغي أن نُدرِك أنهم سوف يحتاجون إلى وقتٍ أطول ليصلوا إلى ما يمكن أن يصل إليه غيرهم في وقت أقلّ فكما أن نموَّهم تعطل بسبب استهلاك جزءٍ من طاقتهم في التعامل مع المشاعر القاسية التي اختبروها. فجزء من طاقتهم الحالية. سوف يستهلك في أن يصلوا في نموهم النفسي إلى النمو المناسب لأعمارهم، وبالتالي لا ينبغي أن نَتَوَقَّع أن تكون لديهم القُدرات المِهنِية أو الذهنية أو الاجتماعية المتوفِّرة فيمن هم في نفس أعمارهم. كم زوج أو زوجة أو صاحب عمل يُمكنه أن يصبر على مثل هؤلاء حتى تلحق أعمار نفوسهم بأعمار أجسادهم؟ هذا سؤال، وتحدّي يضعه بولس الرسول أمام الكنيسة المسيحية.

---

١٠ أوسم وصفي، *مهارات الحياة*. ص. ٢٧-٢٩

الضعفاء

الكل لديه إرادة وفكر، لكن ليس الكل بنفس القوّة. ربما تكون القوة من البداية محدودة، فلسنا كلنا من نفس «النسيج». بعضنا ربما يكون مولوداً بضعفٍ ما موروث، وربما تكون الضربات والصدمات التي تلقّاها الإنسان أضعفته. وكما أن صِغار النفوس يحتاجون للتشجيع، فالضعفاء يحتاجون للمساندة. والمساندة أيضاً تتضمن درجة من التدريب ولكن ببطء وحذر وجرعات صغيرة. المشلول لا ينبغي أن نطالبه أن يجري، لكن ينبغي أيضاً أن نعطيه تدريبات «علاجية» تتحدّي العضلات قليلاً لتقوى.

على «الأقوياء» أصحاب المعرفة والتَفَتُّح الذهني، أن يحتملوا ضعف «الضعفاء»، ممن ليسوا كذلك، أو ممن لديهم خلفيات أو أحداث قد أضعفتهم.

أدرك بولس الرسول حقيقة وجود هؤلاء الأخوة الضعفاء وتصرَّف معهم بحكمة وذلك في واقعة شهيرة وردت في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، وهي واقعة أكل ما ذُبِح للأوثان. في هذه الحادثة، يصف بولس الرسول الضعف الروحي، بأنه نوع من عدم التفتح الذهني، والتعلق بظواهر الأشياء. هذا الضعف الروحي يجعل المؤمنين يعثرون إذا رأوا مثلاً مؤمناً آخر، أو ربما قائداً روحياً، يأكل من لحم ذُبِح لوثن. بولس نفسه، على سبيل المثال، يعتبر نفسه قوياً روحياً،[11] بمعنى أن لديه علماً[12] وأنه مُتفَتِّح الذهن ويعلم أنه ليس وثن في العالم ويعلم أنه لا يضيره أن يقوم شخص وثني يعتقد في وجود وثن في العالم، بذبح حيوان على اسم زيوس. بولس هنا يعلم أن زيوس هذا غير موجود، فهو لا يضُر ولا ينفع[13]

---

١١ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٥: ١

١٢ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٨: ٧

١٣ إرميا ١٠: ١-١٥

أما بعض الأخوة الضعاف غير متفتحي الذهن، والخارجين لتوهم من الوثنية، ربما يعتبرون أن أكل لحم كهذا، بمثابة نوع من الارتداد للحياة الوثنية، فيتنجس ضميرهم، كما يقول بولس. هؤلاء يرى بولس أننا ينبغي أن نسندهم من خلال ألا نعثرهم، وإن تَطَلَّبَ ذلك، ليس فقط ألا نأكل ما ذبح لوثن، بل ألا نأكل لحماً مُطلقاً.[١٤]

على أي حال يمكننا أن نقول أنه من دلائل النُضج الروحي في الأفراد والجماعات المسيحية، تعاملهم مع الضعاف وصغار النفوس، فهؤلاء يُمكن أن تكون الكنيسة مُعثرة لهم، وهم أيضاً يمكن أن يُعثِروا الآخرين. يمكن للكنيسة، فردياً وجماعياً أن تُعثِر هؤلاء إما من خلال العنف معهم واستعجال نموِّهم، كما أشرت، وإما من خلال تدليلهم أكثر من اللازم، فتحولهم من ضعفاء وصغار نفوس إلى أشخاص بلا ترتيب يستغلون ضعفهم ويتسولون بجروحهم من كل من هم في الكنيسة، وبالذات من الذين لا يستطيعون أن يقولوا «لا» لأحد و تتَّسم شخصياتهم بالاعتمادية، وعدم القدرة على الحزم.

كما أنهم هم أنفسهم يمكن أن يكونوا عثرة للأفراد فالضعفاء والصغار النفوس يشكلون إغراء للبعض أن يمارس عليهم «السيطرة الروحية» وربما الاستغلال الذي قد يصل إلى الاستغلال الجنسي، وأتصور أن أغلب حالات السقوط الجنسي لدى القادة المسيحيين، تكون مع أشخاص يمكن أن نُصَنِّفهم تحت تصنيف الضعفاء أو صغار النفوس.

---

١٤ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ٨: ١٣

تأنوا على الجميع

الجميع يحتاجون للصبر، كباراً وصغاراً، خُداماً ومخدومين، رجال دين وعلمانيين، فالمحبة على وجه العموم «تتأنّى»[١٥] وتصبر وتشفق.[١٦] التأنّي يعطي فرصاً متتالية ولا ييأس،[١٧] التأنّي لا يلوم عندما نقع وننتكس ونتقهقر في مسيرة النمو والتغيّر. التأني لا يضع إطاراً زمنياً للتغيّر، وفي نفس الوقت يُصرّ أن نظل نحاول ونجاهد. التأني ينتظر بصبر ثمار الجهاد، وفي نفس الوقت يُصرّ دائماً أن تكون مبادئ الجهاد «قانونية».

ربما يؤدي الكلام الكثير عن النمو والتغيّر والجهاد، إلى أن تتحول الكنيسة، فردياً وجماعياً إلى أشخاص غير صبورين، يدفعون بعضهم دفعاً بلا رحمة نحو «البطولات الروحية» غير مستوعبين حقيقة الضعف الإنساني واحتياجنا للصبر والتَدَرُّج في كل شيء. إننا ينبغي أن نعيش اتزاناً بين الجهاد والصبر، بين إنذار الذين بلا ترتيب، ومساندة وتشجيع الضعفاء وصغار النفوس، وذلك في إطار عام من الاستعداد للصبر والتأنّي على الجميع.

في النهاية يمكن أن نُلَخِّص الحقائق التي تقدمها هذه الفقرة الكتابية في النقاط الخمس التالية:

١- ونحن نتطلع لأهداف النمو الروحي، لا ينبغي أن نفقد رؤية البشر واختلافاتهم و«المكان» الذي منه يأتي كل واحد منهم.

٢- لا توجد «وَصفَة» واحدة للجميع ومُعَدِّل نمو واحد للكل، لأننا مختلفون في خلفياتنا ونوعيات وجودنا وطبيعة شخصياتنا.

---

١٥ رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس ١٣: ٤

١٦ رسالة بولس الرسول لأهل أفسس ٤: ٣٢

١٧ كورنثوس الثانية ٤: ١، ١٦

٣- الذين هم بلا ترتيب، هو الذين توقفوا عن محاولة النمو والتغيّر، ويستغلون «المَحَبّة المسيحية» ليس للنمو وإنما لاستمراء الكسل والخمول. هؤلاء ينبغي إنذارهم وتنبيه قلوبهم، ولو بالصَدَمات لتعود وتنبض.

٤- صغار النفوس هم الذين توقف نموهم النفسي لسبب أو لآخر. هولاء ينبغي أن نشجعهم ونتفهم حالتهم. والضعفاء هم الذين ليس لديهم عِلم كاف وليس لديهم تفتح ذهني، فيعثرون بسهولة، لذا ينبغي أن نساندهم.

٥- الكل يحتاج للمحبة، ومن السِمَات الأساسيَّة للمحبة هي الصبر والتأني وإعطاء الفُرص المُتتالية.

اقتراحات لتدريبات عَمَلِيَّة

التأمل. من الصعب أن تكون أنت ممن هم بلا ترتيب، فمجرد قراءتك لهذا الكتاب، تعني أنك تريد التغيير وتبحث عنه. إلى أي مدى تعتبر نفسك من «صغار النفوس» أو «الضعفاء»؟ بالطبع أغلبنا لا يُحب أن يعترف أنه ينتمي إلى طائفة الضعفاء أو صغار النفوس.[١٨] لكن علي أي حال راجع سمات هؤلاء الأشخاص واكتب في يومياتك الروحية ما تراه من هذه الصفات فيك. راجع الشخصيات القريبة منك أيضاً، مَن ترى ينطبق عليه وصف «الذين هم بلا ترتيب» أو «صِغار النفوس» أو «الضعفاء»؟ واجه نفسك بأمانة إن كنت تصرفت معهم بطريقة ترى أنها لم تكن مناسبة. فَكِّر كيف سوف تغير طريقتك.

قراءة الكتب الروحية. أشجعك أن تقرأ كتب «نضوج الكنيسة ونضوج قادتها» لبيتر سكازيرو (دار النشر الأسقفية)

الصلاة. صلّ من أجل كنيستك، وكل الكنائس والجماعات الروحية، أن يعطيها الروح القدس هذا التوازن الصعب في التعامل مع قضية النمو والتغيير.

---

١٨ يمكنك أن تأخذ «اختبار النضوج النفسي و الروحي» الموجود إما في كتاب «نضوج الكنيسة ونضوج قادتها» أو كتاب «مهارات الحياة»

قاموس مصطلحات التدريب الروحي[١٩]

إن التدريبات والاختبارات المقترحة في نهاية كل فصل هي ممارسات روحية ـــ أي طرق مُحددة للقيام بالانضباطات التي سوف نوردها هنا باختصار في هذا القاموس الصغير. للمزيد من المعلومات عن هذه الانضباطات، يمكن الرجوع لبعض الكتب مثل «فرح الانضباط»[٢٠] لريتشارد فوستر أو «قوى التغيير»[٢١] لناجي موريس أو كتاب «التدريبات الروحية» لدالاس ويللارد[٢٢] وباللغة الإنجليزية يمكن دراستها من كتاب:

Spiritual Disciplines Bible Studies (Intervarsity)

هذه الانضباطات هي طُرق للدخول في حياة يسوع. وعندما تمارس هذه الانضباطات، ينبغي أن تكون مدركاً أنها ممارسات مقصود بها أن تقوم بمقاطعة ومقاومة أسلوب حياتنا المعتاد والذي يدور حول الذات. وفي هذه اللحظات التي يتم فيها مقاطعة هذا الأسلوب من الحياة، يصبح ممكناً التواصل مع الله. أي أننا عندما نرفع انتباهنا ولو للحظات من على أنفسنا يمكن لله أن يُكلِّمنا، والأهم من ذلك، أن يُدخلنا بشكل حقيقيّ وعمليّ مُغَيّر إلى حياته.. حياة الملكوت.

- الاحتفال: هو الفرح في الله ـــ والاحتفال بشخصية الله نفسه وبالأشياء الصالحة الجميلة التي فعلها من أجلنا وأعطاها لنا

---

١٩ جان جونسون، *دعوة إلى حياة المسيح*. (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٣) ص. ٢٩١

٢٠ ريتشارد فوستر، *فرح الانضباط* (عمان: أوفير، ٢٠٠٩)

٢١ ناجي موريس، *قوى التغيير* (القاهرة: قضايا روحية، ٢٠١١)

٢٢ دالاس ويللارد، *التدريبات الروحية*. ترجمة أوسم وصفي لكتاب The Spirit of the Discipline (القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، ٢٠١٢) الفصل السابع.

- الإرشاد: الاعتراف بأن هناك بعض الأشخاص الذين يستخدمهم الله لمساعدتنا (وربما أيضاً طلب مساعدتهم من خلال اللقاء بهم). هذا الانضباط موجود أيضاً من خلال كوننا منفتحين لقبول أن يأتي إرشاد الله بطرق غير متوقعة وقد تبدو غريبة: ربما من خلال كلمة طفل أو مقال في جريدة. الإرشاد الروحي هو ممارسة خاصة فيها يقوم شخصان بالاستماع إلى صوت الله معاً.

- الاعتراف (وفحص النفس): الاعتراف بما فعلناه من خطأ وأيضاً فحص الدوافع التي وراء ما فعلناه. لا نجلد أنفسنا وإنما نطلب من الله أن يرينا الخطوة التالية للأمام. ربما ينطوي ذلك أيضاً على الاعتراف لشخص آخر (وهذا يبني المجتمع) ورد المسلوب. الاعتراف يساعد على بناء الأصالة.

- الانقياد للمتضعين: هو القيام بالتواصل الشخصي وبشكل منتظم مع أشخاص يعيشون حالات تجعل من السهل على المجتمع ألا يراهم وأن يتجاهلهم ويُهَمِّشَهم. (مثل الفقراء والمرضى بأمراض مزمنة وغير المتعلمين، و من يصفهم المجتمع بالبسطاء بشكل عام، والقائمة طويلة). إننا عندما نفعل ذلك بمحبة، فإن هذا يُفرِغنا من صلفنا وكبريائنا.

- البساطة: التخلي عن ما هو زائد عن الحاجة والامتناع عن السلوك الاستهلاكي. ويتضمن أيضاً فحص الدوافع: لماذا أظن أنني أحتاج إلى هذا الشيء؟

- بساطة الحياة: هي نتيجة من ممارسات البساطة والتقشف (المذكورة سابقاً) وأيضاً هي البساطة في الكلام. من الممارسات الأخرى للبساطة، بساطة القصد (أي أن يكون قلبنا مثبتاً على شيء واحد) وهذا يساعدنا على التركيز على شيء واحد بدلاً من التشتت بمحاولة فعل كل شي أو كل ما

يُطلَب مِنّا بحيث لا تكون هناك نقطة تركيز في حياتنا. إننا بهذا التدريب نسأل الله عن إرشاده لما نحن مدعوون لأن نفعله.

- التأمل: هو التركيز في كلمة الله (وأعمال الله) حتى يمكننا أن نستقبل بوداعة الكلمة المغروسة. بهذه الممارسة نحن نستقبل ونرحب بالأفكار، والجمل والصور التي تقدمها لنا الكلمة المقدسة ونخبئها داخلنا حتى يمكننا أن نتشرَّب بحياة الله داخل نفوسنا. كل فصل من فصول هذا الكتاب باستثناء المقدمة يحتوي على تدريب من تدريبات التأمل في فقرات الإنجيل.

- التَذَكُّر: النظر للخلف خلال فترة زمنية لكي نفحص فيها دوافعنا وسلوكياتنا التي نحتاج لأن نأتي بها أمام الله وأيضاً نتأمل الطرق التي قد عمل الله من خلالها في حياتنا الشخصية وفيما حولنا من أحداث وأشخاص.

- الترحيب بالغرباء: أن يكون لنا التوجه المستعد لاستقبال الذين عادة ما يُهملهم الناس وجعلهم يشعرون أنهم في بيوتهم. من خلال ذلك، نُعامل كل إنسان كما لو كان هو المسيح، بالذات الذين يمكن أن نعتبرهم غرباء (أو حتى غريبين!) لسبب أو لآخر. يمكن أن نمارس الترحاب بالغرباء في بيوتنا أو في حياتنا حتى للحظات. فإضافة الغرباء وقبولهم والترحاب بهم أشمل من مجرد الضيافة.

- التضحية: إن كانت البساطة هي التخلي عن الرفاهية وعمّا لا نحتاج إليه، فالتضحية هي التخلي عما نحتاج إليه، أي أننا ربما نفتقد فعلاً ما نتخلى عنه. «فإذا كان عطاؤنا وتقدماتنا لا تُشعِرنا بأي تكلفة، فربما نحن نعطي

أقل من اللازم».[٢٣]

- التعفف: هو محبة الآخرين بدلاً من استخدامهم. وبشكل محدد، التعفف هو التوقف عن استخدام الآخرين (أو صُوَرِهم) للحصول على لذة جسدية أو إحساس بالسيطرة وبالتالي فإن التعفف هو التوقف عن الممارسات الجنسية غير المشروعة بالفعل أو بالفكر والخيال والاشتهاء. مثل هذا الانضباط يمنحنا حُرّية في أذهاننا من سطوة الهوس الفكري بالجنس الذي يسود الثقافة الإنسانية بشكل عام (سواء في الغرب أو الشرق بطرق مختلفة في الحالتين).

- التفكير المتأمل: تناول فكرة والنظر إليها من عدة جوانب لإدراك كيف يمكن أن تنطبق هذه الفكرة في حياتنا. كتابة اليوميات تساعد على هذا النوع من التفكير لأنها تجعلنا نشاهد أفكارنا مكتوبة أمامنا، مما قد يخلق تأملاً أعمق (كما يمكن لكتابة اليوميات أن تكون أيضاً نوعاً من الصلاة).

- حضور الله: هو التدريب على إدراك حضور الله الساكن فيك وفي الآخرين وفي الكون بصفةٍ عامة والانتباه والتجاوب مع الله. ربما من خلال صلوات التنهدات breath prayers (أي عندما تخرج زفيرك بصلاة).

- الخدمة: هي أعمال من المحبة لمساعدة من هم في احتياج.»[٢٤] كنوع من الانضباط والتدريب، فإن الخدمة بهذه الطريقة تكون أعمال خدمة متكررة ومنتظمة أو عادة تساعدنا بشكل مستمر على التواصل مع الله وتعلمنا سمات شخصية معينة ـــــ مثل الرحمة والتواضع.

- الخضوع: التخلي عن السلطة لآخرين. والتوقف عن محاولة السيطرة

23 C. S. Lewis, *Mere Christianity* (New York: Macmillan, 1970), 8182-.

24 Dallas Willard, *The Divine Conspiracy: Rediscovering Our Hidden Life in God* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1998), 289.

عليهم. إننا نلقي على الربّ مسئولية سُمعتنا ولا نحاول الدفاع عنها أو تنميتها. بالطبع لا نحاول دفع الآخرين أو التأثير عليهم من خلال إشعارهم بالذنب لكي يفعلوا ما نريدهم أن يفعلوه.

- الخلوة: التخلي عن الشركة مع الناس. بالاختلاء أنت تتخلى عن تواصل الناس معك، وعن إنجازك لأي شيء في ذلك الوقت. الصمت والاختلاء أمران أساسيان في التشكيل الروحي لأنهما يهدئان النفس وهذا ضروري للاستماع لصوت الله في الكتاب المقدس وغير ذلك.

- الدراسة: هي الاختيار أن تعيش في حالة مستمرة من الشغف والرغبة في المعرفة بحيث تعيش العمر دارساً. أن تكون لديك «آذانٌ للسمع» فهذا يعني أن تكون الإنسان الذي «بشكل أصيل ومثابر، يحاول أن يفهم ويدرك الحق»[٢٥] في الدراسة، نفحص المحتوى والنظام الذي يضبط الأشياء ونختزنهما في أذهاننا ليس كمجرد حقائق وإنما كمعانٍ. قبل أن يحدث هذا الاستيعاب للمعنى، ربما نحتاج للحفظ والتكرار. فيما يتعلق بالكتاب المقدس، فالدراسة تعني التركيز عليه باهتمام ووعي. كانضباط شخصي، فإن هذا الأمر لا ينطبق على تحضير العظات أو المحاضرات و خوض الامتحانات.

- السرّية: عدم السماح لأعمالنا الصالحة أن تُعرَف من الناس وهذا لكي نتعلم التواضع وتكون لنا حياة شركة سرّية مع الله. يضاف إلى ذلك أيضاً الامتناع في بعض المرات عن المشاركة الروحية مع البعض.

- الشركة: الاختيار أن نكون مع الآخرين لهدف محبتهم وتنميتهم دون النظر لما سوف نحصل عليه منهم في المقابل. العلاقات الأصيلة المُحِبّة تعكس محبة الثالوث.

25 Diogenes Allen, *Spiritual Theology* (Cambridge, MA: Cowley, 1997), 103.

- الصلاة، الاستماع: الانتظار مع الله والتلذذ به. الهدوء والراحة في محضر الله. عادة ما يُفَضَّل ذلك في نهاية تأمل الكلمة المقدسة، حتى ندع الأفكار تدخل عميقاً في وعينا. يمكن أيضاً أن تتضمن المجيء بأسئلة أمام الله والحياة بطريقة متأملة مستمعة لله خلال اليوم. مثل هذه الصلوات تدربنا على الانفتاح على الله.

- الصلاة، الشفاعية: هو عندما نأتي إلى الله بطلباتنا من أجل الآخرين، ونحن ثابتون في المسيح وطالبون من الله الإرشاد كيف ومن أجل من نتشفع. هذا يساعدنا أن نثبت أنظارنا على ما هو الأفضل بالنسبة لمن نصلي من أجله وأن نصلي بشكل عام من أجل العالم الذي قد أحبه الله. من أشكال الصلاة الشفاعية «صلاة البكاء» وذلك عندما ندخل إلى قلب الله ونبكي على حال العالم أو على حال أحد الأشخاص. يمكن في هذه الحالة استخدام بعض الفقرات الباكية من المزامير أو من بعض أسفار الأنبياء..

- الصمت: تخصيص أوقات محددة منتظمة للجلوس في هدوء لمدة عشر دقائق. عادة ما تمارس مع الوحدة والاختلاء. الوقت قد يتراوح من عشر دقائق إلى خلوة طويل لمدة ثلاثين يوماً. يمكن لهذه الخلوة أن تكون بوتقة تغيير صعبة، لأن في الاختلاء والصمت تصرخ أفكارنا بداخلنا ونحاول تهدئتها. الصمت الموقفي (ألا نصر على أن تكون لنا الكلمة الأخيرة في الحوار، ونهدئ قلوبنا وعقولنا بينما يتكلم الآخرون، ولا نبدي آراءنا إلا إذا طُلِبَ مِنّا، وألا نُقاطِع) هذا الانضباط يمكن أن يُمارس لفترات متزايدة تدريجياً، لكنه يمكن أن يتخلل حياتنا بالكامل.

- الصوم: التوقف عن تناول الطعام (يمكن أيضاً الصوم الجزئي بالامتناع عن اللحوم أو السكريات أو الحلويات) أو بعض الممارسات (مثل مشاهدة

التلفاز أو المواقع الاجتماعية). هذا الانضباط يعلمنا أن نكون راضين ومكتفين بعلاقتنا بالله عندما لا نحصل على ما نريد وأن نعتمد على الله وحده ليسدد احتياجاتنا. كما أنه يساعدنا أن نتعلم كيف نتحكم في الغضب.

- العبادة: هو التجاوب مع سمو وجلال شخص الله بطرق محددة (مثل الغناء أو ممارسة التناول)، ليس ذلك فقط بل يتضمن الأمر أيضاً ممارسة حياة من الإجلال والتوقير لله وما يفعله في العالم. (انظر الفصل ١٧).

- المجتمع: ليست حياة المجتمع انضباطاً في حد ذاتها بقدر ما هي نتيجة لانضباطات أخرى مثل الدراسة الجماعية، أو الخدمة، أو الشركة، أو الاعتراف، أو إضافة الغرباء. عندما نتحرك نحو الآخرين في هذه الممارسات وعيوننا على يسوع، فإننا نلتحم بهم «في المسيح».

عن الكاتب

كتب أوسم وصفي ما يزيد علي خمسة وعشرين كتاباً في مجال التكامل بين علم النفس واللاهوت، والروحانية، وهو أيضاً طبيب ومعالج نفسي ومُتكلِّم ومُعَلِّم مسيحي. يحمل وصفي ماجستير في الطب النفسي وبكالوريوس في اللاهوت من كلية اللاهوت الإنجيلية المشيخية بالقاهرة ويُدَرِّس فيها مادتي «علم النفس واللاهوت» و «الكنيسة والتعافي» منذ ٢٠٠٥ ويعيش في القاهرة مع زوجته وابنته وابنه المراهقَين.